

بكباشى

يوسف صديق

منقذ ثورة يوليو

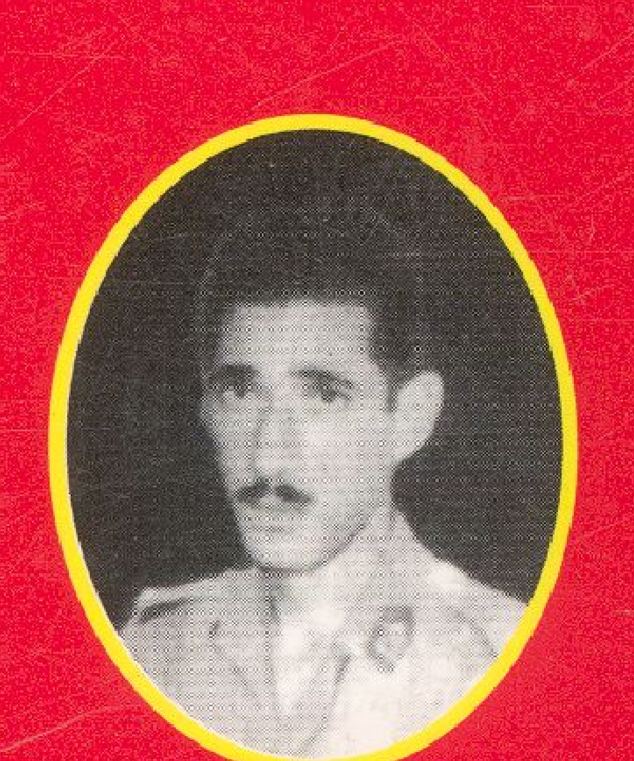


(أنكره الزيف و أنصفه الشعب)

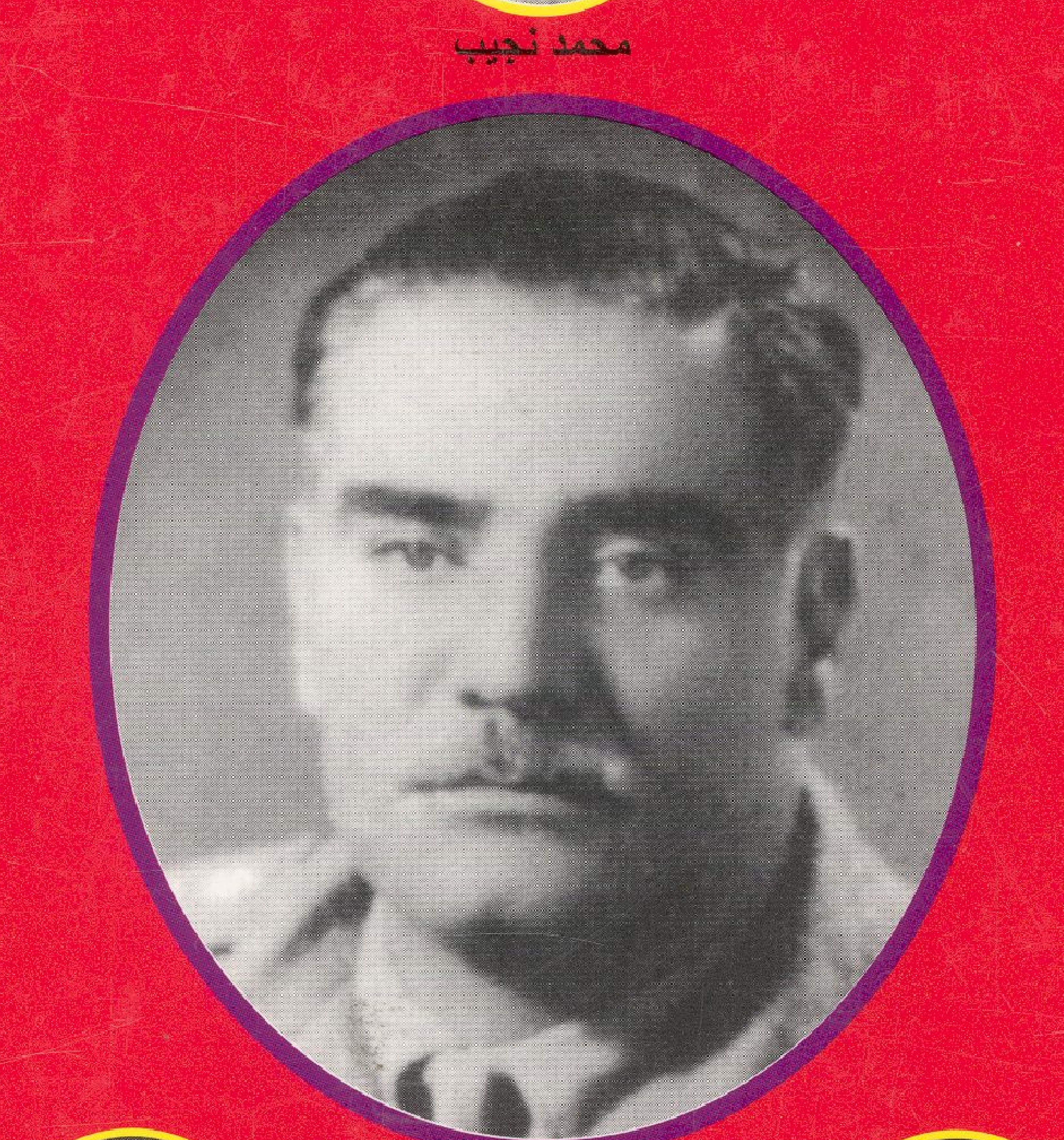
محمد نجيب



جمال عبد الناصر



عبد الحكيم عامر





خالد محيى الدين



زكريا محيى الدين



حسين الشافعى



أنور السادات

البكباشى
يوسف صديق



جمال سالم



كمال الدين حسين



عبد المنعم أمين



صلاح سالم

حسن إبراهيم





عبداللطيف البغدادى

بقلم



محمد توفيق الازهرى

الناشر
مكتبة مدبولى

تحقيق و تقديم
محمود توفيق


البكباشي يوسف صديق منقذ ثورة يوليو

الكتـــــــاب: البكباشى يوسف صديق منقذ ثورة يوليو

(أنكره الزيف وأنصفه الشعب)

بقلــــــــــم: محمد توفيق الازهرى

الطبعــــــــة: الأولى ٢٠٠٠

النـاشـــــــــر: مكتبة مدبولى ٦ ميدان طلعت حرب ـ القاهرة

تليفون: ٥٧٥٦٤٢١ ـ فاكس: ٥٧٥٢٨٥٤

موقعنا على شبكة الإنترنت:www. madbuli. com

التجهيزات الفنية: «زهران» للخدمات الإعلامية والدعاية والإعلان

تليفون: ٣٣٧٧٦٧٨ ـ ٤٣٢٠١٧٧

لــوحة الغلاف: أحمد صفوت

رقـــم الإيـــداع: ١٠٧٣٨ / ٩٩

الترقيم الـــدولي: ISPN - 3 - 271 - 208 - 977

البكباشى

يوسف صديق

منقذ ثورة يوليو

(أنكره الزيف وأنصفه الشعب)

بقلم:
محمد توفيق الأزهرى

تحقيق وتقديم:
محمود توفيق

الناشر

مكتبة مدبولى

٢٠٠٠

MADBOULI BOOKSHOP مكتبة مدبولى

6 Talat Harb SQ. Tel: 5756421 ٦ ميدان طلعت حرب - القاهرة - ت: ٥٧٥٦٤٢١

المقدمـــة

يكاد يمـضى على قيـام ثورة ٢٣ يوليو ٥٢ حـوالى نصف قرن من الزمـان ، ومع ذلك فإن الجدل المثار حول هذه الثورة لايهدأ ، بل لعله يكون فى أزدياد متواصل مع كر الأيام ومـر السنين ، فمع كل حقيـقة جديدة تظهـر من حقائق الثورة وخـفاياها ، ومع كل نتيجة تتضح من نتائجها القريبـة أو البعيدة ، يتصاعد الجدل من جديد حول هذه الثـورة . وهذا الجـدل الحامى الوطـيس لايقف عند حـد ، فهـو يتناول الثـورة نفسها ، وسائر أعمالها وخطواتهـا ، كما يتناول سائر قادتها أو عناصرها الفاعلة ، أو على الأقل أبرز هؤلاء القادة أو تلك العناصر ، وأبعـدهم أثرا فى قيام الثورة ، أو فى تحديد مسارها .

هنالك من يقرر أن الثورة كانت ضـرورة حتميه فى حياة مصر ، وأن قـيامها كان أمـرا تحتـمه الضـرورة ، وتفـرضه حـقائـق الأوضاع التى آل اليـهـا النظام السيـاسى والاقـتصـادى والاجـتمـاعى القـائم وقـتذاك ، وهـو النظام الملكى المرتبط بالوجـود الاستعمـارى والاحتلال الإنجليزى من ناحيـة، وبالنظام الإقطاعى أو شبه الإقطاعى، الرأسمالى أو شبه ا لرأسمالى ، المسيطر على الحياة الاقتصاديه والاجتماعيه فى ذلك الحين ، وما أنحـدر اليه هذا النظام من فساد وتدهور وشلل جعلت بقـاءه واستمراره من الأمور المسـتحـيله. والذين عاصـروا هذه الحقبـة من تاريخ مصـر، ولم تكن لهـم مصلحه مباشرة تربطهم بهذا النظام، كانوا يدركون ذلك بكل وضوح ، ويتمنون قيام ثورة تخـرج البلاد من أزمـتهـا المستـحكمة ، وتـفتح أمـامهـا طريقا جـديدا للحيـاة

والتطور، بل إن هناك الكثير من الطلائع الواعية من أبناء الشعب ، من المثقفين والعمال والطلاب، كانت تعمل أو تمد يد العون بطريقة أو بأخرى الى العاملين على قلب هذا النظام ، على اختلاف توجهاتهم السياسيه والفكرية، وعلى اختلاف الأحزاب أو المنظمات التى ينضمون تحت لوائها ، ومما لاشك فيه أن الأغلبية الساحقة من المصرين كانت تؤيد بشكل أو بآخر قيام ثورة تخلصهم من النظام، أو على الأقل فإن هذه الأغلبية لم تكن على استعداد للوقوف مع هذا النظام أو لبذل أى جهد فى سبيل الدفاع عنه ، وهذا هو السبب الأكيد فى سقوط هذا النظام بكل هذه السرعة أو السهولة ، وفى نجاح ثورة يوليو بكل هذه البساطة فى إسقاط النظام، وانتزاع السلطة بضربة واحدة لم يتجاوز مداها الزمنى ساعة واحدة من الزمان ، ولم تتطلب سوى تحرك واحد لبضعة ضباط يقودون بضع عشرات من الجنود ، وعدا هؤلاء فإنه حتى بقية أفراد تنظيم الضباط الأحرار - وهم قليلون - فان الذين شاركوا منهم بعد ذلك فى أحداث ليلة الثورة - كانوا جد قليلين ، وكانت مشاركتهم محدودة. إذ اقتصرت على التأمين والتأييد، أو على تشكيل قوة احتياطية للقوة القائمة بالحركة ، أما الباقون من الضباط الأحرار ، بل ومن قياداتهم ، فإنهم لم يفعلوا شيئا يذكر فى سبيل نجاح الثورة وانتزاع السلطة ، ولا أريد أن أذكر أسماء للتدليل على ذلك، إذ فى استطاعة القارىء أن يطبق هذه القاعدة على أغلب من عرفت أسماؤهم بعد ذلك من قادة الثورة وضباطها.

ولو كان الأمر غير ذلك، لكان فى استطاعة أىَ ضابط كبير فى الجيش، بجميع أسلحته، أو الشرطة، ولكان فى استطاعة أى حزب أو تنظيم سياسى، أو حتى نفر من

المدنيين، أن يتحرك لمواجهة حركة الضباط الأحرار ، وأن يتصد ى لمقاومتها ، والدفاع عن النظام ، ولكان من المؤكد أن تهزم هذه الحركة وتقبر فى مهدها ، وتتلاشى كفقاعة صغيرة . لكن شيئا من ذلك لم يحدث ، أذ إن أحدا لم يرفع أصبعا واحدة للدفاع عن ذلك النظام ، حتى من القوى والعناصر التى كان يفترض فيها الولاء للنظام ، وارتباط المصالح به . الجميع - بلا استثناء - تركوا النظام يغرق فى مستنقع أخطائه ومظالمه وآثامه .حتى أنه - خلال أيام قلائل - أصبح ذلك النظام نسيا منسيا، وانصرف الجميع الى التعامل مع النظام الجديد، إما إيجابا أو سلبا ـ أى إما بتاييده والتعاون معه، وإما بمعارضته ومقاومته، لادفاعا عن النظام القديم، وإنما فى محاوله للتأثير فى مستقبل البلاد، وتحديد مسارها، وإما فى انتهاج موقف الانتظار والترقب و(الفرجه) على حركة الأحداث ولو من بعيد .

كل ذلك حق لا شك فيه ، يعرفه كافة الناس ، وخاصة من عاصروا تلك الفترة من حياة البلاد . ومع ذلك فإنه يوجد فريق من الناس - تتعالى أصواتهم فى الفترة الأخيرة مع تصاعد موجة الردة وتفاقم حركة الثورة المضادة فى المجتمع المصرى وخاصة على الصعيد الفكرى، يجحدون كل هذه الحقائق ، ويعتبرون الثورة نكبة حلت على البلاد بلا سبب أو مبرر، وأن النظام القديم كان قادرا على الاستمرار وإصلاح نفسه وتحقيق الخير للبلاد . فهم ينكرون الثورة - من حيث المبدأ - ومن ثم فهم يرفضونها من الأساس، ويرفضون كل ما قامت به من أعمال . ولو أنهم وقفوا عن حد انتقاد سلبيات الثورة أو أخطائها. سواء فى أهدافها أو أساليبها ، لكان ذلك مشروعا أو مقبولا، بل ولما خلا ذلك النقد - مهما كان قاسيا - من فائدة للبلاد، فى

حاضرها وفى مستقبلها ، ولكانت فيه خدمة للتاريخ . أما هذا الرفض المطلق للثورة - جملة وتفصيلا - فهو موقف غير صحيح ، وغير نافع ، لأنه غير موضوعى.

وعلى العكس من هؤلاء ، فهناك فريق آخر من الناس ، يناصرون الثورة ، ظالمة أو مظلومة ، ويمجدون قيادتها بصورة مطلقة ، حتى أنهم ينكرون سلبياتها وأخطاءها إنكارا تاما ، أو على الأقل فهم يبررون تلك السلبيات الى درجة إسقاطها تماما من الحسبان ، مع إنها أخطاء وسلبيات واضحة وجسيمة، ومع أن آثار هذه السلبيات ما تزال قائمه ومتفاقمه ، الى الدرجة التى أكلت معظم حسنات الثورة وإيجابياتها وإنجازاتها أو كادت ، ولا أريد أن أضرب الأمثلة على ذلك فهى كثيرة وظاهرة . يكفى أن نقول أن موقف الثورة السلبى من قضية الديمقراطية ، التى كانت ومازالت مطلبا حيويا وهدفا تاريخيا لنضال الشعب المصرى ، كان السبب فى انتكاس هذه الثورة ، وفى زعزعة أركانها ، وفى تآكل واضمحلال كل إنجازاتها فى المجالين الوطنى والاجتماعى، ولو أننا تصورنا أن الثورة استطاعت أن ترسى دعائم سياستها الوطنية والاجتماعية على أساس من الحكم الديمقراطى - وإشاعة الحريات، واحترام حقوق الإنسان، وقد كان ذلك ممكنا ومستطاعا منذ أوائل أيام الثورة، وفى سائر مراحلها، لأقامت إصلاحاتها وسياساتها على أسس وطيدة، ولتجنبت الكثير من الأخطاء والنكسات، ولما أعطت الفرصة لخصومها وأعداء الشعب لكى يطعنوها فى مقاتلها المرة بعد المرة، ولكانت مصر الآن فى وضع آخر، أفضل من وضعها الراهن بكثير .

وهذا الفريق من الناس، المدافعون عن الثورة ظالمة ومظلومة، هو كالفريق الأول،

الرافضـون للثورة جـملة وتفصيـلا، لايخدمون الثـورة، ولا يخدمـون الحقيـقة، ولا يصدقون التـاريخ القول. والغريب أن موقف كل منهم ، يعتبـر سند او مبررا لموقف الآخر . فالتعصب الأعمى للثورة ، كالتعصب الأعمى ضدها ، وهما يؤديان معا الى طمس الحقيقة التاريخية ، ويعتبران وجهين لعملة واحدة .

والفريق الثالث من المصرين ، وهم الأغلبية السـاحقة ، هم الأسوأ حظا ، والأكبر شقاء بالثورة . أنهم هؤلاء المصريون الذين آمنوا بالثورة وأيدوها وناصروها بالمشاعر أو الأقوال أو الأفعـال ، ومنهم من دعا اليهـا وعمل الكثير أو القليل تمـهيدا لقيـامها وتأمينا لنجاحها ، ثم سـاروا بعد ذلك معها ، تسعدهم نجاحاتها وتتـعسهم نكساتها، تفرحهم حسناتهـا وتحزنهم سلبياتها وأخطاؤها، حتى لقد تمزقـوا شر ممزق بين حبهم للثـورة وكرههم لأخطائهـا وسلبيـاتها وإخفـاقاتهـا . هؤلاء هم الذين مثلت الثورة ورموزها، ومازالت تمثل لهم وجعا فى القلب، وهو الوجع الذى يحس به الأب وهو يرى ولده يتقلب بين الحـسنات والسيئات، فـهو يحبـه ويحب حسناته ، ولكنه يكـره سيئاته وينقمـها عليه ، من هؤلاء الكثير من المثقفـين، والمدينين والعسكرين، والكثير من العمـال الواعين الذين عاصروا الثـورة وتعاملوا معهـا ، ومن هؤلاء كان يوسف صديق .

فيـوسف صديق، كـما يعـرض لنا هذا الكتـاب، كان واحدا ممن وهـبوا أنفسـهم للثورة منذ مطلع شـبابهم ، فحلم بهـا وتمناها من كل قلبه، وعـمل من أجلها فى كل موقع وفى كل وقت ، وبكل شـجاعة وإخلاص، حتى لقـد كان يعيش فيـها وتعيش فيه. ولاعجب أن كان يوسف صـديق هو رأس الرمح الذى سددته حركة الثورة الى

قلب النظام ليرديه قتيلا فى ساعة واحده من الزمان . وإذا كانت المسألة الرئيسية فى كل ثورة هى مسألة السلطة، أى سقوط سلطة طبقة أو مجموعة طبقات ، وقيام سلطة جديدة لطبقة أو مجموعة من طبقات أخرى ، فإن هذه الحلقة الرئيسية فى ثورة يوليو قد تمثلت في الاستيلاء - بالقوة المسلحة - على مقر قيادة الجيش ، والقبض على أبرز قياداته، ومن ثم إصابة النظام القديم بالشلل واليأس بضربة واحدة . وهذه العملية الخاطفة الغريبة، قام بها يوسف صديق ونفر من قليل من ضباطه وجنوده بصورة فدائية وعبقرية، ولم يكن فى مقدور أحد سواه، كائنا من كان، أن يقوم بهذا العمل الخارق. لماذا ؟ - لأن مثل هذا العمل كان يتطلب - الى جانب الشجاعة الخارقة، والكفاءة العسكرية المنقطعة النظير، قدرا من الإخلاص الثورى والإيمان بضرورة الثورة وعدالتها، والولاء لمصلحة الشعب، يحمل صاحبه الى النصر الأكيد على جناح من الإعجاز البشرى الذى يشبه الإعجاز الدينى أو يقترب منه .

وبطولة يوسف صديق فى ليلة الثورة قد أصبحت معروفة ويكتب عنها الكثير ون الآن، خاصة فى ذكرى قيام الثورة كل عام، بعد أن ظلت مخفاة عن الناس سنوات طويله بفعل الأغراض والأهواء، أو بفعل الزيف والتزييف. ولكن الذي مازال مجهولا - الى حد بعيد - حتى الآن ، هو دور يوسف صديق ومعاناته وتضحياته بعد نجاح الثورة فى سبيل حمايتها من أهواء معظم من تصدروا قيادتها من الضباط، ورغبتهم الجارفة فى الاستئثار بسلطة الحكم ، وفى فرض هذه السلطة علي الشعب كله، ولو بالقوة المجردة، من خلال الديكتاتورية العسكرية والنظام البوليسى، جنبا

الى جنب مع الأعتماد على الدعايه الغوغائيـه المكثفه والمتواصله على امتداد السنين ، كل ذلك على حساب المبادىء المعلنة لثورة يوليو، وعلى حساب حق الشعب فى أن يحكم نفسه بإرادته الحرة، ودون وصاية من أحد، وعلى حساب المطلب التاريخى للنضال الشعبى المصرى فى تحقيق الديمقراطيـة والاعتماد عليها فى الانتقال بالبلاد من دائرة التخلف الاستعمارى الإقطاعى، الى التقدم السياسى والاقتصادى والاجتماعى . وهذا الانحراف المعادى للديمقراطية قد وجد من يبرره وينظر له فى ذلك الحين ، لامن جانب معظم ضباط القيادة فحسب ، بل ومن جانب لفيف من المثقفين والسياسين المدنيين من المعادين للديمقراطية لسبب أو لآخر ، وأنصار نظرية المستبد العادل، والمتأثرين بشكل أو آخر بالأفكار الفاشية، هؤلاء كانوا يرون أن الأصلاح يقتضى مصادرة إرادة الجماهير، وفرض الوصاية عليها الى أمد يطول أو يقصر، والواقع أنه ظل يطول ولايقصر أبدا، إذ إن مبررات هذه الوصاية ظلت تتجدد، بل وتقوى يوما بعد يوم، والحق أن جميع أعضاء مجلس قيادة الثورة ، فيما عدا يوسف صديق وخالد محيى الدين ، قد انحرفوا سريعا الى تبنى موقف الديكتاتورية العسكرية، بما فيهم محمد نجيب وجمال عبد الناصر والآخرون جميعا، إذ وقف هؤلاء - فى مرحلة الصراع الحاسم - على تحديد مسار الثورة والاختيار مابين الطريق الديمقراطى والطريق الدكتاتورى مع عبد الناصر وضد يوسف وخالد، ولم يبدأ هؤلاء فى الكلام عن الديمقراطية وفى إلقاء تبعة الحكم الدكتاتورى على عاتق عبد الناصر، إلا بعد أن ناصروا الاتجاه الدكتاتورى، ومكنوا له، سنوات طويلة، وبعد أن بدأوا يختلفون مع عبد الناصر واحدا بعد الآخر، ولسبب أو لآخر.

هنالك بدأوا يتذكرون الديمقراطية ويذكرونها كسبب رئيسى من أسباب خلافهم مع عبد الناصر – ولكن بعد فوات الأوان . ينطبق هذا الكلام على سائر أعضاء مجلس قيادة الثورة دون استثناء، بمافيهم محمد نجيب، فيما عدا يوسف وخالد كما سبق القول . وربما كان ذلك راجعا الى قناعاتهما الفكرية اليسارية بصورة أساسية ، غير أنه مما لاشك فيه أن اختلاف التجربة السياسية، والميول الشخصية، ودرجة الإيمان بالشعب وجماهيره، قد جعلت منهما – يوسف وخالد – نصيرين للديمقراطية، وقطبا مواجها للآخرين منذ البداية .

وكان يوسف هو صاحب الموقف الأكثر صلابة واستبسالا فى الدفاع عن الديمقراطية ، وفى مواجهة الانحراف الى الدكتاتورية دون هوادة ولذلك، كان هو الأسرع صداما مع الآخرين ، والأكثر معاناة وتضحية فى سبيل هذا الموقف ، كل ذلك – دون تقليل من موقف خالد ، ومن دفاعه هو الآخر عن الديمقراطية، وتضحياته من أجلها . الفرق بينه وبين يوسف فى هذا إنما يرجع أساسا الى الفرق بين الرجلين فى أسلوب التعبير، وفى المزاج الشخصى . هذا الجانب من بطولة يوسف ، وشجاعته وإخلاصه وولائه لحقوق الشعب بما فيها حقوقه الديمقراطية، واستعداده للتضحية فى سبيل ذلك بكل شىء، بالجاه والمنصب وما يجرانه من منافع، بل وبالحرية الشخصية والمصالح العائلية، بل وبالحياة نفسها عند الاقتضاء، هذا الجانب من شخصيته لايقل أهمية ومدعاة للاحترام والتقدير عن دوره فى قيام الثورة ونجاحها ، وهو مالم ينل حقه من الذكر من جانب من كتبوا ويكتبون عن الثورة حتى الآن .

جانب ثالث من جوانب شخصية يوسف وموقفه جدير بالذكر والتقدير ، ألا وهو موقفه المستمر فى تأييد الثورة والولاء لها ـ رغم كل ماناله على أيدى زملائه فى قيادتها من ظلم وجحود ونكران - لالسبب الا لاختلافه معهم فى الرأى والموقف من قضية الديمقراطية، إذ إن كل ماعاناه من ذلك كله - وهو كثير وفادح، لم يجعله يتنكر للثورة ، ولم يجعله يحقد على عبد الناصر وزملائه ، أو يتمنى لهم شراً أو يشمت فيما نالهم أو نال البلاد تحت قيادتهم من هزائم وانكسارات، بل إننا نجده فى كل ذلك ، مثلا أعلى فى عظمة النفس، وسمو الخلق .فهو لم يتأخر يوما عن اتخاذ الموقف الوطنى والثورى والأخلاقى الأمثل، فى أى ظرف من الظروف، ومهما كانت جسامة ما يعانيه من ظلم وإجحاف .

والكتاب الذى بين يدينا الآن، يعرض لشخصية يوسف صديق ومواقفه بالبيان الفصل. ومؤلف هذا الكتاب - الأستاذ محمد توفيق الأزهرى - هو شاعر وأديب، ولكنه ليس مؤرخا ولا كاتبا سياسيا ، ومع ذلك فقد تصدى لمهمة وضع هذا الكتاب عن يوسف صديق بجد وإخلاص يجعلان لهذا العمل قيمة لايستهان بها فى خدمة الحقيقة التاريخية وفى إبرازها أمام أعين هذا الجيل والأجيال القادمة . ويمتاز كتابه بعدة مزايا ربما لاتتوافر لغيره ممن يتعرضون للكتابة فى هذا الجانب الهام من تاريخ ثورة يوليو . فصلته الشخصيةوالعائلية الوثيقة بيوسف صديق الذى يعتبر عمه وخاله فى نفس الوقت، كما أنه كان قريبا منه فى كثير من فترات حياته على المستوى الشخصى حتى كان بمثابة الابن ليوسف، ويكفى أنه سجن وعاش معه فى السجن الحربى لمده ليست بالقصيرة ، وهى تجربة فريدة تضعه فى وضع متميز ممن يتصدون

لدراسة هذه الشخصية. وبحكم هذه الظروف، ثم بحكم اهتمام توفيق وجهده الطويل، فقد استطاع أن يجمع من المعلومات والمواد عن يوسف مالا يتاح لغيره، وما يجعل كتابه غنيا بالمادة التاريخية . ولم يكتف توفيق بجمع كل هذه المادة وعرضها، بل إنه حرص على أبداء رأيه وتقيمه للأحداث والمواقف، من موقع القرب منها، ومن موقع التأمل الطويل لها على مدى حياته كلها .

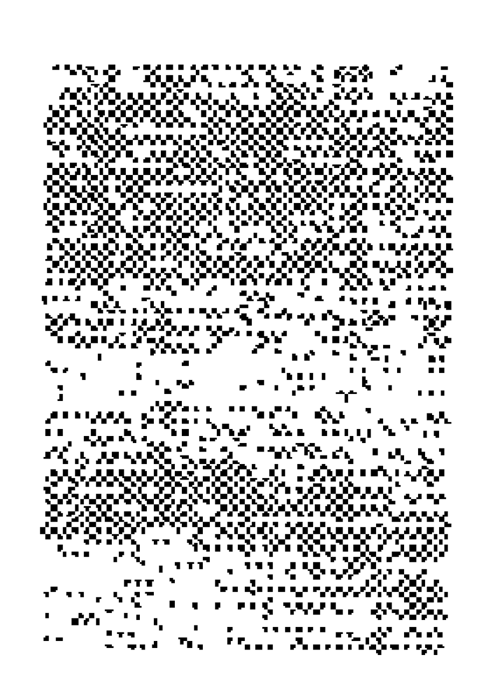
وهذا كله مما يعطى لهذا الكتاب أهميته الكبيرة، حتى بالنسبة لمن لايتفقون معه في بعض أحكامه وآرائه، ذلك أنهم سوف يجدون عنده دائما مالن يجدوه عند غيره ممن كتبوا عن الثورة، وعن يوسف صديق، من غزارة المادة وشمول العرض .

واذا كان على المرء أن يسعى وليس عليه إدراك كل ما يتمناه من النجاح والتوفيق، فإن الأستاذ محمد توفيق الأزهرى - مؤلف هذا الكتاب قد سعى ولم يبخل بجهد، فى سبيل تقديم هذا الكتاب الى القارىء، فى أفضل وأوفى صورة مستطاعة.

والله وحده هو ولى التوفيق،،

بقلم

محمود توفيق



الباب الأول



على طريق الثورة

ربما قرأ كثير من الناس اسم يوسف صديق ، أو سمعوا به ، وربما عرفوا الكثير أو القليل عن دوره البطولى فى ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢ ، ولكن من المؤكد أن الأغلبية الساحقة منهم لايعرفون شيئا عن شخصية هذا الرجل ، الذى برز أمامهم فجأة كبطل أسطورى ، فى أحداث تلك الثورة ، لذلك كان من الضرورى أن نبدأ حديثنا عن دوره فى الثورة بهذا الفصل التمهيدى ، للتعريف به ، وبتاريخه الشخصى والعائلى قبل تلك الثورة : فمن هو يوسف صديق ؟

(١) مولده ونشأته

ولد يوسف صديق يوم ٣ يناير س ١٩١٠، بقرية (زاوية المصلوب - مركز الواسطى -محافظة بنى سويف) ، لأب مصرى ضابط بالجيش المصرى هو المرحوم اليوزباشى، منصور يوسف حسن الأزهرى ، أما والدته فهى المرحومه سكينة كريمة الحاج أحمد على، الذى كان من أعيان المنطقة، وكان مشهورا بالكرم والشجاعة . وكان والده ابن خال لوالدته .

وكان جده الأكبر (حسن الأزهرى) عالما من علماء الأزهر الشريف, كما أن جده (يوسف صديق) كان قاضيا فى عهد الخديوى توفيق, وكان هذا القاضى دائم الانتقاد لتصرفات الخديوى مما دفع الحكومة الى التخلص منه بتعيينه حاكما لاقليم (كردفان) غرب السودان وعاش بها مع زوجته وولديه (منصور ومحمود)، ولما قامت ثورة المهدى بالسودان قتل الدراويش الحاكم وزوجته.

واستطاع البواب السودانى حماية ولديه (منصور ومحمود) مستغلا سمرة بشرتيهما فادعى أنهم ولديه وقام بتهريبهما الى مصر, ولكن محمود توفى بالقاهرة، أما منصور فقد عاد الى قريته (زاوية المصلوب).

والتحق منصور بالمدرسة الحربية ثم تخرج منها فعمل ضابطا بالجيش المصرى بالسودان ، وهناك التقى مع ابن عمته الضابط الشاعر (محمد توفيق على) الذى كان يعمل هناك سنة ١٨٩٨ لكن منصور بدوره كان كثير الصدام مع الضباط الإنجليز فى

السودان، وكذلك كان ابن عمته، الذى كان أيضا يقول شعره ضد الإنجليز مما أغضبهم وأثار حفيظتهم ضدهما ،

وعلى أثر أحد صدامات اليوزباشي منصور مع الإنجليز، صدر أمرهم بنقله الى مديريه بحر الغزال ، فذهب الى هناك بعد أن طلب من أخي زوجته اليوزباشي محمد توفيق إعادتها الى بلدتها، لتضع مولودها هناك. وفى بحر الغزال عمد الإنجليز الى أساءة معاملة منصور فتخطوه فى الترقية، وحرموه من الإجازات، وارهقوه بالعمل، حتى سقط مريضاً وعاد بعد حوالى سنة إلى القاهرة للعلاج، وكان ولده يوسف لم يكمل العام الأو ل من عمره فى ذلك الوقت، وما أن وصل إلى القاهرة حتى سارع بالعودة إلى قريته ليرى ولده الرضيع، ولكن القدر لم يمهله كثيراً فمات بعد أيام قليلة.

ولم تكن التقاليد تسمح بوجود أم يوسف أرملة ولم يتجاوز عمرها ثمانية عشر عاماللذلك فقد زوجها أبوها من أحد أبناء عمها بعد أن ظلت ترفض لمدة ثلاث سنوات ، متمسكة بتربية ولدها اليتيم ، لكن التقاليد أرغمتها على الزواج .

أما خاله محمد توفيق على فقد ضاق بالإنجليز ذرعا، وضاقوا به، فاستقال من الجيش وعاد الى قريته، وهو برتبة اليوزباشي، وظل بها يزرع أرضه وأرض أبيه وقد تفرغ للشعر، ينشر قصائده الوطنية فى المجلات والصحف، واستمر على هذا الى أن توفى فى ١١ يناير ١٩٣٧ ومن هذا الخال سمع الكثير عن الاحتلال سواء فى كلامه أو فى شعره ، وهكذا نشأ يوسف صديق الصبى ، وهو يكره الإنجليز فقد كانوا سببا فى موت أبيه ، كما سمع، كما كانوا سببا فى معاناة خاله من الحالة التى وصلت اليها الأمة كما رأى وأحس، وكل ذلك بسبب نير الاستعمار، فيوسف صديق من هذه الناحيه يعتبر ثائرا بالوراثة، رضع الثورة من لبن أمه، فخرج ساخطا على الإنجليز منذ أيامه الأولى ، فلم يكن غريبا بعد ذلك أن تتأصل فيه، روح الثورة، وضرورة التحرر، منذ نعومة أظفاره، وفى صباه المبكر كما سنرى، لكأنه قد توحد مع الثورة، فبات يحلم بيوم الخلاص .

(٢) تعليمه وتربيته

شب يوسف وسط رفاقه من أهله شباب العائلة يتنافسون فى الدراسة والعلم كما يتنافسون فى الشعر والخطابة. ولما حان موعد دخول المدرسة ذهب مع أحد أقاربه إلى القاهرة ليشرف على دراسته.. وتحت عنوان (على طريق الثورة) يحدثنا يوسف صديق فى مذكراته عن تلك المرحلة من طفولته قائلاً :

(اندلعت ثورة ١٩١٩ وأنا فى بداية المرحلة الابتدائية من التعليم، وهكذا شاءت الأقدار أن أرى ثورة الشعب العارمة وهى تنطلق كالإعصار تدمر كل شىء، وأن أرى الشعب وهو يملك قدره ويفعل ما يشاء، وأن أرى فى الجانب الآخر من الصورة كيف رد الاستعمار بأسلحته الفتاكة على ثورة الشعب الأعزل الذى لم يكن يملك غير غضبه، شاهدت المدافع الرشاشة وهى تحصد الشعب حصداً بلا هوادة وبلا رحمة، وبعد أن تمكن الاستعمار من إخماد الثورة شاهدت معسكراته المنتشرة فى أنحاء البلاد، وفى كل منها ميدان لضرب النار يبدأ فى الساعة السابعة كل يوم بإطلاق الرصاص على أهدافه لمدة ساعة كاملة ليسمع المصريون فى كل مكان وفى كل صباح أن بريطانيا العظمى كما كانت تسمى فى ذلك الزمان تملك قوة تدمير رهيبة، وشاهدت طوابير السير التى كان الفرسان البريطانيون يقومون بها من حين لآخر فى شوارع المدن وهم يمتطون خيولهم ويحملون أسلحتهم، غير أن كل هذه المظاهر لم ترهبنى كما شاء بها الإنجليز، وإنما كانت تثير فى نفسى الكراهية لهؤلاء القوم الذين يتصرفون على هذا النحو، وتدعونى وأنا فى هذه السن المبكرة إلى التفكير فى طريقة للخلاص من هذا الهوان، كان الإنجليز بأسلوبهم هذا يشحنون عواطفنا بكراهيتهم ، ويوجهون عقولنا إلى التفكير فى طريق الخلاص).

عاش يوسف صديق فترة دراسته الابتدائية فى القاهرة تحت رعاية أحد أقاربه من الموظفين الذين يعيشون فى القاهرة قريباً من أبناء خاله وخالته (يوسف وسعيد) فهم رفاق عمره وأصدقاء طفولته، على أنه فى الإجازة الصيفية كان يعود مع رفاقه إلى قريته حيث يمضى الإجازة الصيفية بين منزل والدته ومنزل جده ومنزل خاله الشاعر الضابط الذى كان

يعيش فى بيت كبيرعلى النيل تحيط به حديقة مثمرة.

وفى سنة ١٩٢٤ حصل على الشهادة الابتدائية - والتحق هو ورفاقه بالمدرسة الخديوية الثانوية . ويصور يوسف صديق تلك الفترة التى أمضاها فى القاهرة قبل انتقاله إلى بنى سو يف في مذكراته قائلاً: (فى سنة ١٩٢٤ كنت قد أتممت دراستى الابتدائية ، وبدأت مرحلة الدراسة الثانوية فى مدرسة الخديوية ، وكنت أعيش فى القاهرة فى رعاية أحد أقربائى الذى كان يشرف على تربيتى مع أولاده على طريقة أهل الريف، وكان يقوم بوظيفة (ولى الأمر) أمام المدرسة، ولأن أبى كان قد مات قبل أن أكمل العام الأول من عمرى فقد كنت دائماً فى حاجة إلى ولى أمر ليواجه مطالب المدرسة كروتين).

ولكن يوسف - وهو كما قلنا ثائر بالوراثة ما لبث أن ضاق بسياسة ولى الأمر التى كانت تحتم على الأولاد عدم الاشتراك فى المظاهرات أو التعرض للإنجليز خوفاً من ضياع المستقبل، وكما نرى فإن سياسة ولى الأمر كانت هى السياسة المنطقية لأب مطحون يربى أولاده ، ويعلمهم من دخله البسيط . لكن يوسف بطبيعته الثائرة سرعان ما استقل بنفسه فى هذه السن المبكرة ، وقد استهوته حياة الثورة التى كان يمثلها (سعد زغلول) وتراه يصور تلك المرحلة ويحاول أن يجد لنفسه مبرراً لتصرفه فيقول:

(وكان ولى أمرى موظفاً صغيراً ترهقه الحياة بأعبائها ، وكانت فلسفته السياسية التى فرضها علينا (أن نمشى جنب الحائط) وكان تفسير هذا الشعار ألا نعرض أنفسنا لأى خطر، وكان يرى أن الشبان الذين يقومون بالمظاهرات ويشتبكون فى معارك مع البوليس أو الإنجليز هم شبان مجانين).

لكن حياة الثورة, وخطب سعد زغلول, ملكت عليه إحساسه، كذلك فإن المظاهرات استهوته، غير أن وعده لولى الأمر بعدم الاشتراك فيها أوجدت فى نفسه نوعا من الصراع النفسى يصوره قائلا:

(وأخيرا قررت أن اتخذ حلا وسطا (أقف و أسمع) ثم أنفذ الأوامر بالذهاب الى المنزل، غير أنه لم يستطع أن يستمر طويلا على الحل الوسط فسرعان ما اتجه الى بيت الأمة، واستقل عن ولى الأمر, وسكن فى الجيزة لمدة سنة, وقد أورد وصفا جميلا لتلك الفترة فى

مذكراته المشار اليها.

على أنه كان محاطا بالرعاية من أسرته، فقد أوقف جده لوالدته على تعليمه ريع سبعة أفدنة تؤول الى أمه فوق ميراثها بعد انتهاء تعليمه الى جانب معاشه الشهرى عن والده، وكان الإشراف الدراسى لابن عم والده (وهو جدى لوالدى) حيث كان ولى الأمر الذى ضاق كل منهما بالآخر، وفى القرية كان الإشراف لجده ولوالدته ثم خاله، وهناك فى بيت هذا الخال التقى بزوجته وابنة خاله (السيدة علية توفيق).

وانتقل إلى مدرسة بنى سو يف الثانوية، وكان يعود إلى قريته فى كل أسبوع، ويرجع حاملاً الزاد لمعيشته هناك. وفى القرية كان يمضى معظم الوقت مع أبناء خاله ويرى أمه وجدته وقد شب عن الطوق ودخل مرحلة الشباب، ويحدثنا بنفسه عن تلك المرحلة فى مذكراته قائلاً: (وفى العام التالى كان بعض أصدقائى من الطلاب الذين كانوا يدرسون فى مدينة بنى سو يف وهى عاصمة مديريتنا قد أقنعونى بأن أحول إلى مدرسة بنى سو يف الثانوية لتجمعنى بهم أيام الدراسة والعطلة جميعاً فوافقت، وكنت أعتقد أن ما يجرى فى القاهرة يجرى فى كل أنحاء القطر، لكن فوجئت بأن الأمر مختلف .. فلم تكن هناك إضرابات كثيرة)..

وفى مدرسة بنى سو يف الثانوية برز يوسف بين رفاقه كشاعر وخطيب، وكان يتنافس مع رفاقه ومنهم (فتحى رضوان) وجمعت بينهم الصداقة، ثم فرقتهم الأيام، واتجه فتحى رضوان إلى العمل السياسى، وانضم إلى الحزب الوطنى ثم حزب مصر الفتاة، وسار على درب النضال الوطنى، وعندما قامت الثورة كان فى السجن. فلما اجتمع قادة الثورة فى أيامهم الأولى ومنهم يوسف أفرجوا عنه فوراً، وكان من الوزراء الذين تعاونوا مع الثورة فى أيامها الأولى، وهناك التقى مع يوسف بعد أن قام بعمله المجيد ليلة ٢٣ يوليو ٥٢، وقد ظل فتحى رضوان يذكر ليوسف مواقفه الوطنية قبل وبعد الثورة، ونعاه كثيراً بعد وفاته وأشاد بفضله.

ويروى فى مذكراته عن هذه الفترة فيقول: (وبعد حصولى على شهادة البكالوريا (الثانوية العامة) دخلت المدرسة الحربية سنة ١٩٣٠م والدراسة فى المدرسة الحربية شاقة تتطلب مجهوداً جسمانياً شاقاً مع الدراسة فى العلوم العسكرية).

(٣) دخوله الكلية الحربية

كان قرار يوسف الالتحاق بالمدرسة الحربية قراراً نابعاً من قناعته الأكيدة من أنه بغير القوة لن يتم جلاء المستعمر، وكان يعيب على أهل السياسة والكلام اعتقادهم أن المستعمر سوف يجلوا عن أرض الوطن ، عن طريق المفاوضات ، وكان يسخر من السياسيين ، ويتهمهم بتنميق الكلام. ولعل قصيدته التى ألقاها بعد ذلك فى حفل تكريم الجيش المصرى بعد الحرب العالمية الثانية خير شاهد على ما نقول [١] حيث يقول فى بعض أبياتها:

هى الدنيا صراع لا اقتناع ... بغير الجيش لن نحيا كراما

ومن نادى بغير الجيش يهذى ... وعن نور الحقيقة قد تعامى

وفى المدرسة الحربية كان يو سف هو شاعرها، وقد أوردنا فى باب الشعر تفصيلا لهذه القصائد التى كان يلقيها فى المدرسة الحربية قبل تخرجه ، وقد تخرج ضابطاً سنة ١٩٣٣ وتروى السيدة (علية توفيق) تلك القصة عن دخوله المدرسة الحربية سنة ١٩٣٠ فتقول:

(عارض أبى فكرة دخول يوسف بشدة، وكنا نجلس جميعاً لسماع تلك المناقشة وقال ليوسف: سأرسلك الى إيطاليا لتتعلم هناك الطب البيطرى وتعود لتشترك معنا فى عمل مشروع كبير لتربية الدواجن والحيوان. فهذا أفضل من أى وظيفة، ولكن يوسف رفض وأصر على الجيش فقال له أبى: يابنى الجيش ليس لنا. نحن قد تعودنا على حرية الرأى وشجاعة التصرف - الجيش تحت سيطرة الإنجليز عبودية ونحن لا نستطيع.. لقد تركت الجيش وأنا فى رتبة يوزباشي، ولولا أن والدك توفى وهو فى نفس الرتبة لكان قد ترك الجيش. فاختر لنفسك ميدانا آخر. ولكن يوسف أصر وتركنا ليتقدم بأوراقه الى المدرسة الحربية، ونجح فعلا فى الالتحاق بها.

(١) أوردنا تلك القصيدة فى باب الشعر

ثائر بالجيش

فإذا ما حاولنا الاقتراب من بعض ملامح شخصية يوسف صديق ، ومواقفه قبل قيام الثورة ، خلال الفترة التى خدم فيها بالجيش -١٩٣٣ - ١٩٥٢ - ، للتعرف على رحابة تلك الشخصية من ناحية، و على دلالة تلك المواقف من ناحية أخرى، والتى جعلت منه بطلا ثائرا من قبل قيام ثورة يوليو، تطالعنا بعض الملامح الأساسية التى كونت شخصيته، والتى لازمته بعد ذلك طوال حياته، فليس غرضنا تتبع فترة خدمته بالجيش ، ولا التأريخ لتلك الفترة ، وانما غرضنا أن نختار بعض مواقفه للتدليل على مانريد إبرازه للقارىء.

وأول تلك الملامح وأشملها ، هى إيمانه العميق بضرورة الثورة وتغيير الأوضاع الفاسدة، وكذلك إيمانه بمشروعية التغيير، ومما لاشك فيه أن طفولته وما واكبها هى التى أوجدت توحده هذا مع الثورة ، وقد وضعه هذا فى مو اجهة الطغيان والفساد منذ التحاقه بالخدمة فى الجيش ، وبالتالى فقد كان منذ البداية مقاوما لفساد النظام، وقد حتم عليه ذلك التعرض لنقمة النظام القائم، وهو ماتجلى فيما تعرض له من تشتيت بكثرة التنقلات التى تعرض لها خلال خدمته بالجيش، كما تجلى فى تخطيه فى الترقية على الرغم من تفوقه المعترف به خلال حرب فلسطين ، ومع ذلك فقد ظل إيمانه بالثورة ملازما له ، لم يتنكر له أبدا رغم ماتعرض له خلال فترة حياته من تضحيات .

وثانى تلك الملامح هي عدم مهادنته لقوى الفساد والطغيان، بل المسارعة للتصدى لها بكل الوسائل المتاحة أمامه، وهو مايتطلب الى جانب الشجاعة الخارقة، الإيمان العميق بحق الجماهير بالعيش فى مجتمع تسوده الديمقراطية والحياة الكريمة ، دون أن تفرض عليها وصاية ، ولايمكن لذلك أن يتحقق قبل القضاء على فساد النظام . وقد استعمل يوسف وسائل متعددة للتصدي والمقاومة قبل الثورة، منها المواجهه المباشرة لرموز الفساد فى قيادات الجيش ، ومنها توعية الضباط وتعليمهم وبث روح جديدة بينهم، وقد تجلى ذلك بشكل خاص فى فترة عمله كمدرس للتاريخ العسكرى بالكلية الحربية ٣٩-١٩٤١ - مما كان له أثر كبير على تلاميذه من الضباط، ومنها فضح قوى الفساد. سواء بقصائده

القوية التى يلقيها فى مختلف المناسبات يطلق فيها صيحته ضد الفساد أو بإلقاء المحاضرات، والندوات والخطب، ومنها الوقوف أمام المجالس العسكرية مدافعا عن الضباط مستخدما القانون العسكرى، الى جانب درجة عالية من سرعة البديهة والتمكن من اللغة .

وثالث تلك الملامح هى رفضه لمبدأ المساومة ، وعد م قناعته بالمواقف التكتيكية أو المواجهات غير المباشرة ، بل إنه دائما يتخذ الموقف الصريح المباشر لما يعتقد أنه لمصلحة الوطن ، الى جانب قدر كبير من التواضع وإنكار الذات ، وهذا الجانب الإنسانى الرفيع تجلى فى كثير من مواقفه، تمتع بقدر كبير من التسامح والنقاء، وتجلى ذلك فى مواقفه خاصة أمام من أساء اليه ، الى جانب عدم تكالبه على السلطة ، واستعداده الدائم للتضحيات ، لايضيق بها ، ولا يستثقل أعباءها ، ولايتبرم منها ، بل أنه لايقبل عنها ثمنا ولا تعويضا !!

ولكى نؤكد قولنا السابق ، نعرض بعض المواقف المختارة ، والتى توضح تلك الملامح ، وقد ورد بعضها فى مذكراته، وورد البعض الآخر فى أقوال من عاصروا تلك الأحداث والمواقف ، وقد راعينا الصدق فيما نقول، وهذه المواقف التى نعرضها مرتبة لتغطى الفترة التى نتحدث عنها ، وهى التى سبقت انضمامه الى الضباط الأحرار ١٩٥١، طبقا للتسلسل التاريخى لحدوثها .

(١) مجلس عسكرى ١٩٣٥

نعرض لما ورد بمذكراته عن فترة خدمته بالجيش حيث يروى قصة المجلس العسكرى الوحيد الذى قدم له قائلا :

(وكان أخطر صدماتى مع القواد تلك التى عرضتنى للوقوف أمام مجلس عسكرى لأول وآخر مرة فى حياتى العسكرية - كان قائد الكتيبة مشهوراً بشدته وصرامته، وكنت قد أصبحت أقدم الملازمين فى الكتيبة، وكنت أنا ومجموعة الملازمين قد قمنا بمجهود غير عادى لمدة ستة شهور فى تدريب الجنود على سلاح مدافع ماكينة، الذى كان يدخل الجيش لأول مرة، فكنا نعمل ست طوابير تدريب يومياً، وأذكر من بين هؤلاء الضباط الذين

ساهموا فى هذا العمل الشاق المضنى (صلاح الدين الحديدى - صلاح الدين محسن) وكلاهما قد أصبح برتبة الفريق أول بعد ذلك، وجاء يوم ضرب النار، وكان يجرى فى الصحراء في ميادين مخصصة له، ولما وصلنا إلى الميدان، حضر سعادة البك القائد، وترجل من على حصانه، وأخذ يصدر أوامره للجنود ولم يرض عن تحركاتهم، فقال لهم بصوت مرتفع (يلعن أبوكم على أبو اللى علموكم) فتحملتها على مضض حتى ينتهى ضرب النار، وكان سيحضره الضابط الإنجليزى الذى يشرف على التدريب، وانتهى ضرب النار بنجاح يساوى ما بذلناه من جهد، ووجه الضابط الإنجليزى شكره للقائد وللضباط وصف الضباط الذين قاموا بالتدريب، ولما عدنا للقشلاق فى العباسية، طلبت مقابلة القائد فوراً - فلما دخلت عليه مكتبه - دارت بينى وبينه مناقشة حادة أفرغت فيها كل ما كان فى نفسى من غضب، واستكتبنى بعض العبارات الشديدة التى وجهتها اليه فى هذا الحساب القاسى، فكتبتها ووقعت عليها، وكنت أوجه عبارات قاسية، ولكن ليس فيها خروج عن الأدب أو القانون، لكن كلها حق.. ولست أدرى كيف عرف ضباط الصف بالأمر، فحين خرجت وجدتهم قد وقفوا صفاً طويلاً أمام المكاتب فى حالة تظلم يريدون مقابلة القائد الذى وجه اليهم كلاماً غير قانونى فى ميدان ضرب النار، فجازاهم على جهودهم المضنية التى رفعت رأس الكتيبة عالياً جزاء سنمار، وتوجهت إلى مكتبى، ولم تمض دقائق حتى حضر إلى مكتبى قائد ثانى الكتيبة، وهو الضابط الذى يلى القائد فى الرتبة، وطلب إلى القائد الثانى أن أتوجه إلى مكتب القائد لأصرف ضباط الصف، لأنه يعلم أننى الضابط الوحيد الذى يستطيع عمل ذلك لأن ضباط الصف كلهم يحبوننى ويحترموننى، فقلت له: أنه هو قائد الكتيبة، وما أنا إلا ملازم صغير، فإذا كان هو لا يستطيع أن يصرف ضباط الصف.. فأنا أصغر من ذلك بكثير.. أما إذا كان (سعادته) واثقاً من أننى أستطيع ذلك فليحضر الىّ بنفسه ويطلب ذلك. وبعد مناقشة عن هيبة القائد قبلت الرجاء، وذهبت إلى حيث يقف ضباط الصف، وأصدرت لهم أمرى بالانصراف فانصرفوا بلا تردد، وبدل أن يشكرنى القائد على إنقاذه من موقفه الحرج، طلب تقديمى إلى مجلس تحقيق موجهاً إلىّ تهمة إحداث فتنة فى الجيش، وأمام مجلس التحقيق اتضحت الحقيقة، والحقيقة أننى لم

أكن قد حرضت ضباط الصف على سلوكهم، وكان فى كلامى العنيف أمام القائد دفاعا عن ضباطنا الذين خدموا فى السودان، وقال القائد إن الضباط الإنجليز كانوا يضربونهم بالأحذية فيتقبلون ذلك فى رضى وخنوع، وكان أعضاء مجلس التحقيق، كلهم ممن خدموا فى السودان، وكان قرار المجلس فى صالحى، ووجهوا اللوم إلى القائد، وحضر اليَّ أعضاء مجلس التحقيق ليشكرونى بأنفسهم على دفاعى عنهم وعن كرامتهم ، وكان هذا الحادث مشجعاً لى على الاستمرار فى أسلوبى فى العمل، حيث بين لى أن القائد الحقيقى للجنود هو القائد الذى يحبونه بحسن معاملته لهم، والإخلاص فى تعليمهم، وإقامة العدل بينهم، وعشت باقى خدمتى فى الجيش حتى قيام الثورة، وأنا أشعر أننى القائد الفعلى. ثم تراه يذكر فساد القيادات قائلا :

(٢) رشاوى للترقية ١٩٣٧

كما ورد بمذكراته: (أنهت معاهدة ٣٦ قيادة الإنجليز للجيش صورياً، واستبدلته ببعثة من الجيش الإنجليزى تشرف على الجيش وتدريبه، وأصبحت قيادة الجيش فى يد الضباط المصريين، وكان أول ضابط مصرى تولى قيادة الجيش هو اللواء (محمود شكرى باشا) ولازالت تنتقل إلى أن وصلت إلى اللواء (ابراهيم عطالله باشا) وفى ظل القيادة المصرية قيادة الباشاوات، فقد كان ضابط الجيش إذا وصل إلى رتبة القائم مقام يحصل على لقب بك، وإذا وصل إلى رتبة اللواء حصل على لقب باشا، ولذلك فقد كانت قيادة الباشاوات قد بدأت تفرض ضرائب على الضباط. بدأت هذه الضريبة تفرض على الضابط الذى يأتى عليه الدور للترقية إلى رتبة اللواء ليصبح فى زمرة الباشاوات، فكان عليه أن يدفع مبلغاً معيناً وإلا تخطته الترقية، والى هنا لم يشغل الأمر بال الضباط الأصاغر، ولم يهتموا به، فالرحلة بينهم وبين هذا الموقف لا تزال بعيدة، وقد قيل فى الحكم والأمثال (منهومان لا يشبعان طالب علم، وطالب مال) فازدادت الحاجة إلى المال، فهبطت الضريبة درجة أخرى وفرضت على كل من يرقى إلى رتبة تعطيه لقب بك، وكانت لها أسعار معروفة وحتى جاء زمن عطالله باشا، كانت قد هبطت إلى أن شملت جميع الرتب، وهنا بدأ الضباط الأصاغر يتحركون).

(٣) مدرس التاريخ

عمل مدرساً للتاريخ العسكرى أعوام ٣٩ - ٤١ وكان من تلاميذه بعض قادة الثورة كما يروى خالد محيى الدين ص ٢٦ من كتابه (الآن أتكلم) قائلا: (كان من زملائى مجدى حسنين - لطفى واكد - صلاح هدايت وكانوا دفعتى - ثروت عكاشة - حسن ابراهيم وكان أمباشى - كمال الدين حسين وكان شاويشاً - عبد اللطيف بغدادى وكان فى نهائى.. زكريا محيى الدين كان مدرساً لى فى نهائى - يوسف صديق وكان مدرساً أيضاً).

ويحدثنا لطفى واكد [1] وهو يصف مدى تأثير أستاذه عليه تحت عنوان البطل الأسطورى قائلاً: (منذ حوالى نصف قرن من الزمان وجدت نفسى طالباً بالكلية الحربية، وكان ذلك بسبب ظروف واعتبارات وملابسات لاداعى لذكرها لأنها ليست لها علاقة مباشرة بالموضوع - كنت قبل ذلك طالباً بالمدرسة الثانوية وكان ارتباطى بالحركة السياسية التى كانت قائمة فى ذلك الوقت يجعل أجهزة البوليس تصنف اسمى من ضمن الطلبة المشاغبين الذين يتعرضون للمراقبة والاعتقال ساعات فى أقسام الشرطة أو أيام فى السجون العامة، وكان ذلك يتم دائماً فى أعقاب ما كانت تسميه السلطة أحداث الشغب، وكنا نحن نعتبره نضالاً وطنياً ضد الاحتلال البريطانى، وضد كل من كنا نعتبرهم أعوان الاستعمار، هذا مجرد توضيح للتوجهات والمزاج الشخصى الذى كنت أعيشه قبل التحاقى بالكلية الحربية، وجدت نفسى فجأة طالباً بالكلية الحربية أتعرض مثل باقى زملائى لانضباط شديد انعكس فى وجدانى إحساساً بالقهر ونفوراً من السلك العسكرى، وبدأت أراجع نفسى فى جدوى الارتباط الأبدى بهذه الحياة العسكرية وما يمكن أن أحققه للوطن فى هذا المجال، فقد كانت البعثة العسكرية البريطانية تملك السيطرة على مقدرات الجيش المصرى. كما كان المندوب السامى البريطانى يملك السيطرة على الحكم فى مصر، وفى خلال مرحلة التوتر والتفكير كنت أكثر اتجاهاً إلى التخلص من هذه الحياة والعودة إلى

---

(١) جريدة الأهالى ٢٧/ ٣/ ١٩٩١)

الحياة المدنية والالتحاق بالجامعة حيث مجال الحرية قائم، ومجال النضال وارد.. في هذه المرحلة، وفي هذه الظروف النفسية ظهرت ومضة الأمل التي أنارت طريقي، وا ستقر أمري على التمسك بالحياة العسكرية طريقاً للنضال من أجل الوطن، ففي أحد الأيام كنا في طابور تدريب، وكان على رأسه ضابط برتبة اليوزباش لم أكن أعرفه ، كان أسمر اللون - صارم القسمات - ممتشق القوام - مهيب الطلعة - ألقى علينا هذا الضابط محاضرته ثم انتقل إلى الحديث عن البعثة العسكرية البريطانية، وعن جيش الاحتلال وعن الواجب الوطني في التحرر من النفوذ الأجنبي، وعن واجبنا في تثقيف الجنود وتحريرهم من أسطورة الإمبراطورية البريطانية التي لا تقهر، وقال كلاماً لا أذكر تفاصيله بعد هذه السنين، ولكن ماعلمه لنا كان في مثل هذا العصر وفي مثل ذلك المكان قد فاق كل التوقعات، وجدت فيه بريق الأمل والنموذج الجديد لضابط الجيش الوطني الشجاع، وقررت أن أتمسك بانتمائي للجيش، وأن أسير على درب هذا الضابط الأسطورة .. يوسف منصور صديق.)

ويروى حسن دسوقي (وهو صديقه المقرب - أحد الضباط الأحرار، وقد شارك مع يوسف صديق في عمليه اقتحام ادارة الجيش ليلة الثورة) عن تلك الفتره قائلا: (أول معرفتي بيوسف كانت في الكلية الحربية س ١٩٣٩، كان بيدرس تاريخ عسكري ملازم اول، كان ممتعا في التاريخ العسكري، وكان يدرس الحرب العالمية الأولى، فكان يشرح المعركة، وهو يشرح يسرح في تاريخ مصر نفسها، ويتكلم عن تاريخ مصر العسكري، ولذلك لم تكن حصتة جامدة، كانت حصة جميلة وممتعة).

(٤) كلية الأركان حرب:

التحق يوسف صديق١٩٤٢ بكلية أركان حرب للحصول على شهادتها، ولكنه لم يلبث أن سقط مريضاً بعموده الفقري، ويقول عن تلك الفترة في مذكراته (وفي المحاضرة التي ألقيتها في كلية أركان حرب لأحصل بها على الشهادة قلت موجهاً كلامي إلى زملائي من الضباط الدارسين ما خلاصته .. أن خلاص البلاد لابد أن يتم على أيديهم ..) وهناك قصص طريفة تروى عن تلك الفترة سنوردها.

يروى حسن دسوقى: (كان يدرس اركان حرب وهو مريض، وكان على الدارس تقديم بحث فى نهايه مدة الدرا سة يأخذ عليه تقدير. فهو اختار (لجنة التاريخ) واختار بحثا عن تاريخ الجيش المصرى، والمعارك التى خاضها وأوصافها، وكان البحث باللغه الإنجليزية لأن المدرسين فى كليه الأركان كانوا من الإنجليز، وكان رئيس البعثه الإنجليزيه ومعه رئيس هيئه أركان حرب الجيش يحضران حفل التخرج، والقياده كلها فهو اختار تاريخ الجيش وبدأ من عهد الفراعنه، وأوضح فترات الازدهار والاضمحلال للجيش المصرى وأنهى البحث بالعبارات التالية:

the egyptian army is still waiting for the pure egyptian leader) ومازال الجيش المصرى ينتظر القائد المصرى النقى). وكان الملك هو القائد الأعلى للجيش، وكان إبراهيم عطا الله باشا هو قائد عام الجيش، راح نافخ نفسه، ومنتظر الإشادة لأن القائد النقى وصل فعلا ولكنهم فوجئوا بأن قال:

but still the egyptian army is waiting the pure egyptian leader (ومازال الجيش المصرى ينتظر القائد المصرى النقى)، وعظم، ونزل، وطبعا لم يأخذ أى درجات على هذا البحث القيم، ولم يعمل بعد حصوله على شهادة الأركان فى أى مكان حساس، وكان هذا البحث يمجد البطل أحمد عرابى. بينما كان عرابى يدرس كخائن فى ذلك الوقت، وهو فى البحث وصف القائد المطلوب على انه مصرى بن مصرى طلع من الأرض وجاب أوصافه مش سايبها، بحث تاريخى معقد، كان مناضلاً شديداً، وعاش عمره كله مناضلا.

(٥) الأميرلاى عبد الواحد سبل:

شغلت هذه القضية معظم ضباط الجيش١٩٤٥ ، فلقد كانت القضية فى جوهرها هى قضية فساد، وهى قضية تصفية الأحرار، الذين يرفضون مسايرة الفساد، ولقد تحدث عن هذه القضية الأستاذ أحمد عطية الله فى كتابه ليلة ٢٣ يوليو. كما ورد ذكرها فى العديد من المقالات التى تناولت العمل الوطنى فى الجيش، أو تناولت موقف يوسف ونضاله فى

الجيش، كما ورد ذكرها فى مذكراته - وإذا كان اللواء محمد نجيب قد اعتبر أن معركة انتخابات نادى الجيش سنة ٥٢ كانت البداية الحقيقة لثورة يوليو، فإننا نستطيع أن نؤكد أن حفلة وداع عبد الواحد سبل سنة ٤٥، وهو مغضوب عليه من رئاسات الجيش وقيادات الفساد، كانت أول تحد علنى ومبكر جداً من أحرار الجيش لرموز الفساد، وقد سبق هذا الحدث تاريخ تكوين الضباط الأحرار بسنوات عدة. ولقد أحيل الرجل إلى الاستيداع ولم يرق إلى رتبة اللواء، لأنه رفض بيع ضميره، وشراء سيارات من شركة معينة طبقاً لتوجيهات القيادة العليا، ولقد كان آخر منصب له هو مدير العلميات الحربية ومعنى ذلك أنه كان أستاذ أساتذة الجيش، وطلب منه اللواء، ابراهيم عطالله باشا أن يشترى عربات للجيش من شركة معينة لكن الرجل، وقد اشترى حسب العطاء الأفضل، لم يأخذ من الشركة الموصى بها، فكان جزاؤه الطرد من الجيش، وتجمع أحرار الجيش، وعلى رأسهم يوسف ورشاد مهنا، وقرروا تكريم الرجل المطرود، وفى الحفل الذى أقيم بنادى الجيش، وحضره عدد كبير من الضباط الذين أظهروا احتجاجاً شديداً على إحالة الرجل على الاستيداع، وقد حضرت المخابرات هذا الحفل، وفيه ألقى الشاعر الضابط (محمود محمد الشاذلى) القصيدة الأولى فى الحفل، وكان أول من خطب، وألقى الشاعر الضابط (يوسف منصور صديق) قصيدة كانت آخر كلمات الحفل، ونشرت مجلة الجيش جميع الكلمات التى ألقيت فى الحفل، ماعدا قصيدة يوسف الذى نقل على أثرها إلى الإسماعيلية، حيث كان وباء الكوليرا منتشراً، وألقى القبض على جميع من ألقى كلمات أو قصائد فى الحفل، ماعدا يوسف الذى منعت الكوليرا القبض عليه.

وكانت تلك القصيدة بالذات من روائع ما قاله، وقد تحدثنا عنها بشئ من التفصيل فى حديثنا عن شعره، كما تسببت له فى كثير من المشاكل والتشريد ـ كما سيرد ذكره فيما بعد ـ وقد وصف هذه القصة فى مذكراته وصفاً أدبياً رائعاً.

يصف د. رفعت السعيد بمقاله فى مجله اليسار إبريل ١٩٩١ قائلا (بسبب الموهبه ،وربما امتدادا للتراث الأزهرى فى الأسره، يتألق الفتى شاعرا وشعره كسيفه حاد، حاسم، شجاع، وعندما يحال الأميرالاى سليمان عبد الواحد سبل الى الاستيداع، وينظم زملاؤه

الضباط حفلا لتكريمه، يدهش الجميع لجرأة الضابط يوسف صديق الذى يتحدى بشعره ظلم الحاكم، ويحرض زملاءه علنا على مشاركته تحديه له. فهو يوجه حديثه للضابط المحال الى الاستيداع :

ياصاحب القلب الكبير تحية .·. فلقد بدأت ولا أقول وداعا

حررت من قيد الوظيفة فانطلق .·. حرا وأطلق للكفاح شراعا

عار الوظيفه أن نضام بهـا إذا .·. كنا الرجال ولم نكن أتباعا

ونفوس أهل الحق تأبى حرة .·. وكريمه أن تشترى وتباعا

ويصف الصاغ حسن احمد دسوقى، ماحدث قائلا: (كان فيه ضابط فى الجيش اسمه الأميرالاى - عبد الواحد سبل - وكان معروفا عنه انه كويس قوى ومحبوب جدا من الضباط، وكان عنده مبادىء فى وقت قلت فيه المبادىء، خصوصا بين الضباط الكبار، فالجيش شاف إن الأميرالاى إذا مضى عليه ٣ سنوات ولم يرق يحال الى المعاش، فلما جاء عليه الدور أخروا النشره العسكرية عشان يكمل ٣ سنوات ويطلع على المعاش ولا يترقى لواء، وحصل فعلا ونفذ، فاجتمع بعض الضباط وعملوا حفل تكريم فى نادى الجيش بالزمالك، الضباط كانوا، يوسف صديق و رشاد مهنا ويوسف نجا وآخرين، الثلاثه كانوا على رأس المنظمين للحفله، وعدد كبير من صغار الضباط وأنا كنت منهم، يوسف صديق فى الحفلة دى قال قصيدة فى - عبد الواحد سبل - قصيدة جميلة يعبر فيها عن اللى بيحصل للضباط المخلصين الوطنين اللى بيعارضوا الحكومة والملك، القصيدة حازت أعجاب الجميع واستحسان ضباط الجيش وعملت ضجة، بعد الحفله بأسبوع وأنا كنت فى الكتيبه الأولى مدافع ماكينه بالإسماعليه، وكنت فى أجازه وقت الحفل وأنا راجع بعد الأجازه باسبوع تقابلت فى القطار مع يوسف صديق: ايه الحكايه ؟ كان أيامها واخد أركان حرب، وكان فى إداره الجيش باقوله رايح فين ؟ قال: اتنقلت الكتيبه الأولى مدافع ماكينة، قلت له: أهلا شرفت ليه ؟ قال عشان القصيده اللى قلتها فى عبد الواحد سبل، تانى يوم القصيده انطلب فى إداره الجيش وكان رئيس إداره الجيش - اللواء طه محمد - وكان من الضباط اللى يحبوا الشعر، دخل يوسف وجد القصيده أمامه وقاله: انت عملت

مـخالـفه أمس بالـنادى، انك خطبت فى النادى من غـيـر إذن من إداره الجيـش، وعشـان الضابط يخطب فى النادى لازم ياخد إذن من اداره الجيش، فرد يوسف بس انا ما خطبتش !! قاله ازاى ما هى قدامى اهيه ؟ فرد دى قصـيدة شعر الوحى نزل فى الحفله. إمتى هاخد تصريح ؟ فعقب اللواء: المهم ده تصرف غلط، وحدث احتداد على اساس أن النادى مليان مسخـره ولبخ وقال: ان الملك يروح يسكر فى النادى فلما نعمل احنا حـفله تكريم لواحد زميل لنا ونقول فيها شعر، والشعر لغه عربيه فصحي غلطنا؟ المهم نقل من إداره الجيش).

(٦) حرب فلسطين

اشـترك يوسـف فى حرب فلسـطين ١٩٤٨ وكان فى منـطقه (اسـدود) وهنا تاكـد له ولغيـره من الضبـاط فساد القـيادة فى مصـر، على أنه لم يكن محـتاجا لهـذا التاكـد. فلقد خاض مواجهات كثيره مع الفساد وعـانى كثيرا من الاضهاد والتشريد بكثره النقل ، ولعل المواجهـات العلنية والصريحة والتى تميـزت بها مواقفـه ضد الفساد قـد جعلته معـروفا من تلك القيـادات حتى أنه وهو الضابط المـمتاز فى عمـله ، والتى أشارت اليه تقـارير رؤسائه فـأكدت تفـوقـه فى عـمله، ومع ذلك فـقد تخطوه فى الـترقـيـه من رتبه الصـاغ الى رتبـه البكباشى!! ولجأ الى التظلم بكل الوسائل المتاحه ، كـان واضحا ان تخطيه فى الترقى كان بسبب تقـارير أجهزه المخابرات الحـربية التى وضعتـه فى صف المعارضين للقيـادات العليا للجيش.

ولكنه لـم يسكت عن حقـه ، وظل يكافح حتى تمت ترقيـته، وقد كتب شعـرا طريفا فى هذا الموقف نورده فى باب الشـعر!! ويروى رفيق دربه حـسن دسوقى ذكـرياته عن حرب فلسطين قائلا :

الموقع اللى اشتـغل فيه يوسف فى فلسطـين اسمه (الاوبى) هو اللى كـان مسميـه كده اختـصارا (نقطه مـلاحظه) (OPSERVATION-POINT)، الجـيش المصرى كـان فى حرب فلسـطين عامل الخط ، الجيـش ناشر نفسـه كخط من أول رفح وطالع وطالـع لغايه اسدود اللى كـانت أقرب نقطه الى تل ابيب، بيـنهم شريط كانوا مـسمينـه (زلومه يوسف

صديق) وكان التكتيك المتبع قديما. لان فيه حاجات كـانت أحدث من كده. لأنه كان من الممكن مع وضع القوات بهذا الشكل أن القوات المعاديه تكسره فى أى حته ضعيفه وتخش تضرب فـى الاجناب وتضعف الجيش ،وكان فيـه واحد اسـمه احـمد فؤاد حـسن - الله يرحمه - كان صـاغ قديم قدم اقتراح وهاجم الخط ده وقال: ان احنا المفروض نعمل دفاع دائرى ، دفاع جزائر ، دفاع من جـميع الجهات (ALL ROUND-DEFENCE) اللـى يقتحمه يتـبهدل ، فجاء أحمد فؤاد بالاقتراح وقـال ايه رايكم ؟ وكان صديقا لى وليوسف قلت له (حاير فدوك لأنك قلت الصح) قال زى بعضه، خـد التقرير وقدمه وتانى يوم احيل الى الاستيداع!!

يوسف مقتنع بالفكره فـراح عامل السريه بتاعتـه، وطبق الفكره وعمل هذا الموقع وقال انها نقطه ملاحظه ، يعنى اقنعهم. لانه كان عـايز ينفذ هذه الطريقه بأى شكل، وفعلا عمل موقع كان شـوكه فى وسط ٣ مستـعمرات يهود، والموقع ده سبب خـسائر كثيـره لليهود ، حتى فى ايام الهدنه. يعنى فى ايام الهدنه كان فيـه عدد من الجنود (ماكنش فيه مؤهلات فى الجنود) حراميـه، خطافين هجامين كان يوسف ياخدهم ويـعمل دوريه ويطلع بيهم وينطوا على البيـوت بتاعت المستعـمرات اللى قدامه ، وسـرقوا حاجات من البـيوت ، مش حرب كان بيتسلى عليهم فى الهدنه!!

كان عنده طاقه من الجساره مش عند حد ، كان جسورا جـدا ، أنا شخصيا ما شفتهاش عند حـد مش. عارف ده كـان شدة إيمـان!! كان مـؤمنا جـدا واشتـهرت (زلومـه يوسف صديق) وبدات الناس تقتنع بالفكره دى، ولو ان ملحقناش ننفذ لأنه حصل انسحاب من فلسطين فى أواخر ١٩٤٨ لغزه، وكانت كارثه وسببها الخط القديم برضه!!

مره كتب شكوى فى فلسطين قصيده للوزير - حيـدر باشا - وبعتها بالطريقة القانونية قائد الكتيبه بعـتها لقائد اللواء قـائد قوات فلسطين ، فـاركان حرب اللواء رد القصـيده ، وقال الضابـط ده يكتب شكوى باللغه العاديه ، فهـوه رد عليهم كتابه قـال قولولى اولا أنا كاتب القصـيده بأرقى أنواع اللغه. لأن الشعر هو أفـصح مراتب اللغه العربيه، فـتقولوا لى الاول السيد الوزير يفـهم فى الشعر والا ما يفهمش، اذا كـان بيفهم ابعتوا له القـصيده، ما

بيفهمش فى الشعر قولوا لى علشان اكتبها باللغه العاديه ، فطبعا بعتوها وكان يقول فيها :

قل للوزير غمرتنا إحسانا .·. ونشرته حتى على موتانا

قل للوزير وقد تبين حقنا .·. وولاؤنا ما باله ينسانا

إنا لنطلب حقنا لا نبتغى .·. من فضله جودا ولا إحسانا

(٧)السودان

حفلت فتره وجوده بالسودان ١٩٥٠ بعديد من الأحداث، فخلالها كان يعمل أركان حرب القوات المصريه في السودان وتصادم مع رئيسه اللواء قائد القوات ، لما لاحظه من تصرفات اعتبرها غير كريمه من هذا القائد ، (وقد ورد بمذكراته) ، وتمكن القائد من نقل يوسف من السودان بعد مواجهات عنيفه من يوسف، وتكمل زوجته السيدة عليه توفيق بقيه القصه قائلة : (تمكن القائد بعد ذلك من نقله من السودان وحل محله الضابط - حسين ذو الفقار صبرى - ونقلنا الى منقباد ، وقد طلب يوسف من اداره الجيش الا يكتب - قائده السابق فى السودان - التقرير السرى عنه لوجود خلاف بينهما ، وفوجيء يوسف فى أحد الايام بوصول تقريره السرى اليه وقد كتبه قائده السابق ، وذلك للرد على ماجاء به، وإرساله ثانيه الى إداره الجيش، فرد يوسف على ذلك كتابه قائلا: وصل كتابكم رقم كذا بتاريخ كذا بخصوص كذا ، وقد قمنا بإعدامه!! ثم أرسل هذا الرد الى اداره الجيش، ومزق التقرير وألقاه فى سله المهملات ، وظلت المراسلات بينه وبين اداره الجيش حيث لم يفهموا رده حتى تضخم الملف ، ثم قامت الثوره ٥٢ وقررت تقديم قائده السابق فى السودان - الى المحاكمه ، وكلفت يوسف بمحاكمته ولكنه رفض قائلا:

كيف أحاكم رجلا كان بينى وبينه خصومه ؟ لا أقبل أن أكون حكما وخصما فى نفس الوقت!! وحوكم القائد السابق ولم يتدخل زوجى، وحدث بعد ذلك أن زارنا القائد السابق بمنزلنا بثكنات العباسية، وأراد زوجى أن يبين له عدم تدخله فى محاكمته، فقال له القائد: انى عرفت موقفك وانك أرجلهم !!.

(٨) محامى بالجيش:

ومن طريف ما يروى عن حياته بالجيش أنه قد عرف ببلاغته وفصاحته مما دفع زملاءه الضباط الى الاستعانه به فى الدفاع عنهم أمام المجالس العسكرية، وكان قانون المحاكمات العسكريه يسمح للضابط المحال الى المحاكمه بأن يستعين بمحامٍ من خارج الجيش مع صديق من الضباط يساعد المحامى المدنى فى الدفاع عنه، ولكن بعض الضباط لم يكن عندهم المقدره لتوكيل محامٍ مدنى فكان يكتفى بضابط يدافع عنه، وقد أشتهر يوسف بأنه محام بارع يحفظ القانون، طلق اللسان، شجاع الرأى، خطيبا مفوها يستطيع بقوه منطقه أن يقنع القضاة، وهو ما دفعنا الى محاوله إلقاء الضوء على هذا الجهد التطوعى الذى كان يقوم به من أجل نصرة زملائه المظلومين من الضباط، والذى يلقى الضوء على هذا الجانب الهام من شخصيته، وبالطبع كانت تحدث مواقف طريفه فى مثل هذه المحاكمات. خاصه إذا كان المحامى مثل تلك الشخصيه المتميزه .

يروى لنا حسن دسوقى بعضا من هذا الجانب المجهول من حياته: (كان من الممكن لأى ضابط أن يترافع أمام المجالس العسكرية العليا، وكان يوسف دايما بيشتغل محامى فى المجالس العسكرية العليا لطلاقة لسانه، لأن المجالس العسكريه مش بيدافع عنك محامى أو ضابط عنده ليسانس حقوق، يعنى ممكن لأى ضابط يترافع أمام المجالس العسكريه العليا، فهو كان معروف وسط الضباط بالحكايه دى، وكان أى ضابط يحاكم يجيبه يترافع عنه، حتى اللى كان بيجيب محامى مدنى كبير مشهور كان بيجيب يوسف صديق - كصديق - لأن المتهم فى المجالس العسكرية من حقه يجيب محامى، وصديق - المحامى يترافع والصديق يلفت نظر المحامى فى بعض النقط اللى تفوته، ودى طبعا لكفاله حقوق المتهم.

ومن الطريف أنه فى أحد الأيام أنه كان مره بيشهد فى مجلس عسكرى - أى أنه كان شاهدا وليس محاميا هذه المرة، فالشاهد يدخل، يضرب تعظيم سلام، رئيس المجلس يقوله أقعد، الشاهد يقعد، ويوسف كان مريضا بظهره فى ذلك الوقت، فدخل عظم والرئيس قاله اقعد، والمجلس مكون من ٧ لواءات على المنصه، وكان اللى بيترافع مع المتهم المحامى

الكبيـر حماده الناحل - مشـهور قوى -، فيـوسف ما كانش يرتاح فى القـعده إلا إذا حط رجل على رجل عشان ظهره، فقعد وسند ظهره وحط رجل على رجل وفى وسط الجلسه، المحامى بيترافع بهمه ومندمج فى المرافعه، وفجأة قطع المرافعه صوت رئيس المجلس - كان شاهين باشا قائد المدفعيه فبص له وقـاله: يافندى انته قاعد حاطط رجل على رجل؟ وفجأه قـال له نزل رجلك، فاللى حـصل أن يوسف كـأنه تمثال، ولـم يرمش له جفن ، ورد عليـه وقاله: هوه انته واخـد بالك من رجلى ومش واخد بالك من المحامى اللى عـمال يهاتى من الصبح !! طبعا الرد ده والتصرف ده ماحدش يتصرفه غير يوسف صديق، يعنى مثلا كان نزل رجله، لم يتحرك أو يفكر فى الرد ولكن رده كان سريعا، وطبعا الجو اتكهرب ورفعت الجلسه وقبل رفعها قاله نزل رجلك، فرد قاله لا. أنا دخلت وعظمت قلت لى اقعد (كتاب البياده للمشـاه) أقعد زى ما أنا عايز - كتاب البياده مـا وصفش ازاى أقعد - يعنى وصف انتباه ازاى ادينا فى الخلف خياطه البنطلون القـدمين حرف ٧، استرح يعنى ١٢ بوصه يعنى محدد. لكن أقـعد دى ما وصفهـاش ما قلش أقعد حاطط رجل على رجل، اقـعد مربع - كتاب البياده ماقلهاش وما تعلمناش، وكل ده وهوه حاطط رجل على رجل، دى تدل على ازاى سرعه البديهة وسرعه الرد، قوة ومنطق!!

(٩) تنقلات يوسف صديق فى الجيش:

نلقى نظرة عامة على المواقع التى خدم فيهـا من سنة ٣٣ حتى ٥٢ أثناء خدمته بالجيش، ونقصد من هذا أن نلقى الضوء على مدى الاضطهاد والتشريد الذى عانى منه الرجل.

عـين يوسف صـديق بعـد تخـرجـه عـام ٣٣ فى السلوم، ثم نـقل إلى منشـيـة البكرى بالقاهرة، ثم إلى المعادى، ثم إلى الإسكندرية فى الدخيلة - كتيبة مدافع ماكينة سنة ٣٧، ثم منشية البكرى، ثم مرسى مطروح سنة ٣٨، ٣٩، ثم مـدرساً بالكلية الحربية سنة ٣٩ - ٤١، ثم التحق بكلية أركان حرب سنة ٤٢، ثم السجلات العـسكرية، ثم الإسماعيلية بعد حفلة وداع عبد الواحد سـبل سنة ٤٥، ثم إلى أسوان، ثم إلى القاهرة، ثم إلى فلسطين سنة ٤٨، ثم إلى القـاهرة، ثم إلى السودان سنة ٥٠، ثم مـنقبـاد، ثم القاهرة، ثم إلى القنطـرة غرب،

والى القنطرة شـرق، ثم إلى العريش سـنة ٥٢، ثم إلى القاهرة، حـيث قام بالثـورة فى ٢٣ يوليو سنة ٥٢ .

ويروى حـسن دسوقى فى ذكـرياته عن يوسف قـائلا: (احنا كنا نحب السـهـر بالليل، شعر. قـراءه، كتب مصطفى الرافعى بتركيـز، قرأنا دواوين شعر عنتره والمتنبى والبـحترى، كلها كانت جلسات قراءه عميقه، وقراءه بدرا سه وتوعية، يوسـف صديق كان له اشراقات جمـيله جدا للتـفهم، ويمكـن يقول حاجـات المؤلف ما يقـصدهاش ولا على ذهـنه، كان إنسان وفنان وشـاعر رقه الدنيا كلهـا فيه وتمتعه بالجـمال ورؤيته أينما كـان أو وجد، يعنى ينظر فيرى الجمال فيـستخرجه ويبرزه من حاجه ماحدش شايفها، فـمثلا كان فيه طريق فى الاسماعيليه به نخل مدهون جزوعه متر ونص باللاكيه الأبيض جميل جدا، فكنا نمشى بين الطريقين دول فكان هوه مـسميها مـسابقه جمال السـيقان زمان زى مـارلين ديتريش، كان انسان له علاقات كويسه جدا، وكان عنده وفاء كامل للأصدقاء وما يعرفش الخبث ويحب كل الناس).

يروى ولده حـسـين تـلك القـصـه: (نقل والدى من السـودان الى مـنقـبـاد فى أوائل الخمسينيات، وكان قائد الفرقه اللواء عبد الرحمن مكى: الذى قبض عليه والدى بعد ذلك ليله الثوره لحظه خروجه من المعـسكر: وكان والدى قائد ثان الكتيبه، وكان ملحـقا بالفرقه وحدة خـياله، وذات يوم توجـهت وشقـيقى مـحمـود ، كنت انا فى المرحله الابتدائـيه الى وحده الخياله وطلبنا ان نركـب الخيل ورفضوا وطلـبوا تصريحا من قائد الفرقه اللواء مكى، فتـوجهنا الى والدى وروينا له ماحـدث فقال لنا توجـهوا للواء مكى واطلبوا تصـريحا منه واذا رفض قولـوا له :علموا اولادكم الرمـايه والسبـاحه وركوب الخـيل ، ثم قولـوا له قال تعالى : «وأعدوا لهم مـا استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبـون به عدو الله وعدوكم» (صدق الله العظيم)، وفـعلا نفذنا ما قـاله لنا، فقال لنا اللواء مكى: طبعـا ده كلام ابوكم؟ فقلنا: نعم. فضحك وسمح لنا بركوب الخـيل، لقد كان والدى حريصا على ان يعلمنا منذ الصغر الرمايه. فكان يشترى لنا البنادق الرش، والسباحـه حتى أن المنطقه التعليميه بأسيوط كانت تـزمع انشاء فريق سـباحـة عندما شـاهدونى فى حمـام السبـاحه وأنا أقفـز من على

المرتفعات المختلفه رغم صغر سنى فى ذلك الوقت. الا أننا نقلنا قبل أن يتحقق ذلك، كان يشجعنا على ممارسه الرياضه. فكان محمود صديق أحد أبطال سباق الدراجات) .

وما لبث يوسف صديق أن أصبح معروفا بوقوفه ضد الفساد ، مما جعله فى مقدمة الضباط الوطنيين، واكتسب مكانة بين زملائه وتلاميذه ، وقاده الاهتمام بقضايا الوطن الى الاتصال بالأحزاب والتنظيمات التى كانت قائمة على الساحة السياسية، حتى التقت أفكاره مع أفكار تنظيم (حدتو)، فتأثر بالفكر الاشتراكى الذى عمق من فكره السياسى ، وزاده ايمانا بأهمية الديمقراطية ، وسنعود لعلاقته بالشيوعين فى فصل لاحق .

كانت الثورة تتأجج فى جوانحه، والرغبة الصادقة فى التغيير، فأعد نفسه وأخذ يطور من ثقافته بالاشتغال بالعمل السياسى السرى، من مو قع شدة التعاطف مع الفكر اليسارى فى ذلك الحين، وقد لفت يوسف أنظار السلطة اليه ، كما لفت أيضا أنظار الضباط الأحرار، وكذلك التنظيمات السياسية. فأما السلطة. فلقد طاردته أجهزة المخابرات ، ولاحقته بتقاريرها أثر نشاطاته السياسية، بينما عمدت قيادات الجيش الى كثرة نقله من مكان لآخر ، وأرهاقه بالعمل المتواصل . وأما الضباط الأحرار فقد سعوا الى ضمه اليهم .

مع الضباط الأحرار

انضم يوسف صديق إلى تنظيم الضباط الأحرار فى أكتوبر سنة ٥١ وكان برتبة البكباشى فى القنطرة شرق، وكان الضابط (وحيد رمضان) هو الذى فاتحه فى الانضمام إلى الضباط الأحرار، فوجد فى منشوراتهم خطاً وطنياً يعبر بصدق عن أهداف الشعب فى الحصول على حياة ديمقراطية سليمة، وعندما انتقل إلى العريش كان هو المسئول عن تنظيم الضباط الأحرار، وقد شاركت زوجته السيده عليه بشكل إيجابى فى مساعدته فى تلك الفترة. غير أن يوسف صديق يحكى هذه القصة فى مذكراته (لاحظت أثناء قيادتى للكتيبة الأولى مدافع ماكينة بالقنطرة شرق أن بعض الضباط الأصاغر يقومون فى موعد ثابت كل يوم عند المساء بالتجمع، ويخرجون إلى جهة ما كأنهم يقومون بعمل معين، وكان أكثرهم تحمساً لهذا العمل اليوزباش (عبد المجيد شديد) بمناقشته علمت منه ومن شركائه فى هذا

النشاط أنه كانت هناك خطة موضوعة لنسف سفينة وإغراقها فى قناة السويس بواسطة لغم وأن اللغم وصل بالطائرة إلى العريش بواسطة ضباط الطيران الأحرار، وأن هذا هو موضوع نشاطهم لإحضار اللغم استعداداً لتنفيذ الخطة عند صدور الأوامر. كانت مفاجأة لى أن أكتشف أن هناك عملاً خطيراً كهذا يكلف به ضباط تحت قيادتى وأنا لا أعلم عنه شيئاً. فلما كاشفت جمال بذلك فى أول لقاء بعد علمى بهذا الموضوع، أخبرنى بأن هذا العمل كان مقرراً قبل أن أتولى قيادة الكتيبة وأن عدم علمى، ربما جاء نتيجة بعض أخطاء فى العمل وأنها لم تكن مقصودة.

فى مقال لعبد الله أمام (الأحرار ٥ - ٧ - ١٩٨٢) يقول على لسان صلاح نصر: (كنت أقوم بتوزيع منشورات الضباط الأحرار وأتشاور معهم فى أسماء الضباط الذين يمكن تجنيدهم، فى سبتمبر ١٩٥٠ كان عبد الحكيم عامر أركان حرب سلاح المشاه، أخبرنى أن التنظيم قد أمر بتعيينى فى الكتيبه ١٣ التى كانت متمركزه حينئذ فى منطقه أبو عجيله، والتى ستنقل بعد شهرين الى العريش، وأنه هو نفسه سينقل الى الفرقه الرابعه فى رفح، وأصدر لى تعليمات بأننى سأنضم الى خليه رئيسيه مقرها العريش، وكانت الخليه تتكون من عبد الحكيم عامر وصلاح سالم اللذين كانا يعملان فى الفرقه الرابعه فى رفح، ويوسف صديق وكان بالعريش، وعبد المنعم عبد الرؤوف، وكان قائد كتيبه مشاه وقائد الطيران بالعريش جمال سالم، وقائد سريه بالكتيبه ١٣ هو صلاح إبراهيم سعده، والطيار بهجت، كانت اجتماعاتنا تعقد فى منزل يوسف صديق بجوارمحطه العريش وقد سهلت الالتقاءات بعد أن انتقلت الكتيبه ١٣ من أبوعجيله للعريش فى نوفمبر ١٩٥١ وكنت أعمل بها أركان حرب للعمليات والتدريب، ومن الطريف أن التحق بالكتيبه حديثا قائد ثان قدم من القاهرة منقول من المخابرات الحربية، وكان من عادته أن يذهب يوميا الى محطه العريش يسأل عن خطابات خاصه يحضرها مندوب له من القاهره يصل يوميا فى القطار، ولمح سيارتى الجيب بجوار منزل يوسف صديق فأخذ يراقب تحركاتى حتى تبين له أننى أتردد على منزل يوسف صديق. فسألنى فى أحد الأيام ماذا تفعل فى منزل يوسف صديق ألا تعرف انه شيوعى ؟ وأخبرته أن (يوسف) صديق قديم، وأخبرت زملائى فى

التنظيم بما حدث. فأخذنا اجراءات أمن شديده حتى لايعرف أحد شيئا عن اجتماعاتنا).

وتروى زوجته السيده عليه قائله: (كان يوسف قد انضم الى الضباط الأحرار أثناء وجوده فى القنطره شرق ثم انتقل الى العريش وأصبح مسئولا عن المنطقة، وقد ذكر ذلك فى مذكراته كما ورد ببعض الشهادات، وكانت منظمه حدتو قد أنشات تنظيما خاصا فى الجيش، وتعاونت مع تنظيم الضباط الأحرار. وقد ورد ذلك فى شهادات حمروش وخالد محيى الدين وغيرهم، وما أن وصلت الى العريش وعرفت من يوسف أمر انضمامه الى الضباط الأحرار حتى ناقشته فى كيفيه إنشاء خلايا التنظيم، وكان تفكيره متجها الى اعتبار الجنود هم القاعده، ثم صغار الضباط، ثم كبارهم، ولكنى أبديت رأيى فى أن الجنود لايصلحون قاعدة. نظرا لأنهم مجندين يتركون الجيش، وانما يجب توعيتهم فقط. أما القاعده فتكون من صغار الضباط الشباب، ونظرا لأن تنظيم الضباط الأحرار كان مرتبطا بالشيوعين خاصه حدتو فيما يتعلق بتكوين الخلايا ونظام المنشورات ولغتها. حتى أنه بعد حريق القاهره انتقلت عمليه طباعة المنشورات الخاصة بهم الى حدتو بالكامل. لذلك لم يكن غريبا أن أجد تطابقا فى الفكر السياسى الخاص بى مع اتجاه تنظيم الضباط الأحرار وهو ما دفعنى الى التعاون التام والمساعده، ولما كان بيتى هو مقر الاجتماعات الأسبوعى للضباط الأحرار. فلقد لجأت الى تامين تلك الاجتماعات الخطيره بان كانت تتم تحت ستار لعب الورق (الكانستا) ومن خلالها يجلس الضباط الأحرار يلعبون وهم فى الواقع يناقشون شئون التنظيم، وكانت المنشورات تنقل اليهم عن طريق حسن إبراهيم وجمال سالم بمطار العريش، وكنت أقوم بنقل المنشورات وأشارك فى توزيعها بوا سطه دبابيس الرسم حيث كنت أثبتها على المحلات التجارية والأماكن العامة وأحيانا إيداعها صناديق البريد الخاصه فى العمارات، وعندما لاحظت تجمع السيارات حول بيتى أشرت بتفريقها حتى لاتلفت الأنظار، ومن الذين كانوا يترددون على بيتى: محمد السقا ، وحيد رمضان، عبد المجيد شديد، عامر، صلاح سالم ، عبد المنعم عبد الرؤوف، صلاح نصر، وغيرهم ممن أصبحوا بعد ذلك من كبار رجال الثورة !! وعندما صدر الأمر بنقل كتيبه مدافع ما كينه الى القاهره فى ١٣ يوليو ١٩٥٢ تمهيدا لسفرها الى السودان، وتحركت مقدمة الكتيبه بقيادة

يوسف للقاهره، كنا منقولين فى العاشره صباحا الى مصر، وكان فى بيتى بعض المنشورات للضباط الأحرار، وكان معنا عبد المجيد شديد، محمد السقا، عبد الخالق صبحى، وكانت المنشورات عندى وركبوا هم فى الدرجه الأولى. أما نحن (سهير - محمد - محمود - حسين - نعمت) ومعنا سمير شقيق محمد السقا، فقد ركبنا فى الدرجه الثالثه، وكنت أحمل المنشورات فى طيات ملابسى، ثم وزعتها بعد ذلك على صناديق البريد ببعض العمارات عندما وصلت الى القاهره - وكانت مقدمة الكتيبة تلك هى التى قامت بالعمل الحاسم ليله ٢٣ يوليو بقياده يوسف صديق، وعلى ذلك فأستطيع أن أقول إننى كنت السيدة الوحيدة من نساء الضباط، التى ساهمت فى العمل الثورى ، وتوزيع المنشورات وخاصه فى منطقه العريش).

يروى حسن دسوقى قائلا: (أنا انضميت الى الضباط الأحرار عن طريق حمدى عبيد فى أواخر ٥١ وأنا كنت عارف من يوسف صديق، هوه اللى قاللى أنه فى تنظيم الضباط الأحرار، وقاللي اتصل بحمود سليمان، كان هوه مسافر، وبعدين أنا باشتغل تحت قياده حمدى عبيد حتى يوم قيام الثورة).

عشية الثورة

كان يوسف صديق شديد الاقتراب من قلوب ضباطه وجنوده، فبيته كان دائماً مفتوحاً لهم يستقبلهم فيه، وقلبه كان دائماً مفتوحاً لكل مشاكل مساعديه يحاول جاهداً أن يحلها.

على سبيل المثال فإن أغلب مساعديه طيلة فترة خدمته كانوا دائمى الزيارة له فى منزله، حتى أن مساعديه ليلة قيام الثورة كانوا شديدى القرب منه، لذلك نجد أن ضباط مقدمة كتيبة مدافع ماكينة وجنودها الستين الذين قاموا بالعمل الحاسم تحت قيادته، وهى قوة تحركت من العريش إلى القاهرة لتعد المعسكر لاستقبال باقى الكتيبة. فهى قوة إدارية أساساً وتسليحها بسيط. وجنودها من الحرفيين، وليسوا من الجنود المقاتلين بالدرجة الأولى، لكن هذه القوة البسيطة هى التى قامت بالعمل الباسل الحاسم، وذلك بفضل أسلوب يوسف صديق فى قيادة ضباطه وجنوده. فهى علاقة مبنية على الاحترام والحب والصدق،

وحتى نبين ما نريد قوله نورد المثال المقارن التالى..فى ليلة ٢٣ يوليو يقول القائم مقام (أحمد شوقى) قائد ك ١٣ أنه اتفق مع البكباشى (زكريا محيى الدين) على أن يقولا لجنودهم أن الإنجليز قد يهاجمون البلد، وأن خروجهم هو من أجل ذلك كتغطية للخروج والاشتراك فى الثورة.(كتاب احمد عطيه الله). وهو يتحدث عن ليله الثورة.

ويقول خالد محيى الدين ص ١٤٧ (حوالى العاشرة والنصف مساء أعلن يوسف صديق حالة الطوارئ فى قوات مقدمة كتيبة مدافع ماكينة، وكان قائداً ثانياً لها، وكان معه الضابطان (عبد المجيد شديد)، (محمد السقا) وقبل ساعة الصفر وقف يوسف صديق خطيباً فى قواته لم يخف شيئاً فقد ألقى خطاباً نارياً مؤكداً أنهم وأولادهم سوف يفخرون بما ينجزون هذه الليلة ..) (٢)

والفارق واضح بين تصرف كل من القائدين فيوسف صارح جنوده وضباطه بحقيقة الدور المطلوب منهم، وهو القيام بثورة والتصدى للفساد والقضاء عليه. لذلك فلم يكن عجيباً أن تؤدى تلك القوة البسطية هذا الدور الكبير بمثل ذلك الإتقان، وكانت النتيجة التى جناها القائد من سياسته مع جنوده أن أجادوا أدوارهم إلى الحد الذى جعله يطمئن على تصرف سائقه عندما جعله حارساً على ثلاثة من كبار القادة الذين قبض عليهم.. ويقول خالد محيى الدين (وعند نزول القوات من سياراتهم فوجئ يوسف صديق أمامه بالأميرالاى (أحمد سيف اليزل خليفة) (٣). فاعتقله وترك سائقه حارساً على ثلاثة من أكبر ضباط الجيش وأمره بإطلاق النار عليهم لدى أى محاولة منهم للهرب..).

وما نريد توضيحه هنا أن أسلوب يوسف مع جنوده جعل منهم أبطالاً فى كل موقف. وللقارئ أن يتصور موقف ذلك السائق لو أن قائده كان قد أخبره أنه خارج لملاقاة الإنجليز عندما يجد أن قائده لم يصدقه القول ، هل كان لمثل ذلك السائق أن يسيطر على ثلاثة قادة وأن يحرسهم ..؟!!.

ويروى حسن دسوقى قائلا: (كان قائدا عسكريا ممتازا، وعلاقته بالجنود والضباط جيده

---

(٢) لم يرد اسم محمد السقا فى مذكرات يوسف عن تلك الليلة.

(٣) لم يرد اسم احمد سيف اليزل فى مذكرات يوسف عن تلك الليلة.

جدا ومتينه، الواحد لما يدخل معركه تحت قيادته يبقى مطمئن لحسن تخطيطه، جساره وشجاعه في الوقت نفسه. لانه يجيد التخطيط للمعارك) .

فإذا أستعرضنا ماحدث يوم ٢٢ يوليو ١٩٥٢، فأين كان يوسف صديق ؟ وماذا فعل؟، وكيف ذهب إلى موقعه؟، قبل أن تبدأ ساعة الصفر؟ .. وقبل أن يبدأ دوران عجلة التاريخ فى وطننا مصر ، وقبل أن تقوم الثورة ، فإننا نلقى الضوء على تلك الأحداث من شهادات الأحياء ممن عاصروها .

تروى ابنته السيدة (سهير): (ليله ٢٣ يوليو ٥٢ حضر أبى الى منزلنا فى حلمية الزيتون، وعلمت منه أنه في طريقه الينا ،كان معه الأستاذ محمود توفيق ابن خاله -الذى تزوجنى بعد ذلك - وأخذه الى الدكتور عبد العزيز الشال بشبرا حيث أعطاه حقنه لوقف النزيف الذى كان يخشى أن يعاوده ليلا. لأنه سيقضى الليل فى المعسكر، وأنه جاء ليسلم علينا، ويعطى والدتى بعض النقود، ويسألها أن كانت تحتاج شيئا ، وكان والدى دائما يتفاءل بها قبل قيامه بأى شيىء، ولاحظت والدتى أنه كان فى حاله انفعال شديد ، وفى عينيه بريق غريب وشعره مهوش والبوشرت الرسمي مفتوح الصدر فقالت له - مالك يايوسف عامل كده، ماتكونش رايح تفتح عكا ؟؟ - وكا ن قد نزل على سلم التراس فاستدار راجعا اليها وسألها باستغراب - لأنها لم تكن تعرف شيئا عن موضوع الانقلاب - ماذا قلت ؟ فأعادت ما قالته فرد عليها قائلا: نعم سأفتحها، وانصرف . وفى صباح اليوم التالى أرسلت حرم محمد نجيب تطلب والدتى للزياره، وكانت صديقتها وجارتها. فلما ذهبت والدتى سالتها عن والدى فقالت لها انه فى المعسكر فأخبرتها بأمر الانقلاب العسكرى والبيان الذى أذيع فى الراديو، ولم تكن والدتى تعرف عنه شيئا فعادت مسرعة الى المنزل، وأخذنا فى الأستماع الى البيان والى أخبار الانقلاب).

ويروى زوج ابنته وابن خاله الأستاذ محمود توفيق ذكرياته عن تلك الليله قائلا: (كنت أعلم أن يوسف صديق قد انضم الى تنظيم الضباط الأحرار، وأن هذا التنظيم يحضر لعمل ثورى، وفى يوم ٢٢ يوليو ٥٢ كنت أزوره بمنزله بحى شبرا، بجوار شارع خلوصى فأخبرنى بأن الضباط قرروا القيام بحركتهم الليلة، وأنه سيشترك فى هذه الحركة، ثم

جلست أناقشه محاولا التأكد والاطمئنان الى صواب هذا العمل ، ومدى الثقه التي يوليها للمشاركين فيها من ناحيه توجههم الوطني ، ومدى صدق وطنيتهم ثم مدى إمكانيه الثقة الشخصيه فيهم، وأدركت من ردوده أن ثقته بمن يعرفهم من أعضاء هذا التنظيم لاتتزعزع ، كما أدركت أنه لا يوجد شيء يمكن أن يوقف اندفاعه في المساهمه في هذه الحركه ، فتمنيت له التوفيق وأنا أضع يدى على قلبى ، ثم طلب منى أن أرافقه في رحلته الى حيث يبدأ عمله في هذا الشأن، فخرجت معه من بيته، وكان ذلك في بدايه المساء حوالى الساعه السابعه مساء تقريبا ،ومشينا في شارع خلوصى الى دوران شبرا ، وهناك طلب منى الانتظار للدخول الى عياده الدكتور - عبد العزيز الشال - الذى كان يعالجه من نزيف الرئه،لأخذ حقنه توقف النزيف وانتظرت الى أن دخل، وأخذ الحقنه كما أخبرنى، ثم خرج وتوجهنا الى محطه الأتوبيس وركبنا اتوبيس رقم(٨) الذى سار بنا من شبرا الى ميدان العتبة، وفي العتبة نزلنا وركبنا اتوبيس رقم (١٠) المتجه الى مصر الجديدة، وهناك نزلنا في محطه روكسى في اول مصر الجديده وانتظرنا على المحطه بعض الوقت حتى حضرت سياره جيش من نوع بيك اب فتوقفت واستقلها يوسف، مع من كان بها أذكر انه كان بها أحد الضباط والسائق، ومضت السيارة في طريقها الى معسكر هاكستب، وعدت أدراجى، وظللت لا اعرف شيئا عما يحدث إلا في صباح ٢٣ حيث كنت أنتظر سماع الأخبار في الراديو، فسمعت البيان الصادر من قياده الجيش باسم اللواء محمد نجيب، والذى أعلن قيام حركه الجيش ، وعلمت أن الحركه قد نجحت في الإمساك بزمام السلطه في الجيش، ومن ثم انفتح أمامها الطريق الى السلطة) .

الباب الثانى

أحداث ليلة الثورة

ظلت حقيقة أحداث ليلة الثورة مبهمة لسنوات طويلة ، فلم يكن مسموحا بتنا ولها حتى ١٩٨١ حين بدأت الأقلام تتحدث عن تلك الأحداث ، وبدأ اسم يوسف صديق يرتبط بأحداث ليلة الثورة ، وكأنما قد برز فجأة كبطل أسطورى . وأخذت الاحتفالات السنوية فى ذكرى قيام الثورة ، تتحول الى ما يشبه ساحة محاكمة، لرموز النظام ، بينما بدأت تظهر الكتب التى تلقى الضوء على أحداث ليلة الثورة بشكل خاص ، كما ظهرت كتب سياسية وتاريخية عن الثورة ، وقد تعرضت جميعها لأحداث تلك الليلة . وتعددت الروايات ، واختلفت ، فى ذكر الأحداث، بل وتعارضت أحيانا ، ولكنها اتفقت على أن يوسف صديق كان بطلها بلامنازع ، وقد كتب الرجل مذكرا ته عن أحداث تلك الليلة ، ولكنها لم تنشر كاملة الى اليوم ، صحيح أنها قد تسربت، ومنها عرف كل من كتب عن دور يوسف صديق بعض تفاصيلها ، ولكن كان من العجيب أن يكتب من كتبوا عن تلك الليلة ، بينما شهادة الرجل الذى قام بالعمل مخفاة لايعرف بها أحد ، وليس فى مقدور كل شخص أن يعرفها ، وقد نجد العذر لتصرفات رموز النظام فى فترات سابقه، (إذا ما لجأ الى الزيف) ، لكن المسألة الآن هى التاريخ ، لذلك فإن هدفنا وضع أكبر قدر من الحقائق أمام القارىء أو الباحث .

ومرجعنا فى ذلك هو مذكرات يوسف صديق (ليلة عمرى) ، حيث نستعرض ماورد بها ، وكذلك شهادة كل من (اليوزباشى) عبد المجيد شديد وهو مساعد يوسف فى تحركه ليلة الثورة ، وكذلك شهادة (الصاغ) حسن أحمد دسوقى الذى كان أول من لحق بيوسف بعد اقتحامه مبنى رئاسة الجيش والقبض على رئيس أركان حرب الجيش الملكى .

ثم نلقى الضوء على أهم نقاط الخلاف عن أحداث الليلة، ونتناولها بالشرح والتحليل فى محاولة للوصول الى الحقيقة ، وأخيرا نتعرض للروايات التى جانبت الحقيقة عن أحداث الليلة ، لأغراض مختلفه ، فنرد عليها ، ونكشف زيفها ، حتى إذا ما روى التاريخ بعد ذلك عن ثورة يوليو ، أكد الحقيقة ، و أسقط الزيف .

(١) ليلة عمرى

حفلت مذكرات يوسف صديق بالحديث عن نفسه ، وعن آرائه فى عجالة، لكنه ركز على أحداث ليلة الثورة بالتفصيل ، فى عبارة بليغة ، ونلقى الضوء على خلاصة ما ورد عن تلك الأحداث :

اختلق يوسف صديق مبررا لجمع ضباطه فى مقدمة كتيبة مدافع ماكينه ليلة الثورة وتواجد معهم فى مقر الوحده على الرغم من اصابته بنزيف حاد من رئته اليسرى ، وفى انتظار مندوب قيادة الضباط الأحرار، ولما وصل مندوب القياده (زغلول عبد الرحمن) وأبلغ يوسف صديق وعبد المجيد شديد بساعة الصفر (منتصف الليل) ، والواجب هو التوجه الى مبنى رئاسة الجيش للمعاونه ، بعد احتلالها من قبل قوات ك ١٣ ، واصطحاب عدد من اللوريات لاستعمالها بمعرفة قوات الضباط الأحرار بعد استيلائهم على مبنى الرياسه . وقبيل ساعة الصفر خطب يوسف فى ضباطه وجنوده ، موضحا لهم أنهم سيشاركون فى عمل عظيم الليلة، من أجل وطنهم، وسوف يفخر به أبناؤهم وأحفادهم، وقبيل التحرك بلحظات ، أبلغ الضابط المناوب فى تلك الليلة يوسف صديق، باحتمال وصول قائد الفرقة اللواء (عبد الرحمن مكى)، حيث طلب سيارته منذ أكثر من نصف ساعة، ولم يكن (عبد القادر مهنا) يعلم بها حتى تلك اللحظات، ووضع يوسف خطة بسيطة للقبض على اللواء قائد الفرقة فى حالة مقابلته فى الطريق، تتلخص فى أن يعترض سائق سيارة يوسف بنوره القوى سيارة اللواء حتى يضطرها للوقوف ، وفور وقوفها ينزل يوسف وبعض الضباط للقبض على اللواء .

وفى ساعة الصفر تماما تحرك يوسف ورجاله ، ومعهم (زغلول عبد الرحمن)، ولم تكد القوة تغادر بوابة المعسكر ، حتى واجهت سيارة قائد الفرقة، وتم القبض عليه، وسار الركب مصطحبا سيارة القائد التى يرفرف عليها بيرق القيادة . وطوال الطريق من معسكر هاكستب حتى مشارف مصر الجديدة ، لم يلاحظ يوسف دليلا على تحرك قوات الضباط الأحرار، وقرب ميدان روكسى ظهرت سيارة قائد ثان الفرقة ، وتم اعتقال القائد الثانى

وركب مع القائد الأول بسيارته وعليها بيرق اللواء ، كان قد تأكد ليوسف عدم خروج أى قوات من الضباط الأحرار ، وبدأ الشك يساوره، والقلق يتملكه، وسأل نفسه ماذا هو فاعل، اذا اتضح أن الخطة لم تنفذ أو أنها الغيت .؟ فوجد نفسه قد قام بتمرد وثورة، واستقر يقينه على مواصلة التحرك الى مبنى رئاسة الجيش ، فاذا لم يجدها تحت سيطرة الضباط الأحرار، أحتلها هو بقوته، وليكن بعد ذلك ما يكون ، وتمنى لوأنه قابل عبد الناصر ليعرف حقيقة ما يجرى ، وقد بلغ به التوتر مداه ، ثم أمر سائقه أن يدخل فى شارع السلطان حسين ، فاعترض السائق بأنه ليس الطريق المعتاد لمبنى الرئاسه لكن يوسف أصر، وبعد فترة قليلة لاحظ يوسف توقف (القول) من الخلف فنزل ليرى وسمع يوسف صوت أصوات ، كانت المفاجأة فقد وجد جنوده وضباطه قد قبضوا على شخصين يرتديان الملابس المدنية ، فلما تبين وجدهما جمال وعبد الحكيم!!

انتحى بهما جانبا بعد أن أمر بالأفراج عنهما ، بعيدا عن سمع وبصر الأسيرين الكبيرين، وفهم يوسف من جمال أن أمر الثورة قد كشف ، وأن القادة يعملون على مقاومة قيام الثورة ، وعلى الفور أبلغهما يوسف بقراره التوجه الى مبنى الرئاسة واقتحامه والقبض على من فيه من القادة ، وتحرك بقوته الى مبنى الرئاسة، وفى دقائق وضع خطة الاقتحام ، وقسم قواته الى ثلاث فصائل ، هاجم بنفسه على رأس فصيل منها مبنى الرئاسة وتبادل إطلاق النار مع الحرس ، وتمكن من احتلال الطابق الأول وتأمينه ، وأثناء صعوده للطابق الثانى حيث يوجد رئيس الاركان (الفريق حسين فريد) لم يكن قد بقى معه من جنوده سوى نفر قليل .

وفى تلك اللحظات وصل الصاغ (حسن دسوقى) على رأس قوة واشترك معه فى القبض على الفريق وتوديعه ، وكانت هذه القوة هى أول من وصل رئاسة الجيش بعد قوات يوسف صديق وكانت بقية القوات بإشراف عبد المجيد شديد قد قبضت على عدد كبير من قادة الجيش ، وكان جمال وعبد الحكيم يقفان فى الموقع الذى يوجد به المسجد الذى دفن فيه عبد الناصر بعد ذلك، وقد ارتديا ملابسهما العسكرية، وقد رآهما يوسف كما رأى آخرين فور انتهاء العملية .

وبعد الجهد المضنى الذى تحمله يوسف ليلة الثورة ، جلس على الدرج وبجانبه حسن دسوقى ينتظر سماع صوت الدبابات تخرج، ولم يطل الانتظار طويلا، فسرعان مادارت العجلة

(٢) شهادة الصاغ حسن الدسوقى

تعتبر شهاده الرجل فيما يتعلق بظروف احتلال مبنى رئاسه الجيش بكوبرى القبه، وعن القوات المشتركه فيه، والقبض على رئيس الأركان، من الشهادات الأساسيه التى لايمكن تجاهلها عند الحديث عن تلك الليلة، ذلك أنه شارك فيها .

فعلى ذلك فهو شاهد رؤيا ومشارك فى الحدث ، كما أنه مازال على قيد الحياه ، ومع هذا فقد تجاهله معظم من أرخ عن تلك الليلة!! مما يجعلنا لا نثق تماما فى بعض ما كتب عن تلك الليلة، لكن الرجل قد ادلى بشهادته للتاريخ (مجلة اكتوبر ٦ اغسطس ٩٥) :

(فى ليلة الثورة الساعة التاسعة مساء مر على فى منزلى حمدى عبيد ومحمود الجيار بسيارة الأخير المدنية، فنزلت معهما، وذهب ثلاثتنا الى حسين عبد القادر وعلى الصغير واصطحبناهما ، وبعد تناول العشاء فى منزل محمود الجيار توجهنا الى معسكر العباسية وفيه كلفنى حمدى عبيد أن آخذ عربة و١٤ صندوق ذخيرة من مركز تدريب اللواء.

وأخذت عربة الذخيرة وقدمت نفسى لزكريا محيى الدين الذى كلفنى باصطحاب قوة من الكتيبة ١٣ مكونة من عشرين عسكريا تحت قيادة اليوزباش عمر محمود على ، وركبت أنا حمالة مدرعة أمام اللورى الذى يحمل القوة، وخرجنا من الكتيبة .

وكانت تعليمات زكريا محى الدين أن أحتل قيادة الجيش باعتبار أن بها حراسة عادية وباعتبار أن خطة قيام الثورة لم تكن قد كشفت، وبينما نحن فى انتظار ساعة الصفر لبدء التنفيذ أمرنى زكريا بالتحرك فوراً لشكه أن هناك تحركاً مضاداً للثورة، وأمرنى أن ألتحم بهذا التحرك إذا لزم الأمر.

وبالفعل تحركنا، وعند المستشفى العسكرى فى شارع الخليفة المأمون قابلت عبد الحكيم عامر وقال لى - اسرع عزز قوات يوسف صديق - وفى لحظتها سمعنا أصوات الطلقات

النارية، واتجهت فوراً الى القيادة العامة .

وهنا أحب أن أؤكد أن قوات الكتيبة ١٣ التى كانت معى ، هى أول قوة وصلت ، بعد اقتحام يوسف صديق لقيادة الجيش، وأن انضمام أى قوات أخرى ، كانت بعد استيلائنا تماماً على القيادة .

قابلت يوسف صديق، وكان قد استولى على الطابق الأرضى وتم تأمينه ، وفى صعودنا للطابق الثانى أطلق يوسف صديق النار على الجاويش الذى اعترضنا ، وواصلنا الصعود لا تقابلنا مقاومة. لكن وجدنا باب مكتب اللواء حسين فريد مغلقا، فأطلقنا عليه دفعة نيران ، ودفعه يوسف صديق بقدمه ، فوجدنا ثلاثة وراء برفان ، منهم حسين فريد الذى استسلم وعظمناه واصطحبناه، بكل تبجيل الى حوش القيادة .

وأتذكر بعد ذلك أننا رأينا جمال عبد الناصر ، وزكريا محيى الدين ، وأنور السادات ، الذى قلت له أن يتجه الى سويتش القيادة ليسيطرعليه باعتباره ضابط إشارة) .

نقاط الخلاف حول أحداث الليله

لم يعد الخلاف كما كان قبل ١٩٨٢، حول دوريوسف صديق ليله الثوره ، لأن اجماع من كتبوا بعد هذا التاريخ أكد أنه كان بطلها دون منازع،- كما سبق القول - لكن الخلاف بعد ذلك قد انحصر فى بعض النقاط سنحددها ونلقى الضوء عليها ،فنطرح هذه الأسئلة ، ثم نتتبع الإجابات عليها ، وغرضنا من ذلك أستجلاء الحقيقة .

(١) هل أخطأ يوسف وقام مبكرا قبل ساعه الصفر بساعة؟ ومن المسئول ؟

(٢) هل كان عبد الناصر وعامر ، بالملابس العسكريه أم المدنية، ساعه قبضت عليهما قوات يوسف صديق فى منطقه الكربه بمصر الجديدة؟ ومن الذى غير دور يوسف صديق؟.

(٣) هل اشتركت قوات أخرى، بخلاف مقدمه كتيبة مدافع ماكينة، بقيادة يوسف صديق، فى اقتحام مبنى رئاسه الجيش، ؟

(٤) هل خطه اقتحام مبنى رئاسه الجيش ، هى نفس الخطه العامه للعمليات، أم أنها

خطه وضعها يوسف صديق ونفذها ؟

تناولت أقلام من تعرضوا للكتابة عن أحداث تلك الليلة، الإجابة على أسئلتنا الأربعة السابقة ، لكن تلك الإجابات شابها التعارض، ونحاول هنا تبين الحقيقة الغائبة أو المغيبة، والتى تاهت تارة فى الخلط بين الحقيقة والمجاز، وتارة أخرى بين الهوى الذى سيطر على نفوس البعض فدفعهم الى منافقه السلطان، وخيانه الأمانه فى القول، ظنا منهم أن المساهمة فى إخفاء الحقائق يقربهم من السلطان، فتدنوا لهم المناصب وتبتسم لهم الدنيا، متجاهلين حكم التاريخ عليهم وحسابه لهم!!

(١) ساعة الصفر:

تضاربت الأقوال حول ساعة الصفر فى ليلة الثورة، وشاع القول أن يوسف قد خرج مبكرا قبلها بساعة، خاصة بعد خطاب عبد الناصر فى العيد العاشر للثورة ، حيث أشار فيه لتلك الواقعة، وتردد هذاالقول كثيرا حتى كاد أن يصبح يقينا، فما هى الحقيقه فى هذا القول؟

الواقع أن شهود هذا الحدث هم ، يوسف صديق ومساعده عبد المجيد شديد ، ومندوب القيادة ، زغلول عبد الرحمن الذى أبلغ ساعة الصفر. فأما عبد المجيد شديد فقد أدلى فى شهادته (مجلة الوادى أكتوبر ١٩٨٢) بما يلى :

(الحقيقه أن يوسف صديق كان يعانى من نزيف حاد ، عندما التقيت به فى مصر الجديدة بعد ظهر يوم ٢٢ يوليو٥٢ . لنتوجه سويا الى المعسكر لنخرج بقواتنا لنقوم بدورنا فى أحداث الثورة، فذهبت معه الى صيدلية فى ميدان سفير وقام الصيدلى بحقنه ، فتحسنت حالته، وتمكن من القيام بدوره التاريخى فى ثورة ٢٣ يوليو ٥٢ . وفيما يتصل بساعة الصفر، وهو يقتضى التوضيح حيث يمس خطة الثورة وقادتها وبعض ضباطها .. وقد أبلغنا زغلول عبد الرحمن أن ساعة الصفر هى منتصف الليل، وتحركنا فى الموعد تماما، ومعنا زغلول عبد الرحمن، وعندما التقينا بجمال عبد الناصر وعبد الحكيم عامر عند الكربة بمصر الجديدة علمنا أن ساعة الصفر هى الواحدة صباحا، أى بعد ساعة من تحركنا،

وتبين للجميع أن هذا الخطأ فى التوقيت قد أنقذ الثورة. إذ إن الأمر انكشف للسراى، وأن اللواء حسين فريد رئيس هيئة اركان حرب الجيش، يعقد اجتماعا لقادة الجيش فى مكتبه بكوبرى القبة ، وتم الاتفاق على أن تقوم قواتنا برياسة يوسف صديق بالهجوم على رياسة الجيش والاستيلاء عليها واعتقال القيادات التى تحضر الاجتماع).

وتتفق هذه الشهادة مع ماورد بمذكرات يوسف صديق من ناحية ، ومع ما ورد فى حديث للسيد حسين الشافعى نشر بـ (الأهرام العربى يوليو ٩٨) حيث أكد أن ساعة الصفر كانت منتصف الليل من ناحية اخرى. وتقطع تلك الشهادات أن يوسف لم يخرج بقواته مبكرا، بدليل خروج مندوب القيادة نفسه معهم، وبالتالى فلو أن يوسف كان قد خرج متقدما عن ساعة الصفر لنبه زغلول الى ذلك الخطأ الجسيم .

لكن من أين جاء الاختلاف بين ساعة الصفر التى أبلغ بها زغلول قوات يوسف، وبين ساعة الصفر التى أعلنها عبد الناصر ؟ وما هو سر تلك الساعة المفقودة ؟

تناول جمال حماد [١] هذه النقطة، فنسب الخطأ الى زغلول عبد الرحمن فى تبليغه ساعة الصفر، ومع أن هذا التفسير لايبدو مقنعاً، فكيف يخطئ زغلول، فى إبلاغ رسالة خطيرة من كلمات قليلة فى ليلة مصيرية مثل تلك. لكنه يبرئ يوسف من هذا الخطأ!!

ولم يكن أحد يجرؤ أن يكذب عبد الناصر فيما قال، وأولهم زغلول عبد الرحمن، والواقع أن ما أشيع عن قيام يوسف قبل ساعة الصفر، أريد به الإساءة الى دور الرجل، إذ أن القائد الذى لايلتزم بساعة الصفر المحدده في العمليات هو قائد فاشل دون شك.

ومن الواضح أنه قد ساد قيادة الضباط الأحرار (جمال وعبد الحكيم) الارتباك فى تلك الساعات العصيبة بعد انكشاف أمر الثورة، وإبلاغ محمد نجيب لهم بذلك، وهو أمر طبيعى أمام هذه المفاجأة الغير متوقعة ، وهو ما دفعهما للخروج على هذا النحو للبحث عن مخرج ، حيث قابلتهما قوات يوسف وقبضت عليهما .ويلقى محمد نجيب الضوء على سر الساعة المفقودة: بقوله ص ٥٩ فى كتابه (كلمتى للتاريخ) حيث قال :

(ويوسف ضابط شجاع عرفته فى حرب فلسطين ، واليه يرجع الفضل الرئيسى فى

---

(١) أطول ليلة فى تاريخ مصر ص ١٩١

انتصار الحركة، إذ إنه أول من اقتحم القياده العـامه، واعتقل اللواء حسين فريد كما ذكرت ، وكان يوسف قد تحرك بجزء من كـتيبته فقط من معسكرات هاكستب ـ أبعد معسكرات الجيش عن القـاهرة، وكانت قواته أسـرع القوات في الوصول الى القـياده العامـه قبل كل القوات التي شاركت في الحركه ، والتي كانت تكنات بعضهـا في مواجهه مبنى القياده عبر الشارع ، وكان ذلك لان يوسف صديق لم تصل اليه أخبار تأجيل الحركه ساعة).

وفي اعتـقادى أن ماحـدث هو أن ساعة الصفـر حددت في منتصـف الليل، وأبلغ بها زغلول عـبد الرحـمن ، وتحرك على هذا الأسـاس لإبلاغ قـوات يوسف التي كانت أبعـد القوات عن مسرح العمـليات ، حيث كانت في معسكر هاكستب ، ويبـدوأن ساعة الصفر تأجلت بعـد ذلك الى الواحده صـباحـا ، وأبلغت بهـا باقي القوات التي كـانت قريبـه في العباسيـة، ولـم يتمكن أحد من إبلاغ قوات يوسف البعـيده بهذا التغيير ! ! . وهو ما يفسر الاختلاف.

ومن المؤكد أنه لولـم تخـرج قوات يوسف في هذا الوقـت لما قـامت الثورة ، ولربما الغى قيامها ، لكن خروج تلك القوات حسم أمـر قيام الثورة ، وهذا ما نرجحه في شأن الخلاف حول ساعة الصفر ، و هو ما تحتم الوقائع الثابته ترجيحه .

(٢) من الذى عدل دور يوسف فى الثورة ؟

وليس من شك في أن انحـراف قـول السيـارات الذى كان يرأسـه يوسف صـديق ليلة الثورة ودخوله شارع السلطان حسين، على غير قصد كان من تدبير الله سـبحانه وتعالى، في نفس هذا الشـارع قابل عـبد الناصـر وعبـد الحكيم تلك القـوات المتحـركة، وقبـضت عليهما، وفي هذا الخصوص يقول يوسف في مذكراته:

(ولكنى مـا كدت أتحـرك من الصـينية وأصـل الى شارع السلطان حسـين. فظننت أنه الطريق المعتـاد. فأمرت السائق بالدخول فـيه، وعارضنى السائق لتـأكده في أنى على خطأ فنهـرته بصوت اخـتلط فـيه الحـزم بالغضب بالاضطـراب بكل ما أعـانى. فرضخ بالأمـر، ودخلنا في الطريق الخطأ).

يتضح أن دخوله فى هذا الشارع لم يكن فى الواقع من باب الخطأ بقدر ما هو إعمال لإرادة الله فى إنجاز هذا العمل، فلولا هذا الدخول لما قابل عبد الناصر، فأزال عنه غموض الموقف الشديد الذى كان يعيش فيه، وبدون شك فإن لقاء يوسف بعبد الناصر فى تلك الليلة وفى مثل هذه الساعات الحالكة قد أضاء الموقف أمام الرجلين .

فأما يوسف فقد وجد نفسه مضطرا الى ادخال تعديل جوهرى على المهمة التى كان مكلفا بها وفقا للخطة الأصلية للعمليات ، فبدلا من أن تكون مهمته تعزيز القوات التى كان مقررا لها أن تقوم باحتلال مقر قيادة الجيش بعد نجاح مهمتها ، أصبح عليه هو بقواته الصغيرة ، أن يبادر الى احتلال ذلك المقر ، والقبض على من يتواجد به أو يفد اليه من قادة الجيش ، وذلك قبل أن يتم هؤلاء القادة استعداداتهم لإحباط الثورة قبل قيامها .

والسؤال الذى يطرح نفسه حول هذا التغيير هو: من الذى اقترح إدخاله على الخطة الأصليه فى تلك اللحظات الحرجة والفاصلة فى تاريخ الثورة ؟ هل كان هو يوسف الذى تطوع بتغيير مهمته على هذا النحو، أم أنه كان جمال وعبد الحكيم هما اللذان طلبا من يوسف ذلك؟

الواقع أن هناك رواية نقلت عن يوسف تفيد أن جمال أبدى فى اللقاء أنهم فكروا فى تأجيل القيام بالثورة. نظرا لانكشاف أمرها، واقترح عليه الرجوع ، وأجابه يوسف باستحالة رجوعه بعد أن تحرك بالفعل وقبض على رئيسيه - قائد ، وقائد ثانى الفرقه - وقد سمعت هذا القول بنفسى من يوسف، كما أنه ورد بشهادة حسن دسوقى المسجلة، وفى كلتا الحالتين فلابد أن يوسف من جانبه، وجمال وعبد الحكيم من جانبهما، قد اتفقت ارادتهما على ضرورة تغيير يوسف لدوره فى الخطة الأصلية، والمبادره الى مهاجمة مقر القيادة، والقبض على القادة المجتمعين رغم ضآلة حجم قواته، مما جعل مهمته مهمة فدائية أقرب أن تكون مهمة انتحارية، وهو ما يجعلنا على ثقة من أن البدء بالتفكير فيها واقتراحها، انما جاء من جانب يوسف لامن جانب جمال وعبد الحكيم. اذ ليس من المتصور أن يبادرا بأن يقترحا على أحد - يوسف أو سواه - مثل هذه المهمة الانتحارية، والتى لابد أن تتم عن طريق التطوع والارادة الحرة. وهو ماورد فى مذكرا ت يوسف أيضا.

ثم تأتى هنا أيضا مسألة أخرى جرى حولها الكثير من الخلاف والجدل ، وهى مسألة ارتداء جمال وعبد الحكيم للملابس المدنيه حينما قبضت عليهما قوات يوسف. فما هى الحقيقة فى هذه المسألة ؟

قرر يوسف فى مذكراته التى كتبها فى لندن بخط يده ، وهو على فراش مرضه الأخير، أن جمال عبد الناصر وعبد الحكيم عامر كانا يرتديان الملابس المدنية حينما قبضت عليهما قواته، وكان يوسف قد أورد ذلك أيضا فى مذكراته الأولى، والتى أملاها على أنا شخصيا، وهو محدد الأقامة بقريتنا - زاوية المصلوب - عقب عودته سرا من الخارج الى أرض الوطن ، دون إذن من مجلس قيادة الثورة فى أواخر صيف ١٩٥٣ كما سيرد الحديث. والمعروف أن هذه المذكرات كانت قد وصلت الى يد جمال عبد الناصر، الذى غضب أشد الغضب لما ذكره يوسف فيها بشأن ارتدائه هو وعبد الحكيم للملابس المدنية فى ذلك الوقت، وقد عبر جمال عن غضبه هذا للضابط (وحيد رمضان) ، كما روى الأخير - عندما تحدث معه يوسف بعد تحديد إقامته ثم القبض عليه - وفى مرحلة لاحقة، أصدر يوسف نسخة معدلة من تلك المذكرات، كتبها صديق له هو السيد / مراد حسين - وكيل وزارة الثقافة - بخطه وقد رفعت منها عبارة الملابس المدنيه هذه، وكان الهدف من ذلك مجاملة جمال عبد الناصر ورفع الحرج عنه، وربما أيضا تيسير نشر هذه المذكرات على حلقات فى إحدى المجلات المصرية - آخر ساعة - أيام كان صلاح حافظ مسئولا عنها .

وإذا كانت هذه الواقعة محل انكار أو اعتراض من جانب بعض الأطراف التى رأت فيها مساسا بعبد الناصر ، وكان رفعها من أحدى نسخ مذكرات يوسف صديق فى مرحلة من المراحل ، فإنها فى نظرنا واقعة صحيحة وثابته ، ولدينا على ذلك دليلان لايقبلان الشك:

الأول: هو أنها جاءت فى مذكرات يوسف الأخيرة التى كتبها بخط يده وهو على فراش مرضه الأخير - كما سبق القول - الأمر الذى يجعلها فوق مستوى أى شك.

والثانى: أنها جاءت فى شعر يوسف صديق نصا فى قصيدته المسماه - فرعون - التى كتبها فى مرحلة مبكرة أثناء وجوده فى السجن الحربى ١٩٥٤، حيث جاء فى قوله مخاطبا

جمال عبد الناصر :

ولما وقعت وعبد الحكيم .·. بأسر رجالى وما يعلمون

فأنقذت روحيكما من هلاك .·. ورحت بروحى ألاقى المنون

وقد كنت مختفيا فى ثياب .·. تباعد عنك مثار الظنون

ولكن ما الذى دفع عبد الناصر والمحيطين به الى إنكار تلك الحقيقة طوال تلك السنوات ..؟ وهى ارتداؤهما للملابس المدنية، مع أن هذا التصرف كان منطقياً بالنسبة لعبد الناصر الذى عرف منذ الساعة العاشرة مساء ٢٢ يوليوأن أمر الثورة قد كشف، وأن رجال الملك قد تحركوا لسحقها، فكان منطقياً أن يخرج عبد الناصر بالملابس المدنية، خاصة وهو ليس لديه قوات يحركها فى تلك الليلة، ولكن يبدو أنه خشى أن يقال عنه أنه كان مثل السادات الذى أمضى الليلة فى السينما خشية انكشاف أمر الحركة .

ونعتقد أنه لا يعيب رجلاً فى حجم قائد ثورة يوليو أن يكون حذراً فى مثل تلك الليلة.؟! فلم يكن هناك مبرر فى واقعة الإنكار سوى أن يكون التحوط هو أحد أسباب تواجد عبد الناصر فى هذا المكان البعيد عن مسرح العمليات فى تلك الليلة وفى هذه الساعة بالذات، ويتفق هذا مع ما ورد بكتاب للكاتب أحمد عطية الله، (ليلة ٢٣ يوليو)، وكتاب محمد نجيب (كلمتى للتاريخ)، وكتاب خالد محيى الدين (الآن أتكلم)، وفى كثير من المقالات التى تعرضت لهذا الموضوع، بينما أنكرها نفر آخر بشدة واعتبرها تشويها لوجه ثورة يوليو.

وقد استنكر جمال حماد هذه الواقعه فى مقال له بجريده الأهرام فى ٢٢ يوليو ١٩٩٠ حيث قال: (ولو ناقشنا تفاصيل شائعه أن عبد الناصر وعامر كانا يرتديان فى هذا الوقت الملابس المدنيه مناقشه موضوعيه لادركنا استحالته تصديق هذا الادعاء فإن عبد الناصر وزميله كانا فى طريقهما الى ألماظه لمحاوله الحصول على قوه من المدفعيه يمكن تحريكها على وجه السرعه للانقضاض على القاده المجتمعين فى مكتب الفريق حسين فريد بمبنى الرئاسه بكوبرى القبه والقيام بأسرهم قبل ان ينجحوا فى اتخاذ الترتيبات المضاده للحركة، فهل كان عبد الناصر وزميله يتصوران إمكان السماح لهما بدخول منطقة الماظه المكتظة

بمعسكرات الجيش والمليشه بنقاط وبوابات التفتيش التى يتولى أمرها رجال البوليس الحربى وهما يركبان عربه عبد الناصر - الاوستن - الصغيره الملاكى ويرتديان الثياب المدنية؟ وكيف تيسر لهما ارتداء الثياب العسكريه في الفتره الزمنيه القصيره التى لم تتجاوز نصف ساعة وهى الواقعه بين لقائهما بقوه يوسف صديق فى مصر الجديده وبين لقائهما بمجموعه كبيره من الضباط الأحرار عند بوابه مبنى رئاسه الجيش بكوبرى القبه بعد انتهاء عمليه الاقتحام وأثناء نزول الفريق حسين فريد من مكتبه تحت الحراسه، وفى طريقه الى المعتقل بالكليه الحربيه، لقد شاهدهما كل الضباط الموجودين وقتئذ على بوابه رئاسه الجيش ومنهم كاتب هذه السطور وكانا يرتديان الملابس العسكرية).

وتبدو هذه الروايه ضعيفه ومخالفه للمنطق. أولا: لان قوات مدفعيه الميدان هى قوات بطيئه الحركة فهى لاتصلح كإنقاذ سريع، ولا هى مناسبه لعملية الاقتحام، وثانيا: لان قوات الفرسان كانت أقرب وأنسب لهذا العمل ويفصلها عرض الشارع فقط عن مبنى رياسة الجيش، وثالثا: لأن بيت عبد ا لناصر فى هذا الوقت كان قريبا جدا من مبنى رئاسه الجيش ونصف ساعه كانت كافيه لأن يغير ملابسه هو وعامر .

وقد أوضح خالد محيى الدين حقيقه ما حدث فى كتابه «الان أتكلم» حين أدلى بشهادته فى هذه الواقعه بالذات حيث قال ص ١٥٤ : (والمساله الثانية: هى ان جمال وعبد الحكيم كانا وحتى لحظه القبض عليهما بواسطه قوات يوسف صديق يرتديان الملابس المدنيه، ويحاول البعض أن يستنتج من هذا أنهما كانا يريدان التخلص من المسئوليه فى حاله فشل الحركه والقبض عليهما، وردى على ذلك انه بالنسبه لأى من أعضاء لجنه القياده، لم يكن هناك أى مجال للتخلص من المسئوليه فى حاله الفشل، وخاصه بالنسبه لشخص مثل جمال عبد الناصر، الذى تورط أمام أعداد كبيره من الضباط بصفته المسئول الاول عن الحركه، أما ارتداء الملابس المدنيه فيمكن فهمه وفهم مبرراته، فعبد الناصر وعامر لم يكن لديهما قوات ليتحركا بها، ورغبه منهما فى التحرك بحريه، وضمان الاتصال بأيه قوات، وإبلاغها بضروره مهاجمه مبنى قياده الجيش، فقد كان من الطبيعى أن يرتديا ملابس مدنيه، فالتحرك بملابس عسكريه كان مستحيلا فى ليلة كهذه، خاصه وأنهما

يعلمان جيدا أننا أصدرنا تعليمات بمنع تحر ك الضباط من رتبه البكباشى فما فوق).

ويبدو قول خالد منطقيا أكثر من قول جمال حماد. خاصه إذا أضيف اليه معرفه عبد الناصر وعامر بأمر انكشاف الحركه منذ الساعه العاشره مساء ٢٢ يوليو، وتحرك قاده الملك لسحقها - فإذا لم تكن لديهما قوات، والحركه انكشفت، فلماذا يلبسان ملابسهما العسكريه ؟ كما أن قول خالد يتفق مع ماورد بمذكرات يوسف وفى شعره، كما يتفق مع روايات محمد نجيب .

(٣) القوات المشتركه فى اقتحام مبنى رئاسه الجيش:

● ورد بمذكرات يوسف صديق، وأكدت شهاده حسن دسوقى أن القوات التى احتلت مبنى رئاسه الجيش هى مقدمه كتيبه مدافع ماكينه بقياده يوسف صديق، وفصيله لحقت بها مكونه من عشرين عسكريا من قوات ك ١٣ بقياده حسن دسوقى، وقد تطابق ذلك مع أقوال كل من تناول أحداث تلك الواقعه. ما عدا، كتب أنور السادات، وكتابى جمال حماد (اطول يوم فى تاريخ مصر) وخا لد محيى الدين (الآن اتكلم).

فأما كتب السادات فقد نسبت الى عبد الحكيم اقتحام المبنى على راس قوات مجهوله ساقها القدر دون طلب لتقوم بذلك، وقد أسقطت أقوال عبد الناصر، ومحمد نجيب، وجمال حماد، وخالد محيى الدين، وأحمد عطيه الله، وأحمد حمروش تلك الاقوال .

وأما جمال حماد فذكر فى كتابه: أطول يوم فى تاريخ مصر ص ٢٢٩ (ووفقاً لمذكرات يوسف صديق، وطبقاً لما نشر من روايات عن عملية اقتحام الرئاسة طوال الثلاثين عاماً الماضية نجد أن الجميع قد اتفقوا على أن يوسف صديق على رأس فصيلة مدافع الماكينة المكونة من عشرين جندياً اقتحم باب مبنى الرئاسة وأجرى عملية تفتيش الطابق الأرضى ثم صعد على رأس عشرة جنود الى الطابق الثانى واقتحم مكتب الفريق حسين فريد حيث ألقى القبض عليه هو وثلاثة من الضباط، وبالتحقيق الدقيق فى هذه الواقعة وبعد الاستماع الى أقوال الشهود الذين اشتركوا فيها اتضح أن تروب السيارات المدرعة بقيادة الملازم أول فاروق الأنصارى هو الذى اقتحم بوابة رئاسة الجيش، وتمكن من تجريد

حرس البوابة من سلاحهم، وكان الحرس يتكون من ستة جنود والحكمدار، وقد ظلت بنادق الحراسة محفوظة فى سلاح الفرسان حتى أعيدت لأصحابها، وبعد أن انفتحت البوابة على مصراعيها تقدم يوسف صديق على رأس الفصيلة الثانية، وقام بتفتيش الطابق الأرضى ووضع بعض جنوده فى الأماكن الحساسة وكانت القوة الباقية بعد ذلك أقل من عشرة جنود ، وعندما بدأ يتهيأ لصعود الطابق الثانى وكان برفقته الرائد حسن دسوقى وصلت فى هذه اللحظة عربات السرية الرابعة من الكتيبة ١٣ بقيادة النقيب عمر محمود على، وكانت أولى الفصائل التى دخلت من البوابة هى فصيلة الملازم أول أحمد فؤاد عبد الحى الذى لحق بالمقدم يوسف صديق على السلم المؤدى الى الطابق الثانى وعندما رأى يوسف صديق الملازم فؤاد عبد الحى قال له - ده حسين فريد فوق هطلع أجيبه تعالى معايا ..إلخ).

ويكفى لإثبات ضعف هذا القول، وعدم مطابقته للواقع أنه لم يسأل حسن دسوقى وهوحى يرزق ، حيث لم يحضر عبد الحى عملية الاقتحام، بينما حضرها حسن دسوقى!!

واما خالد محيى الدين فيقول فى كتابه: (وكانت الخطة الأصلية أن يذهب يوسف صديق بقواته الى مبنى قيادة الجيش دون اقتحامه فقط يحاصره من الخارج ، والآن تقرر اقتحام المبنى - وأسرع جمال وعبد الحكيم الى منزليهما ليلبسا ملابسهما العسكرية، وأسرع يوسف صديق ليوزع قواته لتصبح فى وضع الاقتحام، فصيلة تقطع الطريق عند مستشفى الجيش، وفصيلة أخرى تقطع الطريق عند كوبرى السيوفى أمام سلاح خدمة الجيش وبقية الجنود للاقتحام، وفى هذه الأثناء وصلت فصيلة سيارات مصفحة بقيادة فاروق عزت الأنصارى لتحتشد عند مدخل قيادة الجيش لمساعدة قوات يوسف صديق فى عملية الاقتحام، وقدمت عوناً إيجابياً فى إنجازهذه المهمة التاريخيه).

ولانستطيع قبول هذا القول أيضا لنفس الأسباب السابقه، وهذا لايقلل من دور الفرسان فى تلك الليله، فلوكان هناك تروب مصفحات عند باب القياده لرآه حسن دسوقى عند دخوله على الأقل. وقديما قالوا (للنصر الف أب وللهزيمة أب واحد) .

(٤) خطه اقتحام مبنى رئاسه الجيش

وكما ذكرنا فقد كانت الخطة العامة التى وضعت لليله الثوره تضع قوات يوسف صديق فى دور هامشى، وذلك نظرا لحالته الصحيه من ناحيه، ولقله عدد تلك القوات وضعف تسليحها من ناحيه أخرى، جعلا دور تلك القوات مجرد المساعده للقوات المنوط بها اقتحام المبنى وهى من ك ١٣، واصطحاب عدد من اللوارى لاستعمالها فى أغراض نقل الجنود بعد نجاح الثورة.

ولكن انكشاف أمر الثوره وتحرك القواد لسحقها من ناحيه، وتحرك قوات يوسف مبكره عن أى قوات أخرى من ناحيه أخرى، ولقاء يوسف بجمال وعبد الحكيم فى منطقه الكربه مصادفه فى مصر الجديده غير الموقف بطبيعه الحال.

فوجدت هذه القوه البسيطه نفسها هى التى عليها القيام بهذا العمل، فمن الذى وضع خطه اقتحام المبنى وكيف وضعت ؟ من الطبيعى أن يكون يوسف صديق هو الذى وضع تلك الخطه المحكمه فى تلك اللحظات العصيبه ، وهو الذى قام بتنفيذها، ويشير الى ذلك فى مذكراته قائلا: ص ٤٣ (المسافه بين شارع السلطان حسين حيث كنت وبين القياده العامه - فى كوبرى القبه - لاتزيد عن ٢ كم او ثلاثه على أكثر تقدير، تقطعها القوه فى عرباتها فى دقائق، وكان علىّ فى هذه الدقائق أن أضع خطتى لاحتلال القياده وأقوم بالتنفيذ على وجه السرعه - حيث إن كل دقيقه بل كل ثانيه أصبحت لها قيمه كبيره، والجديد الذى طرأ على خطتى السابقه هو أننى سوف لاأذهب لاحتلال القياده على غرة - وأننى قد أتعرض لمقاومه من الحرس - وربما من الضباط المجتمعين، ولو أن هؤلاء لايحملون غير الطبنجه فى الغالب ، وأرض المعركه أعرفها جيدا وبالتفصيل: مما ساعدنى على رسم الخطه بدقه وعنايه وسرعه ، فمقر القياده يقع بين الكوبرى الذى يمر فوق نفق المترو والمواجه للمستشفى العسكرى العام - وكوبرى السيوفى الذى يمر فوق النفق على مسافه لاتزيد عن كيلومتر جهه العباسيه، ونفق المترو فى هذه المنطقه عميق وميل أجنابه حاد يكاد يكون عموديا - ولايمكن اجتيازه بأى قوات، مرت الخطه فى رأسى كشريط

سينما، لقد وجدت أن أوزع فصائلى على النحو التالى :

- نقطه تجمع لإصدار الاوامر هى أمام الكوبرى المواجه للمستشفى.
- الفـصيلـه (١) : تبقى فى اللـورى ولا تترجل - وتسـرع باللورى بالالتـفـاف من خلف القياده لتصل الى مكانها لتـقفل الطريق عند باب السوارى لمنع تدخل أى قوات ، والقبض على أى ضابط من غير الأحرار، وإرساله الى المعتقل.
- الفصيله (٣) : تبقى فى مكانها ا لقفل الطريق أمام الكوبرى عند نقطه التجمع لمنع تدخل أى قوات آتيـه من ناحيـة مصر الجـديدة أو كوبرى القـبة، والقـبض على أى رتبه من غـير الاحرار وإرسالها الى المعتقل.
- الفصيله (٢) : تقوم بمهاجمه القياده العـامه تحت قيادتى . وكان قائد الفصيله الملازم أول - اسماعيل طه الشريف - .

يشرف عبد المجيد شديد على الفصيلتين (١) و(٣) وقد وضعت هذه الخطه على اساس ان تتـحاشى الفـصـيله (١) التعـرض لحـرس القيـاده الذى قد يـعطلها ويشـغلهـا عن القيـام بواجبـها)انتهى. ولعل القـارىء يدرك ان خطه اقتـحام القيـاده لم يضعهـا غير من اقـتحم القياده فعلا.

أقوال لا تطابق الحقيقة عن أحداث ليلة الثورة

لاحقت يوسف صديق ولازمتـه حملات من التشويه طوال حيـاته وحتى بعد موته، بل إن الدوله قد أنكرت أنه كان عـضوا بمجلس قياده الثورة، كما أنكـرت أنه كان من الضباط الأحرار ، فلم تضع له تمثـالا مع الرفا ق أو يرد اسمـه بين الضباط الأحـرار !! كما سيرد تفـصيله فـيمـا بعد . ولما راجـعت أسرته مـديرمتـحف ٢٣ يوليو سـأل عن علاقـته بـثوره يوليو!!، وكان مدير المتحف معذورا. فإن كم التعتيم قد حجب اسم الرجل طويلا !! ولـم يكن ذلك عـجيبـا فى زمن ساد فـيه البهـتان !! ونلقى الضـوء على بعض ماقـيل مخـالفا للحقيقه، ما يوضح ذلك، وقصدنا من ذلك، هو بيان كم هذا التشويه، وإلقاء الضوء عليه، فليس الكلام من عندى :

• (١) رواية الصحفى حمدى لطفى :

نشرت مـجلة الوادى فى أغسطس سنة ٨٢ مـقالا للكاتب الصـحفى (حـمدى لطفى) يقول فيه على لسان يوسف صديق: (هناك خطأ فعلاً وقع منى أنا ارتكبـته عن عمد، وكم من الأخطاء الصغيرة صنعت أعمالاً تاريخيـة عظيمة، ونجاح الثورة مدين لهذا الخطأ الذى دفعنى الله الى ارتكابه. قبل نهاية الأربعينيات أصبت بتسوس فى العمود الفقرى، وظللت ١٨ شهـراً أرتدى جاكتـة من الجبس وحصلت عـلى شهادة أركـان حرب وأنا أرتدى هذا الجاكت - وكنت أحتفظ بزجاجة براندى فشـربت ثم وجدت نفسى فى حاجة الى كاسين وتخـيلت أنى سأنزف مـرة أخرى، ثـم وصلت الى منطقة الكـربة بمصر الجـديدة، وأدخلنا اللوارى فى شـارع جانبى هادىء فـى مواجـه مسـجد صـلاح الدين ومـضيت الى منطقـة كوبرى القبة، فوجدت الهدوء يخيـم على المنطقة تماماً لا حركة أو أثر لأى انقلاب أو ثورة، وبدأت أشعر بالقلق وعلى الفور فكرت فى الأتصال تليفونـياً بعبد الناصر أو عامر أو أحد أعضاء لجنة القاهرة - مجلس الثورة فيما بعد - واتجهت الى بار (بالميرا) حيث استخدمت تليـفون البار، وطلـبت كاسين أو أكـثر من البـراندى، ولـم أجد أحـد يرد على تليفـوناتى. فعدت الى رجالى أطمئن عليهم، ثم أتجهت الى احدى الصيدليات وتناولت الحقنة المضادة للنزيف، وعـدت مرة أخرى الـى التليفـون والبار حيث فـشلت تليـفونياً وأتخـمت رأسى كحوليا).

وفى الحقيقة أن تلك الرواية المختلقة العجـيبة ذكرتنى بحديث الإفك الشهير الذى رواه المنافقون - على الرغم من أن الشرفاء قد تصدوا لتكذيبهـا والتحقير من شأنها . فإذا كانت هذه المعلومات المثيرة عند الكاتب وقت أن أخذها من فم صاحـبها. فلماذا تأخرعن نشرها حتى بعد وفاة الـرجل بنحو سبع سنوات . ولـم ينشرها فى حياته وقـبل موته سنة ٧٥ حتى يستطيع الرجل الرد عليهـا عملاً بالحق المشروع والمعروف فى ذلك ، أم أنه اعـتمد على أن من يعترض، عليه بسؤال المرحوم..! إن كان الموتى يتكلمون..!!

وقد رد مساعـد يوسف صديق ليلة الثورة (عبد المجيـد شديد) قائلاً (أرجوا أن أوضح

أمرين: الأول: أننى قد لازمت المرحوم يوسف صديق فى هذ الليلة ولم أره يتناول خمراً فى المعسكر أو خارجه، وقد رجعت الى الزملاء الذين اشتركوا معنا فى هذه الليلة ، فنفوا الواقعة جملة وتفصيلاً).

كما ردعليه أيضاً (حسين) نجل الرجل، وأهم ما ورد بهذا الرد ما يلى:

ذكر الصحفى المذكور أن ماروه من وقائع تتعلق بأحداث ليلة الثورة مصدرها المرحوم يوسف صديق سنة ٧٢ واستشهد بما قاله عبد المجيد شديد من شهادة سابقة.

لقد استغل الصحفى وفاة يوسف صديق لينشر على لسانه وبعد وفاته بسنوات حديثاً مضيفاً عليه وحاذفاً منه ما يريد.

ومن الأخطاء التى وردت بالرواية مع الأحداث التاريخية المعروفة عن تلك الليلة .. فكيف يترك القائد القوة التى يقودها فى ليلة كهذه، وقد أسر أثنين من كبار قادة الجيش هما (اللواء مكى - الأميرلاى عابدين) فى مكان ثم يذهب لمكان آخر لشرب الخمر والاتصال بالتليفون.

وواضح من مقالة الصحفى المذكور أنه أراد أن يكسب نصراً رخيصاً فأساء الى نفسه أولاً بترويج تلك الأباطيل التى تحط من قدره كصاحب قلم نظيف.

وقد تصدى بالرد أيضاً (جمال حماد) وأبدى استياءه ودهشته من هذا القول المخالف لكل حقيقة.

• (٢) روايات السادات :

يقول السادات فى كتابه (قصة الثورة كاملة ص ٩٨-١٠٢-١٠٣) (لم يقل لى عبد الحكيم فى تلك اللحظة أنه هو الذى قاد معركة رئاسة الجيش، وأنه هو الذى أحتلها بجنوده أو هو الذى قاد الجنود ثم تقدمهم واقتحم بهم المبنى وهو يحمل طبنجته تماماً مثل ما فعل ذات يوم فى فلسطين، إنه فى يوم (نيت ساليم) بفلسطين بمسدسه وعساكره خلفه وفى يوم رئاسة الجيش بمسدسه وعساكره من خلفه، وانطلقت رصاصات جنود عبد الحكيم عامر حول مبنى رئاسة الجيش وسقطت القلعة المنيعة فى ثوانٍ وبقوادها، لقد وفر لنا

كشف المخابرات لخطتنا وقتاً طيباً. كمـا وفر علينا جهوداً ضخمة فى نفس الوقـت ، بعد أن علم جمال باجتماع قواد الوحدات لمواجهة الثورة وإخمادها قرر القبض على هؤلاء القادة فى مبنى رئاسـتهم، وبهذا يوفر التنظيم جـهوداً ضخمـة فى الرجال والوقت كانت سـتبذل للقبض على هؤلاء القواد فى منازلهم ، كل على حدة - لقد أصطاد عصافير عديدة بحجر واحد، أمـا الحجر فكان عبـارة عن مجموعـة من الجنود فوجئ بهم جمـال ليلة الثورة وهم يتقدمـون تحت رئاسة ضابطهم النقيب (محمـد شديد) نحو مراكز تجمع الـضباط الأحرار، ويعرف جـمال أن النقيب شديد جـاء بتلك القوة التى تعمل تحـت رئاسته من تلقاء نفـسه وبلا أوامر من أحد عندمـا علم بأنباء الثورة فقـرر أن يشترك بجنوده فى المعركة قـبل موعد بدئهـا ، وأتخذ القـرار فى الحال، بعـد وصول قـوة الضـابط شديد بأن تتـوجه نفس القـوة برئاسـة عبـد الحكيم عامـر وتحتـل مبنى رئاسـة الجيش، ثم تلـقى القبض على القـادة أثناء اجتماعهم العاجل.. وفعلاً قام عبد الحكيم عامر وهو يشهر مسدسه وتقدم الجنود ثم اقتحم بهم مـبنى الرئاسة وانتـصر التنظيم فـى المعركـة الأولى، وهى كانت أول مـعركـة حاسـمة تكسبها الثورة..).

والى هنا تنتهـى رواية السادات، وهى التى فرضت على الناس جـميعـاً أكثر من عـشر سنوات، ويرد جمال حماد فى كـتابه أطول يوم فى تاريخ مصر ٣ عن ليلة الثورة ص ٣٣٣ والذى نشر بعـد موت السادات بطبـيعة الحـال : (ولا يحتاج الأمـر الى عناء كبيـر لإثبات مدى بعـد هذه الرواية عن الحقيـقة إذ يكفى إغفـالها لاسم يوسف صديق، وطمس مـعالم دوره طمساً تاماً. رغـم ما يعلمه الجميع من أنه قائد العـملية. بل بطلها بلا منازع - والذى يلفت النظر هو إقحام اسم عبد الحكيم عامـر فى هذه العملية. ولا شك أن عبد الحكيم قد خجل منه، إذ نسب اليه بطولة لا يستحـقها، إذ كيف يرضى أن يكتب عنه أنه هو الذى قاد المعركـة وهو يحمل مسـدسه على رأس جنوده واقتـحم مبنى الرئاسـة وألقى القبض على حسين فريد والقادة الذين معه فى الوقت الذى كـان فيه عبد الحكيم عامر أول من يعلم أنه لم يشترك فى هذه المعركـة إطلاقاً. لأنه كان واقفاً مع عبد الناصر يراقبان الموقف من موقع مجاور لمبنى رئاسة الجيش. كما أن عبـد الحكيم لم يكن يحمل مسدساً فى تلك الليلة. فقد

كان مسـدسه فى مخزن السلاح برئاسـة الفرقة الأولى برفح التى كان يعـمل بها، وكان فى القاهرة وقتئذ فى أجازة ميدان، أما ما قرأناه عن تلك المجموعة المجهولة من الجنود التى كان يقودها النقيب محمد شديد، والتى فوجئ جمال بوصولها الى مراكز تجمع الأحرار، والتى أحضرها قـائدها من تلقاء نفسه وبلا أوامر من أحـد عندما علم بنبأ الثورة فقـرر أن يشترك بجنوده فى المعركة قبل بدئهـا بساعة. فهذه عبارة بعيدة ـ للأسف ـ عن الحـقائق التاريخية، فإن الضابط المقـصود فى العبارة اسـمه (النقيب عبد المجيد شديد محـمد رضوان) وليس (محمد شـديد) ولـم يحضر هذا الضابط من تلقاء نفسـه وبلا أوامر ، بل جاء ضمن طابور قوة مدافع المـاكينة من هايكستب بأمر قـائده يوسف صديق، وكان هدف القوة الـتقدم الى مبنى رئاسة الجيش، وليس الى مراكز تجمع الأحرار. لأنه لم يكن فى الخطة ذكر لأى مراكز بهذه الصفة).

ويعلق الدكـتور حـسين مـؤنس فى مقـاله [1] على مـوقف السادات ورواياته فـيقـول (وجمـال عبـد الناصر أزال يوسف صـديق ومحـمد نجيب والرئيس السادات فـى إحدى رواياته لأحـداث الثورة. صـغّـر حجـم الرئيس محـمـد نجيب حـتى أصـبح لا يكاد يرى، وأسقط ذكر يوسف صــديق وعمر محمود وفـؤاد عبد الحى جميعـاً، وبذلك أخلى المقاعد الثلاثة الأولى لجمال عبد الناصر وعبد الحكيم عامر ولنفسه على الترتيب – وبعد وفاة عبد الناصر ووصـول السادات الى الرئاسة وضع نفسـه فى البداية ويليه وعلى مـسافة محـترمة جمال عـبد الناصر، وعلى مسافة غـير محترمة وضع عـبد الحكيم عامر، وبعد مدة قـصيرة أعيد شمل الصورة، واتسعت فيها مساحة السادات حتى لم يعد هناك سواه..).

● (٣) اقوال عبد الناصر عن ليله الثورة:

تناول جمـال عبـد الناصر أحـداث ليله الثوره، بعد عـشر سنوات من قـيامـها ـ أى فى ١٩٦٢ مرتين، الأولى فى حديث صحفى لجريده صنداى تايمز فى شهر يونيو٦٢، والثانية فى ٢٣ يوليـو ٦٢ فى خـطاب عـام – وعلى الرغم من قـصـر المده بـين الحـديثـين، إلا أن القارىء لهما يجد اختلافا واضحا، ونلقى الضوء على الحديثين كما يلى:

(١) مجلة أكتوبر – عدد ٣٤٦ فى ١٢/٦/١٩٨٣م (سادة العصر الحزين).

اولا :حديثه الى الصنداى تايمز يونيو ٦٢ :

يقول رداً على سؤال مراسل الصحيفة ما نصه (س: وقال ديفن وين مورجان: لقد كانت ليلة مثيرة بلا شك، ولابد أن ذكرياتها ستبقى زمناً طويلاً .. فهل نستطيع أن نعرف الخطوط الرئيسية في سير الأحداث تلك الليلة ؟ جـ: وقال: فى نحو العاشرة من مساء ٢٢ يوليو جاء الى بيتى ضابط من ضباط المخابرات وعضو فى جماعتنا، وإن كنا لم نخطره بما اعتزمنا القيام به لتحذيرى بأن القصر قد تسرب اليه نبأ استعداد الضباط الأحرار للتحرك، وأنه قد اتصل برئيس أركان حرب الجيش الذى دعى الى عقد إجتماع عاجل فى الساعة الحادية عشر لاتخاذ الإجراءات ضدنا.. وكان لابد من اتخاذ قرار فورى .. فلوا أننا تركنا كل شيء ليتم فى ساعة الصفر المتفق عليها، وهى الواحدة صباحاً فقد يدركونا قبل أن ندركهم. ومن ناحية أخرى كانت الأوامر قد وزعت ، وكان من أصعب الأمور الاتصال بكل من له صلة بالموضوع.. تسعون دقيقة - وانضم الينا ضابط المخابرات، وخرجت مع عبد الحكيم عامر لنجمع بعض القوات من ثكنات العباسية ووصلنا متأخرين .. وقد وجدنا أن البوليس الحربى قد أغلق الثكنات فمضينا الى ثكنات الفرسان والمصفحات ووجدنا أيضاً أنهم سبقونا ، وكان البوليس الحربى يحرس كل المداخل .. وبدا للحظات أن خطتنا كلها فى خطر، ولم يبق على ساعة الصفر إلا تسعون دقيقة وبدا أن خطة الثورة كلها تدخل فى مرحلة من تلك المراحل الخطيرة فى التاريخ عندما تتدخل قوى أكبر منا لتوجيه الأحداث، وفى طريقنا التقينا بطابور من الجنود قادمين فى نفس الطريق تحت الظلام، وأخرجنا الجنود من السيارة وألقوا القبض علينا، لكن الجنود كانوا فى الحقيقة من قوات الثورة ، وكانوا ينفذون أوامرى بالقاء القبض على كل ضابط فوق رتبة القائمقام دون مناقشة، ولم يكن الجنود يعرفون من أكون فتجاهلوا كل كلامنا لمدة عشرين دقيقة تقريباً. كل دقيقة منها أثمن ما يكون، ولم تصدر الأوامر بإطلاق سراحى وسراح عبد الحكيم عامر إلا حين تقدم البكباشى يوسف صديق قائد المجموعة وأحد زملائى المقربين ليستطلع سر الضجة، ولم أسعد لرؤية أحد فى حياتى، كما سعدت حين رأيت يوسف

صديق يخرج من الظلام، فقد تحرك قبل الموعد المحدد له، وكان ينتظر حتى تحل ساعة الصفر المعينة ليبدأ الهجوم).

ويلاحظ القارىء على هذا الحديث (١) ان عبد الناصر حدد الوقت بين علمه بانكشاف أمر الحركه وهو العاشره مساء وبين ساعه الصفر بتسعين دقيقه فكيف تكون ساعه الصفر الواحده صباحا ؟ . (٢) ذكر عبد الناصر أن جنود يوسف صديق قبضوا عليه هو وعبد الحكيم واخرجوهم من السياره طبعا بملابسهم العسكريه. فاذا كانت أوامر القبض كانت على رتبه البكباشى فما فوق فلماذا قبض على عبد الحكيم وهو برتبه صاغ. (٣) واضح من الروايه انه كان يحاول نفى الملابس المدنيه !!

ثانيا: خطابه فى ٢٣ يوليو ٦٢:

(كان المفروض أن التحرك سيكون الساعة واحدة، ولكن فيه واحد اعتقد أن التحرك الساعة ١٢ اللى هوه يوسف منصور صديق، وتحرك قبل الميعاد بساعة. قابلناه فى السكة. قلنا له: " مالذى حركك بدرى" قال الميعاد الساعة ١٢ قلنا له "المعياد الساعة واحدة" قال على العموم أنا اتحركت الساعة ١٢ " قلنا له تعال إذن نطلع على القيادة ونحتل القيادة ونعتقل الناس الموجودين هناك" - إن دل هذا على شيئ فيدل على التوفيق - وكانت هذه القوة هى القوة التى احتلت القيادة وقبضت على جميع القادة فى هذا الوقت، وبهذا تمكنت الثورة أن تسير فى عملها..).

ويلاحظ القارىء على هذا الخطاب مايلى:

(١) لم يذكر موضوع القبض عليه سواء بالملابس العسكريه أو المدنيه !! أو إطلاق سراحه!!

(٢) الصق تهمه بيوسف صديق وهى الخروج مبكرا عن ساعه الصفر!! ومع أنه يبدو من غير المنطقى أن يدور مثل هذا الحوار بين الرجلين عن ساعه الصفر فى الوقت الذى كان فيه عبد الناصر حائرا يبحث عن أى مخرج لتحريك القوات لإنقاذ الثوره بعد انكشاف أمرها باعترافه.

(٣) اعترف عبـد الناصر بان قوه يوسف هى القوه الوحيـده التى أنجزت العمل مما ينفى اشتراك قوات الفـرسان فى ذلك العمل. وللقارىء ان يخرج بما يشاء من استعراض أقوال عبد الناصر !!.

(٤) حديث هيكل:

(وهكذا اندفع رجال عبد الناصر يعتقلون قادة الجيش لدى وصولهم الى مفترق الطرق خارج الثكنات - العباسية - حيث دعوا الى عقد اجتماع فى مقر القيـادة العليا للتخطيط لسحق الثورة، ومرت احدى اللحظات الخطيرة لعبد الناصر بالذات إذ إعتقله بعض رجاله بناء على أوامر أصـدرها هو. ذلك أنه لما كان معظم الضباط الشبان من أصحاب الرتب الصغيرة فقد أصدر أوامره باعتقال جميع الضباط من رتبة البكباشى (مقدم فما فوق) وفى تلك الليلة تأخر وصول الكتيبة ١٣ الى القاهرة فـركب عبد الناصر سيـارته منطلقاً خارج القاهرة بملابس البكباشي ليتبين ما حدث لأفراد هـذه الكتيبة فى مشارف هيليوبليس ولكنهم ـ وقد شاهدوا رتبته على كتفه ـ حتى سارعوا باعتقاله، ولحسن الحظ فقد سمع بعد قليل صوت أحد رفاقه فناداه وجاء الصديق (تورية مقصودة) فتعرف عليه وأطلق سراحه).

وواضح من كلام هيكل أنه كان يتحدث عن واقعة القبض على عبد الناصر ليلة الثورة ولكن ماذكره عن تأخر وصول الكتيبة ١٣ الى القاهرة ، كما أن عدم ذكره لساعة الصفر المتقدمة يثير التساؤل أيضاً. فهذا الكلام قصد به أولاً وأخيراً تأكيد أن عبد الناصر كان يرتدى الملابس العسكرية عندما قبض عليه ، كما أنه أغفل عمداً ذكر عبد الحكيم عامر. كما أنه لم يشر من قريب أو بعيد الي يوسف صديق الذى كان ممنوعاً ذكر اسمه فى ذلك الوقت. وللقارىء أن يخرج بما يريد من تلك الرواية.

• (٥) رواية ثروت اباظة:

يصور أحد كبار المثقفين [١] وهو يدلى بشهادته للتاريخ موقف القبض على حسين فريد كما يلى (يوسف صديق الذى استولى بحفنة من الجنود على قيادة الجيش فى شارع الخليفة المأمون فهو الذى تصدى لحسين فريد باشا رئيس هيئة الأركان حينما جاء على عجل ليدخل حجرته ويعيد ضبط الأمور - فمنعه يوسف صديق من الصعود إلى مكتبه وأطلق من مسدسه رصاصتين على الجنود المحيطين بحسين فريد فأرداهما قتيلين وكانا هما طليعة من قتل خلال الثورة منذ يومها الأول وما أن تم ذلك حتى ولى حسين فريد هارباً وهنا ظهر الجميع وتعانقوا وقالوا لقد نجحت الثورة) .

ولعل تلك الشهادة البعيدة عن كل حقيقة قد أساءت إلى قائلها أكثر مما حاولت إلى الإساءة إلى التاريخ !!

---

(١) الأهرام ٣/٦/١٩٩٦ - ثروت أباظة

الباب الثالث

فى مجلس قيادة الثورة

أفـرزت ليلة الثورة أوضـاعاً جـديدة. فبـرزعلى سطح الأحـداث أشخـاص لـم يكونوا أعضـاء فى - الهيئة التـأسيسيـة للضباط الأحرار - الذيـن لـم يقم أى منهم بدور يذكر فى تلك الليله بخـلاف خالد محيى الـدين- بينما قام آخـرون بأدوارهامة ليلة قيـام الثورة. مما أدى الى دخولهم وضمهم الى مجلس القيادة بصفة رسمية فى ١٥/ ٨/ ١٩٥٢ بسبب تلك الأدواروهم (اللواء محمد نجيب وقد قـامت الثورة على اسمه - البكباشى يوسف منصور صديق بطـل ليلة الثورة دون منازع - البكبـاشى عبـد المنعم أمين لدوره فى تحـريك سلاح المدفعية -البكباشى زكريا محيى الدين لدوره فى وضع خطة العمليات - البكباشى حسين الشـافـعى لدوره فى تحـريك قـوات سلاح الفـرسـان)، وقـد أدى هذا الوضع الى وجـود حساسـيات بعد ذلك بين أعضـاء اللجنه التأسيسـيه وبين الاعضاء الجـدد. خاصة يوسف صديق الذى أضاف اليه دوره وزنا وأهميه إضافيه، الى جانب هالة البطولة والشجاعة التى خلعهـا عليه دورة ليلة الثـورة، باعتـباره منقذ الثـورة من الفشـل المحـتم، بالإضافـة الى ما أشتهر به قـبل ذلك من المواقف الشجاعة طوال مدة خدمتـه بالجيش. وقد سبق التنويه عن بعضها .

فإذا أضـفنا الى ذلك كون يوسف أكـبر أعضـاء مجلس قـيادة الثورة سنا بـعد محـمد نجيب، كما كان أكبرهم رتبة، وأسبقهم فى الأقدمية العسكرية ، التى درج العسكريون على النظر اليها بعـين الاعتبار، فمن ناحيـه السن كان يوسف من مواليد ١٩١٠ بينما كـان بقية الأعضاء أصغـر منه سنا، ومن ناحيه الرتبة كان هو برتبـه البكباشى بفارق أقدميـه كبير عن الباقين ، ومن ناحية الأقدميه تخرج هو ١٩٣٣ بـفارق كبير عن باقى الأعضاء، بل لقد كان بعض الأعضاء من تلاميذه عندما كان يعـمل مدرسا بالكلية الحربـية ١٩٤١ ومنهم خالد محـيى الدين، ولكن كل ذلك كان سلاحا ذا حـدين، فقد جـعلت منه كل هذه المزايا هدفا لسهام الحسد والغـيرة من جانب معظم زملائه فى مجلس القيـادة، كما جعلت وجوده فى المجلس - بآرائه الصريحة والجريئة - وبشخصيته التى لايمكن إخضاعها أو السيطرة عليها - عقـبة كأداء فى طريق الطامـحين فى السـيطرة على المجلس، ومن ثم مقالـيد السلطة فى البـلاد، وتوجيـهها فى الاتجاه الـذى يريدون، وكانت لذلك كله آثـاره السريعـة، ونتائجـه

العاجلة في مجريات الامور، وفي تطورات العلاقة بين يوسف، وبين مجلس قيادة الثورة.

ويدعم حديثنا عن وضع يوسف صديق في مجلس قيادة الثورة ماورد على لسان خالد محيي الدين بكتابه (الآن أتكلم) - ص ١٧٤ حيث يقول:

(واقترح جمال ضم يوسف صديق ، فهو الذى لعب دورا هاما ليله الثوره، وأبدى شجاعه فائقه -وأود هنا أن أقرر أن يوسف صديق قد ضم الى مجلس القياده بسبب دوره الشخصي، وليس لأسباب سياسية أو بسبب كونه شيوعيا ، بل لعل جمال لم يكن يعرف حتى ذلك الحين ان يوسف صديق شيوعى - وكان جمال يقول : مش معقول الراجل عمل هذا العمل المجيد وكل يوم يشوفنا ندخل غرفه ونقفل علينا ، ولا ندعوه) .

كما يؤكد وحيد رمضان في شهادته [1] حيث يقول:

(ويوسف صديق كانت مكانته أهم بكثير من - أعضاء الهيئة التأسيسية - لأنه قاد الكتيبة التي احتلت رئاسة الجيش، ثم أ سند اليه مجلس قيادة الثورة بعد نجاحها قيادة اللواء السابع مشاه لتأمين الثورة بالقاهرة، وكان يستطيع بالقوة التي في يده أن يقوم بأى عمل) .

لقد انضم يوسف الى المجلس بعد قيام الثوره وطرد الملك، باعتباره بطلاً مميزاً ، فلم يكن هناك مناص أمام لجنة القيادة، وعلى رأسها عبد الناصر من ضمه اليها .

تناقض أساسى

برز تناقض أساسى بين أعضاء مجلس قيادة الثورة، حول هذه المسألة المصيرية، فقد اتضح أن معظم الأعضاء وعلى رأسهم عبد الناصر لم يكونوا يؤمنون بالخيارالديمقراطى، ولا بان يحكم الشعب نفسه، ولا بالدستور، بينما كانت منشوراتهم وبرنامجهم ذى النقاط الست تنادى بذلك، فقد اتضح بعد ذلك أن صياغة المنشورات قد تمت إما بمعرفة مجموعة أخرى من الضباط - جمال منصور وزملائه - وإما بمعرفة القاضى أحمد فؤاد - ممثل حدتو لدى قيادة الضباط الأحرار تعبيرا عن البرنامج الجبهوى لتلك الحركة، إذ سرعان ما تنكروا للمبادىء المعلنه، وخاصة المبدأ السادس، وأخذوا يسيرون في الاتجاه المعادى

(١) مجلة أكتوبر سنة ٢٧/ ٨/ ١٩٩٥م.)

للديمقراطيه، كاشفين بذلك عن اتجاههم الحقيقى، وهو ما أدركه يوسف منذ أوائل عهده بمجلس الثورة، فهو يفسر التصادم الذى وقع مبكرا بينه وبينهم. بل إنه اتضح ليوسف صديق بعد ذلك، عندما كان يذكر الأعضاء فى المجلس ببرنامج النقاط الست، أن بعضهم لم يكن قد قرأه أصلا، وأن البعض الآخر - إن كان قد قرأه - فهو لايستوعبه - ولايذكر عنه شيئا ، واتضح من ذلك أن قبول عبد الناصر بذلك البرنامج ، إنما كان موقفا تكتيكيا، الهدف منه كسب تأييد الضباط للحركة.

وفيما عدا يوسف صديق وخالد محيى الدين، المتأثرين بالفكر الاشتراكى وما يرتكز عليه هذا الفكر من إعلاء للمبدأ الديمقراطى باعتباره الطريق الرئيسى لتحقيق وحماية الاستقلال الوطنى، ولإجراء التقدم الاقتصادى والاجتماعى، ولتحقيق العدالة الاجتماعية فقد كان معظم أعضاء المجلس الآخرين لايحملون أى تعاطف حقيقى مع المبادىء الديمقراطية، أو مع الوسائل الديمقراطيه فى إدارة دفة الحكم، وكان لتغلغل هذا النهج اللاديمقراطى جذوره المتعدده فى تكوينهم الفكرى والسياسى بل والشخصى .

أول هذه الجذور هو تكوينهم العسكرى ، وما تؤدى اليه النشأة والتكوين العسكرى من اعتياد على الضبط والربط والانضباط العسكرى ، والا عتماد على أسلوب إصدار الأوامر فى ادارة العمل، وهو مايتعارض مع مقتضيات الديمقراطية التى تفترض اختلاف الآراء وتعمل على الوصول الى القرار من خلال الحوار وتعارض الحجج والآراء .

وثانى هذه الجذور هو ضعف الثقافة السياسية لدى هؤلاء الضباط. الأمر الذى جعلهم يميلون الى تناول الأمور بطريقة سطحية وتعسفية، والى التبسيط المخل للمشكلات التى تعانيها البلاد، ومن ثم الى عدم التعمق فى دراستها، وعدم القدرة على إدراك الآثار البعيدة المدى لما يتخذونه من قرارت. وإذا كان ليوسف وخالد موقف مختلف من قضية الديمقراطية. سواء من حيث المبدأ، أو من حيث أسلوب العمل، فإن ذلك لايعود فقط الى تأثرهما بالفكر الاشتراكى، وإنما أيضا لأنهما كانا أوسع ثقافة واطلاعا من الآخرين، سواء من حيث الثقافة العامة، أو من حيث الثقافة السياسية. ولهذا فإن موقف محمد نجيب من تلك القضية، قضية الديمقراطية كان مختلفا الى حد ما مع موقف الآخرين، فرغم أنه لم

يتخذ ذات الموقف الحاسم الذى اتخذه يوسف وخالد الى جانب الديمقراطية، بل إنه آزر القرارات والإجراءات التى اتخذها المجلس فى اتجاه استبعاد الحل الديمقراطى لقضية السلطة في ظل النظام الجديد، والتى وضعت اللبنات الأولى لإقامة نظام الدكتاتورية العسكرية، إلا أنه لم يكن على نفس الدرجة من الضراوة فى معاداة الديمقراطية والوقوف الى جانب الدكتاتورية ، بل اتسم موقفه فى هذا الشأن بالتردد والضعف ، ولاشك أن ذلك كان يرجع - الى جانب عوامل عديدة اخرى - الى ثقافته القانونية فقد كان حاصلا على ليسانس الحقوق ، وعلى دبلومين فى الدراسات القانونية العليا.

ويأتى بعد ذلك عامل آخر كان له تأثيره الكبير فى اختيار معظم أعضاء المجلس للتوجه اللاديمقراطى فى حكم البلاد، ألا وهو تأثرهم بعدد كبير من المستشارين والأعوان المدنيين المعادين للديمقراطية، والكارهين لحزب الوفد الذى كان هو المرشح لتولى زمام الحكم فيما لو أخذ بالاتجاه الديمقراطى بعد قيام الثورة . يكفى هنا أن نشير الى شخصيات مثل : عبد الرزاق السنهورى، سليمان حافظ، وفتحى رضوان، من رجال السياسة، ومثل مصطفى وعلى أمين وغيرهم من رجال الصحافة. ومما يلقى الضوء على موقف جمال عبد الناصر، وطريقة تفكيره فى مثل هذه الأمور، ما ذكره خالد محيى الدين كتابه (الان أتكلم) - ص ٦٨ حين قال:

(وأذكر أننى وجمال توجهنا يوما لزياره أحمد فؤاد فى بيته، ووجدنا عنده شخص قدمه لنا قائلا - الرفيق بدر - وقد تحدث حديثا سياسيا مبهرا. سواء بالنسبه لى أو بالنسبه لجمال، وكانت أحداث سياسيه خطيرة ١٩٥١ سواء فى مصر أو فى سوريا، حيث وقع انقلاب عسكرى جديد. وكانت الصوره مرتبكه أمامنا، ولكن بدر تحدث ممتلكا لرؤية صافيه تماما، واستطاع أن يفسر لنا الاحداث تفسيرا مقنعا وملهما فى آن واحد، انحنيت على أحمد فؤاد. كان عبد الناصر لم يزل منبهرا بهذه الشخصيه الغامضه الواسعه الأفق.

وبينما نحن نهبط السلم سألنى: مين الرفيق بدر ده ؟ قلت: السكرتير العام للحركه الديمقراطيه للتحرر الوطنى، فقال بيشتغل ايه ؟ قلت السكرتير العام، وكرر السؤال لأكررالإجابة، وأخيرا سألنى بحده: يعنى كان بيشتغل ايه قبل مايبقى السكرتير العام؟

وتذكرت أن عثمان فوزى قد حـدثنى طويلا عن الرفيق بدر، وكيف انه كان قائدا لفرع منظمه حـدتو وسط ميكانيكيى الطيران، وكـيف انه وهوالميكانيكى استطاع ان يكون نفـسه فكريا وسياسيا ، ليصبح قائدا وسياسيا يستحق الإعجاب.

فقلت في بساطه : ميكانيكى ، وصاح عـبد الناصر.. ميكانيكى؟، يعنى انت ممكن تبقى عضو فى الحـزب ده وتتلقى أوامر من ميكانيكى ، فقلت المسأله مش مساله أوامر وإنما هى مساله اقتناع بفكره.

لكن مساله الميكانيكى هذه ظلت عالقه فى ذهن عـبد الناصر، وظل يرددها دوما، أحيانا فى تهكم وأحيانا فى استنكار، وحتى بعد الثورة، وفى اجتـماعات مجلس قيادة الثورة مرة قال مشيرا الى: ده زعيمه ميكانيكى !!) .

دوره فى مجلس القيادة

وإذا ألقينا الضوء على أعماله خلال فترة بقائه - القصيرة - فى مجلس قيادة الثورة قبل استـقالتـه فى يناير ١٩٥٣، والتى تتيح مـزيدا من الفهم لجـوانب تلك الشخصـية الرحـبة، والتى تفسر أسباب سلوكه ودوافعـه فى هذه الفترة الهامة من تاريخ الوطن، نجدها تنبع عن قناعة أكيدة بما فعل وذلك على النحو التالى:

(١) قياده اللواء السابع مشاه:

عين قـائدا للواء السابع مـشاه، وهو المكلف بحـمايه الثـوره، ومقره ثكنات العـباسـية، واخـتار اركـان حـربه زميلـه القديم الصـاغ أحـمد فـؤاد حـسن الذى كـان قد احـيل الى الاستيـداع، وقد سبق أن ذكرنا قصتـه فى حرب فلسطين فأعاده الى الخدمـه، كما نقل الى خدمه اللواء كـاركان حـرب ثانى زميله فـى احتـلال رئاسه الجـيش الصاغ حـسن أحـمـد دسوقى الذى يروى تلك القصه قائلا:

(ومشيت عمليه الثوره، وهوه بعد كده اتعين قائد اللواء السابع وانا أركان حربه، وكان اللواء السابع هو المسئول عن امن الثوره، فعلشـان كده الوحيد اللى كان ما بيطلعش صورة

له فى الجرايد ما كانش بيحضر على انه قائد القوه اللى هاتحمى الثوره وقت اللزوم، وكان قائد اللواء السابع وعضو مجلس الثوره فى نفس الوقت، كان أول قرار لمجلس الثورة عوده احمد فؤاد حسن للخدمه - اللى رفد فى فلسطين - ويوسف صديق هوه اللى جابه من بيته وعينه اركان حرب نمره ١ بس للأسف كان بيبلغ جمال عبد الناصر حاجات مشوهه عننا - اكتشفناها بعد كده - قابلت محمود شوكت بالبوليس الحربى وقاللى، عارف مين اللى كان بيشى بكم قال - احمد فؤاد حسن - وهو يوسف ماكنش بيدارى كان من ضمن الحاجات إنه كان لما يرجع بيته يلاقى الصحفيين يقول لهم ايه اللى كان بيحصل فى المجلس، فجابوه مجلس الثوره كاستجواب أو محاكمه، وسالوه ازاى اجتماعات مجلس قياده الثوره تقولها للصحفيين ؟ ورد عليهم وقال احنا مش بنعمل حاجه غلط ، ده انا باقترح ان اجتماعاتنا دى تبقى مذاعه على الهواء والشعب كله يسمع احنا بنقول فى حقه أيه ، وهانصرف معاه ازاى !! أسرار إيه، ده كان منطقه ماكنش يخبى حاجه!!).

(٢) خطابه فى بنى سويف:

ولما أحس يوسف بأصابع امريكا تتدخل فى مجلس الثوره وتحاول احتواءه، وشعر باجتماعات جانبيه مع السفير الأمريكى لم يحط بها علما ولم يحضرها ، بدأ الشك يتسرب الى نفسه، خاصه من تصرفات - عبد المنعم أمين - وعلى صبرى، والاتجاه اليمينى لبعض أعضاء المجلس، والذى رأى أنه مخالفا لمنشورات الضباط الأحرار.

بدأ يقاوم على طريقته الخاصه، ففى إحدى الجولات التى صحبه فيها عبد العزيز على وفتحى رضوان الوزيرين بالوزاره فى محافظه بنى سويف ألقى خطابا سياسيا قال فيه ضمن ما قال: (ان سياسة الثورة لاشرقية ولا غربية) وسجل الخطاب، ولكنه لم يذع على الهواء ومنعت إذاعته، وحدث رد فعل من السفاره الأمريكيه التى سارعت فى الاتصال بجمال عبد الناصر وسالته إن كان كلام يوسف صديق يعبرعن سياسيه المجلس. أم انه يعبر عن رايه الخاص !!

فسارع عبد الناصر الى تأكيد ان ذلك لايعبر عن اتجاه المجلس أو سياسته !! وقد أشار الى تلك الواقعه أحمد حمروش فى كتابه عن ثورة يوليو، وعلق عليها قائلا (ومن العجيب أن سياسة الحياد التى نادى بها يوسف صديق عام ٥٢ وقامت الضجة من حولها هى نفس السياسة التى تتبناها جمال عبد الناصر بعد ذلك، وأصبحت هى سياسة الدولة الرسمية طيلة عهده).

(٣) دوره فى مجله التحرير:

كلف بالإشراف على مجله التحرير بعدما استطاع إقناع مجلس قياده الثوره ضروره ان يكون للثوره مجلة تعبر عن را يها، وقد أختار المجلس (أحمد حمروش) رئيسا للتحرير وقامت تلك المجلة بنشر المقالات التى تبين راى المجلس واتجاهاته فى مختلف القضايا، وقد كتب فيها يوسف وخالد بعض المقالات كما كتب غيره . ولما لاحظ يوسف اتجاه المجلس بمساعدة رجال الفقه الدستورى، وعلى راسهم الدكتور السنهورى وسليمان حافظ الى تعطيل دستور (١٩٢٣) تمهيدا لإلغائه قاوم هذا الأتجاه على طريقته الخاصة فكان أن طبعت مجله التحرير أفيشا ضخما عليه صوره جندى يحمل سلاحه، وقد كتب عبارة - بالخط العريض تقول (نحن حماة الدستور) وقد ألصقت تلك الأفيشات فى الشوارع . وكان لهذا العمل رد فعل عنيف داخل المجلس إذ إنه كان يعنى أن الثورة ماضية فى طريق الديمقراطية والانتخابات التى تمهد الى تسليم السلطه الى الشعب، ولم يكن هذا بطبيعة الحال يرضى غالبية اعضاء المجلس الذى كان يتطلع الى التمسك بالحكم، وعلى رأسهم عبد الناصر.

كذلك فإن امريكا كانت تشجع على انفراد المجلس بالحكم، وعدم إجراء الانتخابات، التى قد تاتى بحزب الأغلبيه (الوفد) ويلقى خالد محيى الدين الضوء على ذلك الاتجاه فى كتابه الآن أتكلم ص ٢٠٨ قائلا:

(ويمكننى القول بأن أغلب من أحاطوا بالثورة من مستشارين ومن قوى سياسية كانوا يعملون جميعا من أجل استمرار العسكريين فى الحكم وضد الديمقراطيه والبرلمان، قلت

إن السنهوري ، وسليما ن حافظ ، وفتحي رضوان كانوا يشجعون الضباط على تحدى الدستور والديمقراطية بحجة أنها ثورة وأن للثورة قانونها الخاص، كذلك كان الدكتور سيد صبرى أستاذ القانون الدستورى يشجع فى هذا الاتجاه أيضا، ويقول إنه لامبرر للتمسك بالنصوص، وإن البلد فى وضع ثورى وبحاجه الى خطوات ثورية والى فقه ثورى.

والإخوان المسلمون كانوا يشجعون هذا الاتجاه، ربما بامل ضرب كل القوى السياسية الأخرى، ثم بعدها يتمكنون من احتواء الثورة، ناسين ان أفتقاد الديمقراطيه قد ينقلب وبالا عليهم، وقد انقلب بالفعل وبالا عليهم وعنفا ضدهم).

وانتهى الأمر بطرد (أحمد حمروش) بعد أن شاع بإيعاز من أمريكا أن مجله التحرير هى مجله شيوعية، وكان ذلك بعد ثلاثه أعداد فقط من صدورها!! وعين ثروت عكاشه رئيسا للتحرير، ولكن الحقيقه كانت هى تخوف أمريكا من اتجاه المجلس الى الديمقراطية!!

وجاء أفيش حماية الدستور مؤشرا على ذلك، ويقول خالد محيى الدين ص ٢١٠ (ونأتى الى قصة مجلة التحرير، وقد كان صاحب اقتراح إصدارها يوسف صديق - ربما بايعاز من حدتو - بأهمية ان يكون لمجلس القيادة مجلة تعبرعن رايه فى الأحداث.

وكلف يوسف صديق بإصدار مجله سميت - مجله التحرير - وتولى رئاستها - أحمد حمروش - الذى جمع فيها العديد من الصحفيين اليسارين، وكالعادة فإن الزملاء اليسارين كانوا يعشقون الألفاظ العالية الرنين والشعارات الساخنة.

وكانوا يتصورون أنهم بذلك انهم يضعون الثورة أمام مسئولياتها، وأمام التزاماتها السابقة، وأمام برنامجها القديم، - أهداف الضباط الأحرار - ناسين أن الدنيا قد تغيرت، وأن الضباط الثائرين على الحكم القديم أصبحوا حكاما، وأن التاثير فيهم لايكون بمثل هذه الحجة ولا بهذا التحدى. والنتيجة أنه بعد ثلاثة أعداد ساخنة للمجلة، أتى عبد الناصر وقال: ان المجلة شيوعية وإنه يتعين تغيير رئيس التحرير، وأبعد أحمد حمروش واستدعى ثروت عكاشه).

ولكن رئيس التحرير الجديد لم ينل الرضا أيضا، ذلك أنه فى العيد الأول للثورة لم يذكر دورا لصلاح سالم يوم قيام الثورة لأنه لم يكن فى القاهرة، وكان صلاح وقتها وزيرا للإرشاد فتم فصل ثروت !!

(٤) مقاومة الاتجاه الى الدكتاتورية

كان لبعد نظر يوسف صديق وصدق حسه الفضل فى اكتشافه المبكر لاتجاه مجلس قيادة الثورة ـ وعلى رأسه عبد الناصر ـ الى الديكتاتورية، وكان ذلك فى سبتمبر ٥٢ أى بعد شهر واحد من انضمامه لمجلس قيادة الثورة، ولم يكن ذلك تخمينا منه، ولكنه كان استقراء صادقا للأحداث وتحليلا ملهما لها فى ذلك الوقت المبكر جدا، والذى لم يدركه أحد غيره، وقد حدث صدام كبير بينه وبين عبد الناصر وبصراحة يوسف المعهودة فقد صارح المجلس بذلك فلم يوافقه أحد على رأية لكن الأيام أثبتت بعد ذلك ومازالت تثبت صدق تلك الرؤيا !!

الاستقاله من مجلس قياده الثوره وأسبابها

دفع يوسف ثمنا غاليا ، ومازال يدفع حتى اليوم فى سبيل موقفه، حتى أنه دخل السجن من أجل ذلك، وتعرض لكثير من التنكيل طيلة حياته، والإنكار حتى بعد موته، وكانت مواقفه داخل المجلس، صراعا متصلا حتى استقال.

ورد على لسان اللواء نجيب وآخرين من أنه تعرض للمضايقات من أعضاء المجلس كان بعضها بسبب مكانته الكبيرة وشخصيته القوية التى جعلت عبد الناصر يحاول جاهداً دفعه الى المواجهة السريعة، وبعضها بسبب الخوف منه، ولإبعاده أساسا عن قياده اللواء السابع ، وبعضها بسبب الغيرة.

لكن تلك المضايقات كانت فى الواقع جزءاً من سيناريو طبق أكثر من مرة، ويبدأ بدفع بعض أعضاء المجلس لمهاجمة العضو المطلوب، - خاصه صلاح وجمال سالم - وحدث هذا مع محمد نجيب، يوسف صديق، أنور ألسادات، عبد المنعم أمين، خالد محيى الدين.

وفي ذلك يقول محمد نجيب ص ١٥٥ من كتابه كلمتي للتاريخ (ضاع السودان كما ضاعت الديمقراطية.. ولكن الصفحه لم تنته بلا أثر، كان لابد من وجود كبش فداء، وكان صلاح سالم هو الضحية، وعندما سمعت خبر استقالته وأنا في عزلتي لم تاخذني الدهشة، فلم يكن معقولا أن يحمل جمال عبد الناصر نفسه مسئولية انفصال مصر عن السودان .

وكان اصطياد صلاح سالم من أخطائه واندفاعاته أمرا ميسورا، وتخيلت شريطا طويلا لحياه صلاح سالم في مجلس قياده الثورة، الحيوية الشديدة، الجموح العاصف، والطموح الشديد، وتذكرت ما قاله عني يوم قدمت استقالتي في شهر فبراير ،ولم اشعر بالنقمه عليه، لاني ادركت منذ البداية أنه كان يؤدي دورا رسمه له جمال عبد الناصر ، ولالتهاب عاطفته اندفع في أداء دوره حتى تجاوز أحيانا الحدود المرسومة له .وعندما وصل الى المرحله التى يجب التخلص منه فيها لم يكن ذلك صعبا أوعسيرا ، فلم يعد لأحد من أعضاء مجلس قياده الثوره أي صله بالجماهير ، ولم تعد لهم كذلك أي صله بالجيش بعد أن اصبح في قبضه عبد الحكيم عامر موضع ثقه واطمئنان جمال عبد الناصر .

وتمنيت في وحدتي أن ألتقى بصلاح سالم ليصارحني بما في صدره وقلبه بعد أن انطفأت عنه الأضواء، وانزوى في الظل، وكنت واثقا أن مثل هذا اللقاء كان سيثرى - كلمتي للتاريخ - بمزيد من الحقائق ، لكن القدر اختطف صلاح سالم ومات دون أن أراه .

وذهبت لتعزيه شقيقه جمال سالم الذي استقال بعده أيضا ورفض المشاركة في الوزارة عقب انتهاء فتره الانتقال، وفوجيء جمال سالم بحضوري متسائلا مندهشا: هل أنت الرئيس محمد نجيب ؟ ثم استطرد قائلا وأنا أعزيه : هل تعزى في صلاح وتعزيني بعد كل الإساءات التى ألحقناها بك ؟ فقلت له: الواجب أولا ياجمال فبكى .

وكان معي ضباط المخابرات الذين كانوا يحرسونني ويخرجون معي الى كل مكان أذهب اليه بعد أن قضيت ست سنوات كامله لاأغادر فيها منزل الاعتقال المهجور في ضاحيه المرج، وعندما سقط جمال سالم مريضا ذهبت لزيارته وهو على فراش الموت مع الحراس أيضا ، فأجهش بالبكاء وقال : سامحني يانجيب ، فقد دفعنا الشيطان الرجيم

ضدك.

وماذا أملك لهؤلاء الزملاء اليوم إلا السماح، لكن القضيه ليست هى أن أسامح أو لاأسامح، القضيه هى أن يسامح التاريخ، أو لايسامح) .

ويقول السادات ص ١٦١ من كتابه البحث عن الذات: (لم تكن الوزارت مطمعنا فنحن لم نعد أنفسنا لها، بل ولم نعد برنامج حكم معين ، ولكن رغم هذا كله حدث أننا فى أحد اجتماعاتنا قلنا: لقد آن الأوان لكى نوزع أنفسنا لمتابعه أعمال الوزارات. بمعنى أن يصبح كل واحد منا مسئولا عن وزارة أو مجموعة وزارات لكى نعطى للعمل دفعة جديدة، كل واحد بدأ يتكلم ويستعرض قدراته بالنسبه لهذه الوزاره أو تلك، الى أن أتى الدور على فقلت : لااعتقد أنى بحاجه الى وزارة، فأنا لاأفهم إلا فى السياسة، وسألنى صلاح سالم متهكما ، وما هى السياسة التى تفهم فيها ؟ قلت : أنا أقصد بالسياسة كيف نوصل مصر من أقصر وأسرع طريق الى أمانينا ، وأن نكتب لمصر تاريخا جديدا. هذه هى السياسه فى عرفى.

وما أن قلت هذا حتى خيل الى أننى ارتكبت جريمة، فقد هاجمنى صلاح سالم على الفور، واشترك معه بعض الحاضرين، وعلى رأسهم عبد الناصر، لم يهمنى هجوم صلاح سالم. فقد كان معروفا بحب الظهور والتهجم).

وفى حالة يوسف أطلقت الشائعات حول ميوله الشيوعية وأن الأمريكان لا يستريحون اليه ، وظهر ذلك واضحاً عند خطابه فى بنى سويف الذى طالب فيه بأن تقف الثورة موقف الحياد بين الشرق والغرب، ولأنه كان مؤمناً بشدة بالحرية التى نادى بها لذلك بدأ الصدام، ونوجز أسباب استقالته من مجلس قيادة الثورة. علاوة على ما أسلفنا من شرح فيما يلى :

• تنكر مجلس قيادة الثورة لمبادئ الضباط الأحرار خاصة فيما يتعلق بالحكم الديمقراطى وإطلاق الحريات، والحكم بالدستور، وقد رفض هذا الاتجاه وقاومه بالمعارضة داخل المجلس.

• رفضه القاطع لقانون تنظيم الأحزاب والذى كان يهدف الى تصفية تلك الأحزاب

تمهيداً لإلغائها، وتهيئة الساحة لحكم الفرد، وقد كانت رؤيته تلك سابقة للزمن لم يدركها أحد سواه.

• رفضه التصديق على الحكم الصادر من المحكمة العسكرية بإعدام العاملين (خميس والبقرى) لأن المحاكمة لم تكن عادلة فى رأيه، ولم تكن قانونية حيث لم يوفر للمتهمين فرصة الدفاع عن نفسيهما بشكل قانونى.

• اتجاه مجلس قيادة الثورة الى تصفية الأحرار، وذلك بغلق الصحف واعتقال الوطنيين دون محاكمات، فتم غلق مجلات وصحف - الكاتب - الملايين - الميدان - الواجب - صوت الطالب - وكلها صحف معارضة، واعتقال القوى الوطنية، ومنهم

• اعتقال الشيوعيين دون محا كمات وإيداعهم السجون، وقد عارض ولم يوافق على أى من تلك التصرفات .

• اتجه مجلس قيادة الثورة الى اعتقال الضباط الأحرار وتصفيتهم، ومنهم ضباط سلاح المدفعية الذين أودعوا السجون بملابسهم العسكرية وفى أيديهم وأرجلهم القيود والسلاسل فى يناير سنة ٥٣.

• ولم يكتف بالمعارضة فى هذا الموقف، ولكنه ثار ثورة عارمة على عبد الناصر واتهمه بالدكتاتورية وقدم استقالته وأصر عليها قائلاً (إن ضميره لا يسمح له بالبقاء وسط مجلس يصدر قراراً باعتقال زملاء يعتبرهم شرفاء لا يستحقون مثل هذه المعاملة).

• حاول أحمد فؤاد إ قناعه، وكذلك محمد نجيب وكمال الدين حسين بالعدول عن استقالته. لكنه أصر على موقفه، ورفض أن يشارك فى حكم مصر بهذه الطريقة.. وقد أورد أحمد حمروش ما يؤيد قولنا فى كتابه ثورة يوليو الجزء الأول ص ١٠ الى صفحة ١٤.

• تلك هى بعض مواقف يوسف صديق فى الدفاع عن الحر ية والديمقراطية، ورفض حكم الفرد لما له من نتائج بالغة السوء على الأمة والوطن.

وقبل أن ننهى موضوع استقالة يوسف صديق من مجلس الثورة ومن الجيش، نحب أن نوضح للحقيقة أنه قدم ثلاث استقالات متوالية على النحو التالى :-

الأستقاله الأولى:

فى يناير سنة ٥٣ عقب القبض على ضباط المدفعية الأحرار ووضعهم فى السجن بملابسهم الرسمية، وقد قدمها الى اللواء محمد نجيب الذى كان فى ذلك الوقت رئيساً لمجلس قيادة الثورة، والتى نوهنا عنها فى حديثنا السابق ، وكانت العبارة الأخيرة فيها تقول[١].

(إننى لا أريد أن أهدمك على يديهم، لما بينى وبينك من ود قديم - ولا أريد أن أهدم معهم البلد على يديك لما بينى وبينها من ود صادق - لذلك أرجو قبول استقالتى).

ويذكر اللواء محمد نجيب [٢] تلك الأستقالة قائلاً (وفوجئت بعد اعتقال ضباط المدفعية بيوسف صديق يقدم استقالته ويصر عليها رغم محاولاتى المتكررة العدول عنها قائلاً: إنه لا يمكن أن يرتبط مع مجموعة لا يوافق على سياستها، وكانت هذه أول استقالة من مجلس الثورة..).

ويذكر كمال الدين حسين [٣] (وكانت أول أستقالة من مجلس قيادة الثورة تقدم بها المرحوم يوسف صديق. حقيقة أنه دخل مجلس القيادة ليلة الثورة فقط عندما نجح بقواته فى مهاجمة مقر القيادة فى كوبرى القبة. إلا أنه فى فبراير سنة ٥٣ قدم استقالته، وعندما حاولنا اقناعه بالعدول عنها قال: أنتم تتحدثون فى كلام لا أفهمه).

وفى موقف مشابه يقول خالد محيى الدين ص ٢٠٦: - (فى مارس ٥٣ عرض مشروع عقد العمل الفردى فى المؤتمر المشترك، وطرح من جديد موضوع الفصل التعسفى الذى اشتهر بموضوع الماده ٣٩ من قانون عقد العمل الفردى، وتكتل الجميع ضدى، وكان عبد الناصر غائبا ، وتقدمت باقتراح بسيط للغايه، وهو حق العامل فى اللجوء الى المحكمه اذا فصل تعسفيا، فإذا قررت المحكمة حقه فى العودة للعمل تحتمت عودته، لكن الجميع رفضوا ذلك أيضا بحجه انه سوف يخيف رأس المال، إزاء ذلك قررت تقديم استقالتى،

(١) مذكرات السيدة علية توفيق
(٢) كلمتى للتاريخ ص(٦٠)
(٣) الصامتون يتكلمون ص (١٥)

والحقيقه أننى كتبت هذه الاستقاله وكأنى أزيح عن كاهلى عبئا ثقيلا، وأحسست براحه بالغه بعد أن أرسلتها، وقلت لنفسى: الآن ارتاح ضميرى، فقد كنت أعيش فى مأزق حقيقى، فأنا أعارض فى غرفه مغلقه، وهم يملكون الأغلبية أو الإجماع ضدى، ويملكون أجهزه الأعلام، إذا قلت رأيا لأحد قالوا إننى أذيع أ سرار المجلس، وأتحدى التضامن المفترض بين الزملاء فى مجلس القياده على أى حال رفض عبد الناصر الاستقالة، وربما لم يجد الوقت مناسبا، أو أنه ليس من المناسب أن أخرج هكذا مدافعا عن حقوق العمال).

لكن يوسف كان أبعد نظراً من زملائه عندما أصرعلى استقالته بسبب إهدار الحريات.فلم يكن يؤمن كثيرا بالمواقف التكتيكية. خاصه فى القضايا المصيرية.

الاستقالة الثانية:

أكد إصرار ه على استقالته الأولى وهو فى منفاه بأسوان، وكان فى حراسته ضباطه الثلاثة (عبد المجيد شديد - محمد السقا - وحيد رمضان) فى أواخر فبراير ٥٣ .

الاستقالة الثالثة:

• أرسلها فى برقية مفتوحة الى اللواء محمد نجيب عقب وصوله وعودته الى مصر سراً من منفاه فى لبنان ومعه زو جته وطفليه. وقال فى نصها (وصلت الى بلدتى - وأطلب تسوية حالتى - وقبول استقالتى).

وكان ذلك فى أغسطس سنة ٥٣ وكانت هذه الاستقالة من الجيش كله فى عمل غير مسبوق أن ترسل مثل هذه الأستقالة الى رئيس الدولة فى برقية مفتوحة من مكتب تلغراف مدينة الواسطى.. (أرسل الاستقاله الأستاذ محمود توفيق)!!

أطول يوم فى تاريخ مصر ص٢٢٩ جمال حماد
مجلة الوادى أكتوبر ٨٢ حسين صديق
مجلة الوادى سبتمبر ٨٢ عبدالمجيد شديد
مجلة أكتوبر ٢٢ / ٧ / ٩٠ حسن دسوقى

الباب الرابع

فى سبيل الديمقراطية

نعـرض فى هذا الفـصل من الحـديث للفـتـرة من منتـصف يناير ٥٣ وهو تاريخ إبعـاد يوسف صديق الى أسـوان حتى أول أبريل ٥٤ وهو تاريخ دخوله السـجن، وقد سـجلت تلك الفتـرة صفحة من أنصع صـفحات نضـاله، فى سبيل الحيلولة دون انجـراف قادة ثورة يوليـو الى الطريق اللاديمـقـراطى ، تمسكا منه بمبـادىء ثورة يوليـو من ناحيـة ، وبمصـالح الشعب والوطن من ناحية أخرى .

فنرصد قلقـه وخوفه على الثورة ، بـإحساس الأب المسئـول ، لما له من دور حاسم فى قيامـها ، ونلقى الضوء على فترات تحـديد الإقامة وفترات النفى خـارج البلاد ، فنعرض لما قيل عنها - سواء من أقوال يوسف أو أقوال معاصريها وشهودها ، وأيضا من بعض مانشر عنها بعد عام ٨١ ، ونلقى الضوء على ماتعـرض له يوسف خلال تلك الفترة، وكيف كان رد فعله لما حدث .

وغرضنا من ذلك أن نضع القارىء أمام الحقائق ، وأيضا أن نضع الحقائق أمام التاريخ، يشير جمال حماد الى تلك الفترة بقوله فى مجلة اكتوبر ٨/ ٩/ ٩٦:

كان لموقف بعض ضبـاط الثورة السابقين الذين نشرت الصحف مـقالاتهم أو أحاديث لهم أثناء الفتـرة التى رفعت فيهـا الرقابة على الصحف، والتى عـبروا خلالها فى كـتاباتهم عن تأييدهم للديمقـراطية ومهاجمة مـجلس الثورة بسبب الأسلوب الشمولى الذى يتـبعه فى الحكم ، ماجعلهم هم الآخرون هدفا للإجراءات الانتقـامية عقب إلغاء قرارات مارس الديمقراطية .

وكان من أبرز هؤلاء الضباط العـقيد يوسف منصور صديق عضو مـجلس قيادة الثورة السابق، والذى قدم استقالته من المجلس فى فبراير ٥٣، والذى كان دوره فى ليلة ٢٣ يوليو من الأدوار الرئيسية التى حققت لنجاح الثورة، وخلال أزمة مارس كان يوسف صديق الذى فرضت عليه من قبل الإقامة الجبرية بمنزله بحـلمية الزيتون ، عقب عودته سرا من منفاه فى لبنان متحديا تعليمات مجلس الثورة بعدم العـودة الى مصر، وقد أرسل رسالة مفتوحة الى اللواء محـمد نجيـب نشرتها جـريدة المصرى يوم ٢٤ مارس ٥٤ تحت عـناوين، وقد طالب فـيهـا بتشكيل وزارة ائتـلافـية من عناصـر من الوفد والإخـوان المسلمـين والأشتـراكيـين

والشيوعيين برئاسة المستشار الدكتور وحيد رأفت كي يعهد اليها بمهمة إجراء الانتخابات للبرلمان الجديد، كما أدلي يوسف صديق بحديث صحفي لجريدة المصرى نشرته الصحيفة يوم ٢٦ مارس تحت عناوين بارزة كان من بينها، الشعب هو الذى يرسم سياسة البلاد دائما، الميول الحمراء (يقصد الشيوعية) تلصق دائما بكل حر، وقد ألصقت بجمال عبد الناصر وخالد محيى الدين، سبب استقالتى يفسرها تاريخ الاستقالة.

وقد دفع يوسف صديق ثمنا غاليا لهذا الموقف الذى وقفه فى أزمة مارس فى صف الديمقراطية، فتم اعتقاله فى أول إبريل ٥٤ أى بعد يومين فقط من إلغاء قرارات مارس، وأودع سجن الأجانب لمدة شهر ثم نقل الى السجن الحربى، وظل مسجونا فيه لمدة ١٣ شهرا ، وفى أول مايو ٥٤ أى بعد شهر واحد من اعتقاله تم اعتقال زوجته السيدة علية توفيق، وأودعت فى قسم النساء بسجن مصر ، ولحق بيوسف صديق فى السجن الحربى مجموعة من أقاربه صغار السن. كان أحدهم فى السنة الثانية الإعدادية، وكذا بعض الخدم الذين سبق لهم الخدمة بمنزله ، والتقى يوسف صديق فى السجن الحربى مع الكاتب الكبير احسان عبد القدوس رئيس تحرير مجلة روزاليوسف الذى ساقوه هو الآخر الى السجن الحربى بسبب مقالاته اللاذعة فى المجلة خلال فترة إلغاء الرقابة على الصحف، والتى كان من أبرزها مقاله الشهير الذى كان عنوانه (الجماعة السرية التى تحكم مصر)، وحتى حسن دسوقى أحد الضباط الأحرار وصديق يوسف صديق لم يلبث أن زجوا به فى سجن الأجانب ، وعقب الإفراج عن يوسف صديق وزوجته وأقاربه ، فرضت عليه وعلى زوجته الإقامة الجبرية بمنزله بعزبة النخل، ولم ترفع عنه الأقامة الجبرية إلا عقب العدوان الثلاثى على مصر ٥٦ تقديرا منهم لمشاركته فى تنظيم المقاومة الشعبية ضد الغزاة المعتدين فى منطقة مصر الجديدة.

ويوجز مصطفى أمين الحديث عن تلك الفترة فى مقاله بجريدة الأخبار يوم ٢٨/ ٣/ ٩١ قائلا: وقيل إنه شيوعى، ولهذا أخرجوه من مجلس الثورة، ولم يحاول أن يحارب الثورة ، وبقى يتفرج من بعيد، ولكن القبضة الحديدية وصلت اليه واعتقلته واعتقلت زوجته، واعتقلت شقيق زوجته، وعاش بعد ذلك مطاردا مغضوبا عليه من كل

الجهات ، وكان شريفا فى خصومته ، يقول رأيه ولايخاف ، وضع رأسه على كفه ليلة ٢٣ يوليو، وبقى واضعا رأسه على كفه الى أن مات).

إن من حق يوسف صديق أن يعرف الناس حجم التضحيات التى تحملها والمعاناة التى كابدها فى سبيل مبدأ آمن به ، ولم يكن خلافه مع قادة يوليو صراعا على السلطة، لكن خلافه كان على الآثار البعيدة المدى للأتجاه اللاديمقراطى ، فمن ناحيه هو يخالف مبادىء الثورة التى أعلنتها ، ومن ناحية أخرى فهو ضار على المدى البعيد على مصالح الوطن وحق الجماهير ، ولما كانت الأيام قد أثبتت صدق رؤيته بعد أربعين عاما، فإن هذا الموقف فى اعتقادى هو نموذج رفيع المستوى، فإذا عرف القارىء أن يوسف لم يقبل أى ثمن أو ترضية عن تلك التضحيات، ولم يقبل منصبا ـ رغم ماكان يعانيه من ضيق ذات اليد، لاقترب القارىء من ملامح تلك الشخصية.

(١) الإبعاد الى أسوان

بعد أن وصلت العلاقة بين يوسف صديق ومجلس قيادة الثورة الى حالة بالغة من التوتر، عزم يوسف على تقديم استقالته من المجلس وامتنع عن الحضور، ثم مالبث أن صحب زوجته السيدة (علية توفيق) وطفليه (حسين ونعمت) وسافر فجأة الى قريته، ونزل فى بيت خاله الذى شهد طفولته وصباه ، وفى الجانب الآخر من البيت كانت تنزل ابنته السيدة (سهير) وزوجها ابن خاله وشقيق زوجته الأستاذ/ محمود توفيق ومالبث المجلس أن تحرك فأرسل اليه نفرا من أقرب معاونيه (وهم من ضباط الصف الثانى الأحرار) فى محاولة لأقناعه بالذهاب وحيدا معهم الى أسوان ، بدعوى إتاحة الفرصة لإراحة الأعصاب من ناحية، والتفاهم ورأب الصدع وقفل باب الفتن من ناحية أخرى، ولكى يتحقق ذلك اصطحبوا معهم أحد الضباط الأحرار وهو من مديرية بنى سويف (صلاح زعزوع) الذى قام بعزومة يوسف ورفاقه فى بيته ببنى سويف، على أن يتم السفر من هناك الى أسوان، بعد أن قام ابن خاله بالواجب من أكرامهم والترحيب بهم، والوقوف على خدمتهم حتى انصرافهم .

لكن زوجتـه السيـدة (علية) ساورها الشك فى الهـدف من وراء اصطحابه وحـيدا مع الضباط دون أسرته من ناحية، كما أستـشعرت واجبها فى أن تكون بجوار زوجها فى تلك اللحظات من ناحية أخرى، وهو مـادفعها الى أصطحاب طفليها والسـفر فجرا الى أسوان من مـحطة الواسطى لتكون فى استـقبـاله عندما يـصل ، ولم يكن لديها مكان تذهب الـيه فانتظرت فى محطة القطار حتى وصل مع رفاقه.

فأما رفـاق يوسف فقد أخذتهم الدهشـة لوجود أسرته من قبله فى أسـوان. مما استدعى تغيير مقـر الإقامة وهو فى أحدى الاستراحات الحكومية، وأمـا مجلس الثورة فكان قد بدأ الطريق الى إبعاد يوسف صديق نهائيا - بالوسائل المتاحة أمـامه - كما ضرب ستارا كاملا من التعتيم على اسـمه، كما اعتقل كل من يمت اليـه بصلة ، ذلك أنه فى هذا التوقيت ١٦ يناير ٥٣، ألغى المجلس الدستور واعتمد الحكم الديكتاتورى طريقا للحكم .

على أن ابنتـه (سـهيـر) قد لحقت به بصـحبة أحد مساعـديه بعد اعتقال زوجـها، بينما عادت زوجته بطفليهـا لمتابعة الدراسة، وفى تلك الفترة اتصل يوسف تليفـونيا بعبد الناصر وأكد استقالته، فاستدعى الى القاهرة تحت الإقامة الجبرية بمنزله بحلمية الزيتون.

ويلقى شهـود الحادث الضوء على تلك الفتـرة الهامة حيث تبـدأ ابنته (السيده سـهير) قائله:

فى اوائل ٥٣ كنت متـزوجه حديثـا من الأستاذ مـحمود توفـيق ابن خال والدى، وكنا نعيش فى بدايه حـياتنا فى منزل والده بقـريتنا - زاويه المصلوب - مركـزالوا سطى. حيث كان يعمل زوجى محامـيا، وكنت فى شهور حملى الأولى. جاء أبى لزيارتنا وقـضاء عده أيام (ومعه زوجته وطفليها) معنا بعد خـلافه مع زملائه بمجلس قيادة الثورة، وبعد أيام جاء الى منزلنا بعض ضباط الصف الثانى لمقابلة والدى. أذكر منهم عـبد المجيد شديد، والسقا، ووحيد رمضان وآخـرين، جاءوا للاجتماع بوالدى ومقابلته لمحـاوله تخفيف حدة الخلاف بينه وبيـن زمـلائه. وتـم الاتفاق على أن يسافر الى أسوان لفتره قـصيره فى محاوله لتهدئه النفوس، وكان زوجى طوال اليوم يقوم على ضيافتهم واستقبالهم وإكرام وفادتهم، وحسن وداعهم عند الانصراف، وسافر والدى الى أسوان.

وفى فجر اليوم التالى حضر رجال البوليس الى منزلنا حيث تم القبض على زوجى وإرساله الى معتقل جبل الطور ، وعرفت فى نفس اليوم أنه تم القبض على عدد من شباب العائلة.

سافرت الى أسوان لأكون مع والدى الى أن يتم البت فى أمر زوجى. فوجدته يعيش فى أحد الاستراحات الحكومية ويرافقه ضابطين هما السقا وحيد رمضان وكنت أعرفهما جيدا. حيث كانا يأتيان كثيرا لزيارة والدى بمنزلنا بالعريش قبل قيام الثوره بشهر، وبالطبع علم والدى بقصة القبض على زوجى وعلى أقربائه، وفهم أن هذا الإجراء يمثل نوعا من الضغط عليه لكى يتراجع عن موقفه .

فى هذه الفتره التى قضيتها مع والدى فى أسوان صدر عدد من مجله المصور فى فبراير ٥٣ وبه هديه عباره عن صوره أعضاء مجلس قياده الثوره كاملا. ولكن الهديه الموجوده داخل العدد أمر جمال عبد الناصر بمصادرتها. وفعلا تم جمعها من داخل العدد، ولكنى حصلت عليها وهى تحت يدى الآن .

وعلمت بعد سنوات من حديث للكاتب - حلمى سلام - فى مجله صباح الخير العدد ١٤٩٢ يوم ٩ أغسطس ١٩٨٤ قال فيه: أذكر أننى بعد فترة قصيرة من قيام الثورة، أقنعت جمال عبد الناصر أن يقوم مصور دار الهلال بالتقاط صورة جماعية لأعضاء مجلس قيادة الثوره، ونقوم بتوزيعها بمثابة هدية مع مجلة المصور، وافق عبد الناصر على الاقتراح ورحب به أصحاب دار الهلال، وتم تصوير أعضاء مجلس القيادة، وأعددت الصورة الهدية، وذات مساء قبل نزول المصور الى الشارع بيوم واحد، اتصل بى جمال قائلا: ياحلمى الغى فكرة الصورة الهدية، فقلت بدهشة: لكن احنا طبعناها فعلا وجاهزة للتوزيع مع المصور غدا، فرد بحده لا. الغى الهديه وتعال حالا عندى هنا، وذهبت فى الحال الى جمال عبد الناصر وشرح لى الأسباب التى دفعته لإلغاء الصوره الجماعيه قائلا: ما تتضايقش ياحلمى. لأن فيه اثنين من الذين يظهرون فى هذه الصوره وسيراهم الناس غدا سوف يختفون بعد فتره !! وانا لاأريد الناس أن ترانا اليوم وبعد فتره يجدونا وقد نقصنا اثنين، وسألته عن الاسمين. فقال: يوسف صديق وعبد المنعم أمين!!

ومن هنا فإن النيـة كانت مبـيتة للتـخلص من والدى رغم أن الاتصال به كـان مستـمرا فى أسوان فى محاولة أو للتظاهر بأن هناك جهودا تبذل لتقريب وجهات النظر).انتهى كلامها.
وتكمل زوجته (السيدة علية) القصة قائلة:

انتظرت زوجى فى محطة سكة حـديد أسوان ومعى طفلاى ، وظللنـا أكثر من أربـع سـاعات حـتى وصلوا بالقطار، وكانت مـفـاجأه لهم أن يجـدونى فى الانتظار !!كــان المسئولون قـد حجزوا لأنفسهم مكانا فى إحـدى الاستراحات الحكومية من غـرفة واحدة وصالة ولم تكن بطبيـعه الحال تكفى لنا ونحن أسره مما دعاهـم الى تغييرها باستراحـه أكبر فكانوا هم (شديد والسقا) فى غرفه، ونحن فى غرفه بينما تخلف وحيد رمضان وعاد الى القـاهرة لتلقى التعليـمات، لـم يكن الأمر إراحـه أعصـاب لكنه كان فى الحـقيـقه تحـديدا للإقامه، وطبعا وصلت الأخبار للقـاهرة بوجودى مع زوجى، وكان الاتفاق على أن البقاء فى أسوان لأيام قليله ومحددة، ومن هناك أرسل يوسف تاكيد استقالته، ولما ألح عليهم فى معرفه ميـعاد عودتنا الى القاهرة، قالوا له انها يوم الإثنين القادم ، وبعـد يومين قال أحدهم أمامى إن وحيد رمـضان سوف يحضر يوم الإثنين، وفرح زوجى فقـد كان يحب «وحيد»، ولكنى قلت اذن لن نسافر يوم الإثنين، وفعلا حضر وحيـد رمضان يوم الإثنين ومعه سهير ابنه يوسف وزوجـه أخى، وقال إن المدرسـة تسـال على ولدى حسـين، وأن الدرا سة قـد بدأت، ولذلك فقد أحضـر ابنته لتقوم على رعايته، وكان مطلوبا منى بطبـيعة الحال العودة الى القاهرة، فعدت إليها). انتهى

(٢) ترحيل زوج ابنته للسجن بالمدمره ايلات!!

يكمل الأستاذ محمود القصه قائلا: يوسف كـانت قد كثرت خلافاته مع مـجلس قياده الثوره حول قضية الديمقراطية، وأسلوب الحكم الذى بدأ ينتهجه أعضاء المجلس وأعوانهم من رجـال الصف الثانـى، والذى كشف عن اتجـاه للدكـتاتورية العـسكرية، والخـروج على مبادىء حركة الضباط الاحـرار وآمال الشعب فى حكم ديمقراطى، وهى الأهداف التى ظل يكافح من أجلها الشعب من قبل ثورة عرابى على مدى قرن من الزمان على الأقل .

وبدأ الخلاف يتسع الى درجة أن جمال عبد الناصر طلب من يوسف أن يأخذ أجازة من

أعمال المجلس، واقترح عليه أن يسافر الى أسوان لبعض الوقت لإراحة الأعصاب، على أمل أن يعود أكثر هدوءا ، وقد فوجئت بحضوره الى منزلى (مع أسرته)- بزاوية المصلوب- حيث كنت أعمل محاميا بمركز الواسطى، وكان المنزل قريبا من مكتبى ومن جهات عملى فى المحكمة والنيابة، وقد تبين أنه حضر لزيارة ابنته التى هى زوجتى ، وبعد وصوله بقليل حضر عدد من الضباط منهم، وحيد رمضان، محمد السقا، عبد المجيد شديد، للمرور عليه، وجلسوا فى غرفه الجلوس معه الى أن حان وقت الغذاء ، وبعد الغذاء جلسوا بعض الوقت ثم اصطحبوه الى محطه قطار الواسطى فى اتجاههم الى بنى سويف، ومنها الى أسوان، وكان ذلك تقريبا فى ١٥ يناير٥٣.

وحوالى الساعة الثالثة أو الرابعة صباحا فوجئت بضابط مباحث مركز الواسطى ومعه عدد من المخبرين يطرقون باب منزلى، وكنت أعرفه بالطبع، حيث أبلغنى بأنه مكلف باصطحابى الى البوليس السياسى - مباحث أمن الدوله بعد ذلك - بالقاهرة، وتم ذلك بالفعل ، وركبنا أول قطار من الواسطى للقاهرة، ثم الى مبنى المجمع، حيث سلمنى لضابط مباحث مخصوص وعاد، ونقلت الى معتقل عين شمس، حيث وجدت يوسف كمال هناك وهو قريب لنا، كما وجدت عددا آخر، أذكر منهم أمين عبد المؤمن الصحفى، أحمد طه وآخرين ، وفى مساء ذلك اليوم نقلنا بالمدمرة - ابراهيم - من السويس الى معتقل جبل الطور، وللعلم فإن هذه المدمرة قد أسرها اليهود بعد ذلك فى عدوان ١٩٥٦ واستولوا عليها وسموها ايلات ، وهى التى اغرقتها البحرية المصرية بعد هزيمه ١٩٦٧ .

وتبين بعد ذلك أن توقيت القبض على - ١٦ يناير ١٩٥٣ - كان مرتبطا بصدور قرارات إلغاء دستور ١٩٢٣ - وبمد فتره الانتقال ٣ سنوات التى بدأ بها الحكم العسكرى الرسمى لمصر!!).

ويروى ولده حسين تلك القصه: كان تحديد الإقامة فى أسوان قد تم بإحدى الاستراحات الحكومية هناك، وبعد سنوات فوجئ والدى بخطاب من تلك الجهة يصل اليه يطالبه بسداد ثمن إقامته وأسرته وضباطه فى أسوان لمدة شهر ونصف، وقد أشر على هذا

الخطاب وأرسله الى جمال عبد الناصر قائلاً: منذ متى يدفع المعتقل إيجار معتقله، أظنك أولى بهذا الأمر منى!!).

(٣) النفى الى سويسرا

بعد رجوعه من أسوان ووضعه تحت الإقامة الجبرية فى حلمية الزيتون، واصل المجلس اتجاهه بإبعاد يوسف نهائيا، فشكل لجنة طبية قررت سفر يوسف للعلاج فى إحدى مصحات الصدر فى سويسرا لمدة ثلاثة شهور، وتم الاتفاق معه على السفر، على أن يعود الى صفوف الجيش بعد رجوعه، وسافر فى مايو٥٣ وحيدا حيث الحق بإحدى مصحات الصدر فى مدينه (لوزان) الشهيرة ، ويلقى يوسف الضوء على ماحدث وأسبابه فى حديثه لروزاليوسف الذى نشرته فى ٢٩ مارس ٥٤ حيث قال:

(كان طبيعيا بعد ذلك أن أكون عضوا فى مجلس الثورة ، وبقيت كذلك حتى أعلنت الثورة أنها ستجرى الانتخابات فى شهر فبراير ٥٣ وكانت الثورة بذلك تسير وفق مبادىءالضباط الأحرار . غير أن مجلس قيادة الثورة بدأ بعد ذلك يتجاهل هذه الأهداف. فحاولت أكثر من مرة أن أترك المجلس وأعود الى صفوف الجيش فلم يسمح لى بذلك، حتى ثار فريق من الضباط الأحرار على مجلس قيادة الثورة يتزعمه اليوزباش محسن عبد الخالق بسبب هذا التجاهل لأهداف الثورة .. فأيدت الثائرين بالدفاع عن وجهة نظرهم فأبعدت الى أسوان ٥٣ ونفذت أمر الإبعاد حتى تثبت لهم صحة آرائى عمليا بفعل الأيام ذاتها. وكان مجلس الثورة قد خدعه مستشاروه المضللون.

فماحل شهر فبراير ٥٣ الذى كان محددا لعودة الحياة النيابية إلا وكان مجلس قيادة الثورة قد أعتقل الضباط الثائرين وحاكمهم وسجنهم على نحو ما يعرفه الناس، وألغوا الدستور بحجة عمل دستور جديد، وحلوا الأحزاب بحجة أن بعضها فاسد وصادروا أموالها، وأصبح واضحا أن الثورة انحرفت و بدأت تنتكس، فاتصلت بالبكباش جمال عبد الناصر تلفونيا من أسوان وأخبرته أننى لايمكن أن أبقى عضوا فى مجلس الثورة، وطلبت منه أن يعتبرنى مستقيلا. فأنا لا أوافق على ما يتم، وسأرسل هذه الاستقالة مع أحد

الضباط الذين كانوا فى حراستى ، فاستدعيت الى القاهرة فى الحال، واعتقل كل من له صلة بى . ونصحت بأن أسافر للعلاج فى سويسرا على أن أعود بعد ثلاثة أشهر للعمل فى صفوف الجيش ، ومضت الشهور الثلاثة، وجاءنى الخبر بأن عودتى غير مرغوب فيها ، ولكنى عدت خلسة الى وطنى وتوجهت الى بلدتى فى مركز الواسطى، واستقلت من الجيش تلغرافيا فتقرر تحديد إقامتى هناك ثم طلبت الأنتقال الى القاهرة فحددت أقامتى هنا). انتهى

فلما اقترب العيد الأول للثورة فى ٢٣ يوليو٥٣، وجد نفسه وحيدا، مريضا، منفيا خارج بلاده، فأرسل يستأذن مجلس الثورة فى العودة الى وطنه حتى يحضر عيد الثورة التى كان بطلها، لكن المجلس رفض عودته. وتحرك وجدانه بالشعر، معبرا عن نفسه، بين خوفه على ضياع الثورة، وبين استيائه وثورته من انحرافها ، فذكر دوره فيها ، وذكرغدر الرفاق به ، وأكد حبه لوطنه الذى ملك عليه فؤاده ، فكتب قصيدته (من الجنة) وأعجب مافى هذه القصيدة، أنه قد اعتبر نفسه مات شهيدا على يد رفاقه، وأنه قد دخل الجنة وطلب المغفرة من الله لمن ظلمه، ولمن شوه عمله المجيد ، وفى هذا المعنى يقول:

يا أخت انى شهيد جئت جنتكم .·. هل فى الجنان يداوى الداء بالشعل
أجر الشهيد سألت الحسن فى وله .·. وفى الجنان نعيم غير مبتذل
لا تحرمينى رضاباً فى عـــذوبته .·. شئ من النيل فى طيف من الأمل

ثم يواصل

وأبعدونى اليكم الف مغفرة .·. لأهل مصر وإن هم شوهوا عملِ

(٤) النفى الى لبنان

وبعد رفض المجلس الحاكم رجوع يوسف الى وطنه من سويسرا، طلب هو الإقامة فى بلد عربى، فاقترحوا عليه أن يشغل منصبا دبلوماسيا إما فى الهند واما فى لبنان ، لكنه لم يقبل أى منصب، وسافر الى لبنان، وكان النفى الى لبنان فى جوهره، استمرارا لرغبة المجلس فى استبعاده، وعدم قبول عودته، مما دفع يوسف بعد ذلك الى تحدى هذا القرار

والعودة سرا الى وطنه. كانت إرادة المجلس الحاكم قد اتجهت الى عدم عودته الى مصر، بينما أتجهت إرادة يوسف الى تحدى هذا القرار ورفضه، فأما المجلس فقد بدأ الضغوط على أسرته بغرض تحفيز زوجته ودفعها الى اللحاق بزوجها فى المنفى فقد يساعد ذلك فى عدم مطابته بالعودة. هذا من ناحية، وإغرائه بالمناصب للبقاء فى الخارج من ناحية أخرى ، وتروى زوجته (عليه) عن ذلك الحدث قائلة:

بعد سفر يوسف الى سويسرا انقطعت الأخبار عنه، وفى أحد الأيام دق جرس التليفون فى منزلى وقال المتحدث أن يوسف قد مات فى المستشفى، ونزل الخبر على كالصاعقة فاتصلت بمكتب جمال عبد الناصر الذى أكد لى عدم وجود أى صحة لهذا الخبر، وأن يوسف فى طريقه الى لبنان، وأبدوا استعدادهم لسفرى مع أولادى لقضاء إجازة الصيف هناك، وبالطبع فقد وافقت، ثم بدأت إجراءات سفرى مع أولادى، وأشاروا على بالسفر بالباخرة لكنى رفضت ، وطلبت السفر بالطائرة، وأعددت حقيبة ملابسى وتعمدت أن أضع فيها ملابس يوسف العسكرية الرسمية، وما إن وصلت الى مطار بيروت، حتى وجدته فى انتظارى ومعه ملحقنا العسكرى بسوريا ولبنان (جمال حماد).

ولم يكن خافيا علينا منذ الوهلة الأولى أننا تحت المراقبة من جانب سفارتنا فى لبنان بدعوى حراستنا ، ولم يكن يوسف راضيا عن تصرف مجلس الثورة، وسرعان ماقررنا العودة فورا الى مصر ، وكان قد مضى على وصولى أقل من أسبوع، وبدأنا نعد فى الخفاء أمر رحيلنا سرا، ولن أنسى موقف أهل لبنان الشرفاء، فقد تعاطفوا معنا وساعدونا فى اخفاء موعد رحيلنا، وفى تسهيل ركوبنا الطائرة دون علم السفارة، وبعيدا عن أعين الرقباء، فقد أخذوا جوازات سفرنا وانهوا جميع إجراءات السفر بحيث نتحرك الى دخول الطائرة مباشرة ، فلا نقف فى مطار بيروت، بل إنهم ساعدونا فى نشر شائعة عن سفرنا الى الجبل فى رحلة كنوع من التغطية على تحركنا الحقيقى، وفى اللحظة المناسبة ارتدى يوسف ملابسه العسكرية، وتحركنا بعد توديعنا الى الطائرة، وركبنا من مطار بيروت ، فلما وصلنا الى مطار القاهرة لم يكن أحد يتوقع وصولنا، ودخلنا أرض الوطن فى هدوء وسلام، ولبثنا فى القاهرة بضع ساعات مررنا فيها على حسن دسوقى، ثم واصلنا السفر الى قريتنا،

ومن مكتب تلغراف (الواسطى) أرسل يوسف استقالته من الجيش الى اللواء محمد نجيب (فى برقية مفتوحة) ، وفوجىء مجلس الثورة بوصولنا ، كما فوجئت سفارتنا فى بيروت برحيلنا.

وأما يوسف فقد نفذ تحديه لمجلس الثورة بعودته سرا، بعد أن رفض كل المناصب التى عرضت عليه، و مما لاشك فيه أن عودته قد اعتبرت تحديا صارخا، ولعل القارىء يدرك أن تلك العوده قد أثارت مجلس الثورة وعلى الأخص عبد الناصر مما أدى بعد ذلك الى تضاعف الرغبه فى الانتقام منه، والتنكيل به!! فسارع المجلس الى إرسال قوة تحديد إقامة الى القرية فى أغسطس ٥٣، حيث بدأ يوسف مرحلة جديدة من نضاله الباسل على طريق الديمقراطية .

(٥) تحديد الإقامه فى قريته

حفلت تلك الفترة التى حددت إقامته فيها بالقرية بالقصص الطريفة، منها أن بعض الأحرار كانوا يزورونه سرا فى بيته، و كان أهل القرية يستقبلونهم و يعطونهم جلاليب حتى لا تلحظهم العيون، وفى تلك اللقاءات ظهرت فكره تكوين الجبهة الوطنية لمواجهة الحكم الديكتاتورى وإسقاطه، كما أن أفراد تحديد الإقامة لم يستطيعوا الاقتراب من البيت مراعاة لشعورأهل القرية المسلحين و تجنب الصدام معهم، و قد كنت معه خلال تلك الفترة التى لم تطل، وفيها أملى على المسودة الاولى من مذكراته عن ليلة قيام الثورة ودوره فيها، والتى كانت الأساس فى كتابه تلك المذكرات، وسرعان ما بدأ العام الدرا سى، وانتقل هو الى القاهرة مصحوبا بقوة تحديد اقامته. وعدت انا الى درا ستى الثانوية. مما سيرد تفصيله فيما بعد.

(٦) الأحرار يزورون القرية:

ويلقى يوسف صبرى (وهو ضابط شرطه كان يعمل بمديريه امن بنى سويف. كما أنه من أبطال معركة الإسماعيلية ٢٥ يناير ١٩٥٢) الضوء، روزاليوسف ٥/ ٥/ ٧٥:

وأذكر أننى التقيت بيوسف صديق لأول مره فى صيف ٥٣ بعد عودته من سويسرا عن

طريق لبنان، حيث أمضى عده شهور للعلاج من نزيف الرئه، وسل العظام، وكان اللقاء في قريته -زاويه المصلوب -مركز الواسطى. حيث كانت اقامته محدده تحت حراسة البوليس الحربى .

وكنت في ذلك الوقت أعمل ضابطا بمديرية أمن بنى سويف، وسمعت عنه الكثير من بعض أصدقائه. خصوصا خطابه الهام في بنى سويف في أول الثورة، والذى أعلن فيه أن الثوره لاشرقية ولاغربية، والتقت الآراء في ذلك الوقت على ضروره العمل على بدء الكفاح المسلح من جديد .واتفقت مجموعة من الأصدقاء مختلفة الانتماءات على ضرورة اللقاء مع يوسف صديق، فاتجهنا في ليلة مقمرة الى قرية (زاوية المصلوب) عبر الحقول حيث التقينا ببعض أقاربه قدموا لنا جلاليب لبسناها وتسللنا الى المنزل .

وهناك التقينا به لأول مره، ودار نقاش طويل انتهى بتشكيل ماسمى في ذلك الوقت: اللجنة التحضيرية للكفاح المسلح: ضد الانجليز، وبدأت تمارس نشاطها في الدعوة لرأيها، والاتصال ببقيه الأحزاب والقوى الوطنيه المختلفة. وما لبث هذا النشاط أن تطور الى تشكيل جبهة وطنية عريضة كان لها دور في أحداث ١٩٥٤، ولم تسجل هذه المرحله بتفاصيلها حتى الآن رغم تعدد الدراسات والكتب التى تناولتها، وأرجو أن تتاح لى فرصه تسجيلها ونشرها قريبا.

وكان الضابط - صلاح عبد الحفيظ - وهو أحد الضباط الذين ناصروا موقف يوسف صديق من مجلس قيادة الثورة، من الذين ترددوا على زيارته في تلك الفترة، ومكث مع يوسف لفترة في قريته، كما كان له دوره بعد ذلك في نشاط الجبهة الوطنية، وترتب على ذلك فصله من الجيش ، وقد لاقى صنوفا من الضغط والتنكيل والمحاربة في رزقه. حتى أنه بعد فصله من الجيش وتسوية معاشه على مبلغ بسيط، عين بعد ذلك بمرتب تافه في إحدى الشركات الحكومية، وظل مضطهدا.. حتى وفاته!!

كما تردد كثيرون من المدنيين والعسكريين على القرية من مناصرى الديمقراطية، مما يضيق المجال بحصرهم، ويحتاج الامر الى بحث خاص عن ذلك النشاط السياسى في تلك الفترة الهامة، من تاريخ الوطن.

الباب الخامس

هبة مارس ١٩٥٤

لاشك أن أحداث (هبة مارس) فى جوهرها كانت صراعا بين القوى الديمقراطية والوطنية - التى كانت موجوده على الساحة السياسية فى ذلك الوقت - والتى رحبت بقيام الثورة وساندتها أملا فى استرداد حقوق الوطن بطرد المستعمر ، بعد انهيار النظام الملكى وزواله ، وبين قيادة تلك الثورة - التى نزعت الى اختيار النظام الديكتاتورى - الذى يفرض الوصاية على الشعب ، رافضا تماما مبدأ تداول السلطة وهو جوهر الديمقراطية .وكانت القوى الديمقراطية تتكون من الطلبة وطليعة العمال والمثقفين - وقد انحاز الى تلك القوى من داخل مجلس القيادة بشكل صريح يوسف صديق وخالد محيى الدين ، كما انحاز اليها نفر من الضباط الأحرار خاصة فى المدفعية والفرسان.

وفى هذا الفصل من الحديث، نحاول إلقاء الضوء على أسباب ما حدث، ونستعرض دور مختلف القوى ، ونركز بشكل خاص على دور يوسف ، وما دفعه من الثمن فى سبيله، ثم نعرض للنتائج التى ترتبت على انتصار الاتجاه اللاديمقراطى على مختلف تلك القوى من ناحية، ثم على من ساند هذا الاتجاه من فقهاء القانون الدستورى ، وضباط الصف الثانى وغيرهم من ناحية أخرى.

ثم نختم هذا الحديث بإلقاء الضوء على دور أمريكا ، وتأثيره على العلاقة بين يوسف وبين مجلس الثورة من ناحية ، وعلى تقوية ومساندة الاتجاه اللاديمقراطى من ناحية أخرى.

وغرضنا من ذلك هو تعريف الجيل الحالى بتلك الفترة الهامة، وكذلك وضع الحقائق أمام الباحثين، إيمانا منا بضرورة تصحيح وقائع التاريخ، وتنقيته من محاولات التزييف المستمرة، وكذلك إبراز دور يوسف البطولى فى ذلك الصراع.

صحيح أن الاتجاه الى الديمقراطية قد هزم فى نهاية الصراع، وأن الاتجاه الدكتاتورى هو الذى انتصر، وصحيح أيضا أن تلك القوى التى ساندت الديمقراطية وعلى رأسها يوسف قد دفعت ثمنا باهظا، وصحيح أيضا أن الوطن قد دفع غاليا فى النهاية ، لكن ذلك الثمن الفادح الذى دفعه يوسف صديق - هو الذى بقى له فى التاريخ!!

(١) أسباب هبه مارس وتطورها

لما قامت الثوره فى ٢٣ يوليو ١٩٥٢ للقضاء على النظام الملكى الفاسد ، أيدتها جماهير الشعب ، واستبشرت خيرا بقيامها ، خاصه عندما أعلنت عن مبادئها الستة المعروفة، وكان واضحا من اتجاهها أنها ثورة من أجل إرساء الحكم الديمقراطى، وإجلاء المستعمرعن أرض الوطن ، وكان ذلك حلما لكل مصرى شريف.

لكن أفعال نظام يوليو كانت مخالفه لأقواله ، فمالبث أن نكل بالأحرار، وألغى الدستور وأغلق الصحف وحل الأحزاب ، قبل أن يحقق جلاء المستعمر ، مما أدى الى تكتل الأحرار، والقوى الوطنية لمقاومة التوجهات اللاديمقراطية لرموز النظام، وظهرذلك فى مظاهرات الطلبه فى أوائل عام ١٩٥٤، وانتفاضة طليعة العمال والمثقفين، ثم مالبثت تلك القوى أن نظمت نفسها فيما عرف بالجبهة الوطنية، وكانت تضم الإخوان المسلمين، والشيوعيين، والاشتراكيين، وحزب الوفد المصرى، والتفت هذه القوى حول شخصية يوسف صديق، كما اتصلت باللواء محمد نجيب الذى كان رئيسا لمجلس الثورة، ورئيسا للجمهورية، ورئيسا للوزراء، حاكما عسكريا عاما فى ذلك الوقت. والذى أبدى تعاطفا مع أفكار الجبهة .وقد أيد تلك الجبهة التى كانت تدعو الى الأخذ بالنهج الديمقراطى ، وحل مجلس قيادة الثورة، وإجراء انتخابات حرة، وتسليم مقاليد الحكم لمن ينتخبه الشعب وعودة الجيش الى ثكناته، أيد تلك الأفكار والتوجهات نفر من الضباط الأحرار وعلى رأسهم خالد محيى الدين عضو مجلس القيادة فى ذلك الوقت.

ومن الناحية الأخرى كان هناك المجلس الحاكم، وعلى رأسه جمال عبد الناصر والذى كان يرى ضرورة استمراره فى الحكم، كما يرى أن أفكار الجبهة الوطنية المعارضة والداعية الى إجراء الانتخابات الحرة، سوف تؤدى الى عودة حزب الوفد صاحب الأغلبية الى سلطة الحكم، وكان معنى ذلك أن الأحزاب القديمة بما فيها من فساد وترهل سوف تعود .

لكن الأسباب التى دعت المجلس الحاكم الى تبنى ذلك الفكر، كانت محصلة عوامل كثيره. منها نقص الوعى السياسى فى أفراد المجلس الحاكم، ومنها التفاف عدد من

المستشارين السياسيين المدنيين الذين يكرهون حزب الوفد، مثل الدكتور عبد الرزاق السنهوري، وسليمان حافظ، وفتحي رضوان من رجال السياسة، ومصطفى أمين من رجال الصحافة، وجماعة الإخوان المسلمين الذين تحالفوا مع عبد الناصر منذ قيام الثورة للتخلص من الأحزاب ، وعلى رأسها حزب الوفد ، ولاننسى دور ضباط الصف الثانى الذين أتاحت لهم الثورة الحصول على منافع ، وحدثت منهم تجاوزات كثيرة كان من الممكن أن يحاسبوا عليها ، لو عاد الجيش الى الثكنات.

كما لاننسى دور أمريكا التى كانت تخوف المجلس الحاكم من أن انتصار أفكار الجبهة الوطنية، سوف تؤدى الى سيطرة الشيوعيين على الحكم فى مصر، وأن أمريكا لن تقف مكتوفة الأيدى، فالجيش الإنجليزى موجود ومن الممكن أن يتدخل، كذلك فإن الملك فاروق فى إيطاليا ومن الممكن أن يعود الى مصر، تماما كما عاد (شاه أيران) بعد طرده مرة اخرى الى الحكم، وفى هذه الحالة سوف يدفع المجلس الحاكم الثمن.. كل ذلك دفع المجلس الحاكم الى الدخول فى مواجهة مع القوى الوطنية المصرية، كما دخل فى مواجهات مع نفر من الضباط الأحرار فى سلاحى المدفعية والفرسان، وأدى ذلك الى اتخاذ المجلس لسياسة القمع ، وفتح السجون والمعتقلات، والزج بالقوى الوطنية فيها مما زاد الأمر اشتعالا .

وهكذا تصاعدت المواجهة بين المجلس الحاكم، وبين بقية القوى الوطنية، وبات الصدام وشيكا، وكان من نتيجة تنامى نشاط الجبهة الوطنية، والتفاف الجماهير حولها، ما أعلنه المجلس الحاكم فى يوم ٢٥ مارس ١٩٥٤ من انتهاء دور مجلس القيادة ، وعودة الجيش الى الثكنات - مع إلغاء الرقابة على الصحف.

وفى (أعتقادى الشخصى) أن تلك القرارات لم تكن فى جوهرها، تعبر عن الاتجاه الحقيقى للمجلس الحاكم، انما كانت تصرفا تكتيكيا الغرض منه، أولا: كشف كل القوى المعارضة وظهورها على سطح الأحداث، وقد تحقق ذلك باندفاع الأقلام تعبر عن آراء المعارضين للحكم العسكرى تنشر اراءها فى جريدتى المصرى والجمهور المصرى، ومجلة روزاليوسف، بينما ظهرت اقلام المؤيدين للحكم اللاديمقراطى تحذر من سيطرة الشيوعيين

في جرائد مؤسسة أخبار اليوم. ثانيا: ضرب الجبهة الوطنية من الداخل، وهو ماحدث، حيث تقاعست بعض عناصرها عن المضي قدما ومن ذلك موقف محمد نجيب، وموقف الإخوان المسلمين، وموقف حزب الوفد، مما سيرد تفصيله فيما بعد.

ووصلت الأمور الى ذروتها عندما دبر عبد الناصر انفجارات القنابل بالقاهرة، كما اتفق مع بعض قيادات اتحاد عمال النقل، على القيام بإضراب يشل حركة المواصلات، وينادى ببقاء مجلس الثورة، والغاء قرارات مارس، مقابل رشوة مقدارها أربعة آلاف جنيه، دفعها عبد الناصر الى صاوى أحمد صاوى، وتم إضراب عمال النقل، ودفع المجلس الحاكم أعوانه من منظمات الشباب، وعمال مديرية التحرير، والمباحث الجنائية العسكرية، وغيرهم يجوبون الشوارع، ويهتفون بسقوط الديمقراطية، وهاجموا مجلس الدولة، ومزقوا القرارات التى كان قد أصدرها، واعتدوا على رئيس مجلس الدولة، ودخل دعاة الديمقراطية السجون، وعلى رأسهم يوسف صديق.

وهكذا انتصر عبد الناصر، وبدأ الحكم العسكرى لمصر ، ولم تدرك القوى المختلفة التى ناصرته، الآثار البعيدة المدى، ولاالضرر الذى سيقع على الوطن، بل إنهم لم يدركوا، مخاطر ذلك على أنفسهم شخصيا، إلا بعد فوات الأوان.

وظلت مسألة تداول السلطة غير معمول بها الى يومنا هذا، وتضخمت السلبيات فالتهمت معظم حسنات ثورة يوليو، وإنجازاتها حتى سقط النظام فى نكسة ٦٧ ، وقد ثار الجدل بين المفكرين بعد سنوات طوال من هبة مارس ٥٤ ، منهم توفيق الحكيم ، ونجيب محفوظ، وغيرهم، ضد توجهات النظام ، وتحمل عبد الناصر أمام التاريخ كل التبعات!! وأذكر القارىء أننى لاأقدم بحثا تاريخيا عن تلك الفتره، فلقد انبرى علماء التاريخ من أمثال الدكتور عبد العظيم رمضان وغيره بالتصدى لذلك بالشرح والتحليل والتقييم، ونشرت مقالات كثيره ومتنوعه لاهل الفكر والراى، وصدرت كتب تشرح ما حدث، سوف نعرض لبعضها .

لكن الذى يعنينى فى هذا الحديث عن تلك الفترة، هو إلقاء الضوء على دور يوسف صديق وموقفه من تلك الأحداث، الذى كلفه الكثير، حيث لم يقف ساكتا بل إنه شارك

بشكل إيجابى، وظل مناضلا من أجل الحرية والديمقراطية حتى سقط على طريق النضال فى ٣١ مارس ١٩٧٥ .لكن مواقف الأبطال لاتموت بموتهم، وإنما يذكرها التاريخ فى سجلة، مهما تراكمت أقوال الزيف، ومهما اخفيت الحقائق، وأن مهمتنا فى هذا الكتاب إيضاح الحقائق أمام التاريخ.

(٢) دور يوسف صديق فى هبة مارس ١٩٥٤

تمثل دوره فى تلك الهبة فى أمرين. أما الأول: فهو تبنيه لموقف الجبهة الوطنية، التى وقفت ضد المجلس الحاكم، وتزعمت الدعوة الى اختيار السبيل الديمقراطى، ونادت بعودة الجيش الى ثكناته، وإنهاء الوصاية على الشعب، والدعوة الى تكوين حكومة ائتلافية تتولى إجراء الانتخابات الحرة ، وهذه الحكومة تضم القوى الفاعلة على الساحة السياسية، فى ذلك الوقت وهى (الوفد، والاخوان المسلمون، والاشتراكيون، والشيوعيون).

وأما الثانى: فهو خطابه السياسى الذى أرسله الى رئيس النظام (محمد نجيب) فى ذلك الوقت، وجاهر فيه برأيه، الذى كان يعبر عن برنامج الجبهة الوطنية، ونشرهذا الخطاب فى جريدة المصرى فى ٢٤ مارس ٥٤ ، بينما كان يوسف فى هذا الوقت تحت تحديد الإقامة، والذى أعتبره وثيقة تاريخية بالغة الأهمية، وكذلك حديثه لجريدة المصرى الذى نشر فى ٢٦ مارس، وحديثه الى مجلة روزاليوسف الذى نشر فى ٢٩مارس ٥٤، والتى أعلن فيها عن آرائه وحدد موقفه بوضوح. ونستعرض ذلك الدور الذى نعتبره من أهم مواقفه السياسية، وذلك لأمرين. الأول: أن تلك المواقف قد حدثت كلها وهو محدد الإقامة كما أسلفنا - سواء فى قريته أو فى حلمية الزيتون ، وهى تدل على مدى ما كان يتمتع به من شجاعة وعدم خوف من السلطان، وعدم المبالاه بالتهديد والوعيد، الذى وصل الى حد التهديد بالقتل كما سنرى. والثانى: أن تلك المواقف قد أكدت صدق رؤيته، وبعد نظره، وإدراكه العميق الواعى، للآثار البعيدة المدى لاتجاهات المجلس الحاكم، وللنهج اللاديمقراطى الذى كان يزين له الكثيرون، وقد أكدت الأيام صدق حدسه، وسلامة موقفه من الناحيتين السياسية والتاريخية.

(٣) الجبهة الوطنية

لم يكن موقفه سلبيا بعد عودته من المنفى، لقد حاول الرجل بكل طاقته مقاومة الحكم الدكتاتورى العسكرى، وتمثل ذلك فى جهوده للدعوة لتكوين جبهة من القوى الوطنية التى كانت موجودة على الساحة وقتها بغرض التصدى لاتجاه مجلس قيادة الثورة، ومحاولة العودة الى الاتجاه الديمقراطى كأساس للحكم، وكان معنى ذلك عوده الجيش الى ثكناته، وبالطبع فقد لقى ذلك معارضه شديده من مجلس الثوره، ومن أمريكا، ومن ضباط الصف الثانى والثالث، حيث كانت تلك الدعوه ضد مصالحهم الآنيه، لكنها بالقطع كانت المخرج الصحيح لأزمه الحكم فى مصر.

توجهنا الى الاستاذ محمود توفيق: أحد الذين شاركوا بجهود رئيسيه فى سبيل تكوين الجبهه ببعض الأسئله التى تلقى الضوء على جهود يوسف صديق:

س: ما هو دور يوسف صديق فى تكوين الجبهة الوطنية؟ ولماذا فشلت ؟

ج: يوسف صديق كان دائما قريبا من فكرة الجبهة الوطنية الديمقراطية، وكان يرى أن أغلب القوى السياسية الموجودة فى الساحة هى قوى وطنية، وأنه يمكن التقريب بين هذه القوى، وربطها ببرنامج وطنى ديمقراطى لملء الفراغ الناشىء عن انهيار النظام الملكى القديم، وكأساس لقيام سلطة وطنية تتولى تسيير امور البلاد لصالح الشعب كله، وعلى هذا الأساس كان يدافع عن الحل الديمقراطى لقضية السلطة بعد قيام الثوره، ولذلك طالب بعوده البرلمان المنحل فى عهد فاروق، وممارسة دوره كممثل ديمقراطى للشعب، وكان ذلك فى مواجهة الاتجاه الآخر فى مجلس قيادة الثورة، وهو استيلاء الضباط الأحرار على السلطة ممثلين فى مجلس قيادة الثورة، وعندما رفض أغلبيه أعضاء المجلس هذا الحل وساندهم فى ذلك مجلس الدولة تحت تاثير الدكتور السنهورى وسليمان حافظ، عاد يوسف فطالب بتشكيل جمعية تاسيسية بالانتحاب الحر المباشر تتولى وضع دستور جديد للبلاد، كما تقوم بمهمة البرلمان، وأيضا قوبل هذا الاقتراح بالرفض.

وبعد أن تم الافتراق بين يوسف وبين المجلس وتقدم باستقالته، بدأ يعمل فى اتجاه

تشكيل هذه الجبهة بعيدا عن مجلس قياده الثورة أى من موقع المعارضة للاتجاه الدكتاتورى العسكرى الذى انساق اليه أغلب أعضاء مجلس قيادة الثورة، خاصة بعد أن أعلن يوسف استقالته من مجلس قياده الثوره ومن الجيش.

كانت نقطه البدء التنظيمى لعمل يوسف فى هذا الاتجاه هو تشكيل ما سمى باللجنة التحضيرية للجبهة الوطنية للكفاح المسلح، وكانت هذه اللجنة تضم عددا من أنصار يوسف من الضباط وبعض المدنيين، وكانت تعمل على تشكيل الجبهه الوطنيه من خلال الاتصالات التى تقوم بإجرائها مع القوى السياسية المختلفة التى ترشحها مواقفها ومبادئها لكى تكون جزءا من هذه الجبهة.

وفى هذا الصدد كانت هناك اتصالات منظمه مع الوفد المصرى، والإخوان المسلمين، والاشتراكيين، والشيوعيين - حدتو - وكان محور هذه الاتصالات هى مجموعه اللجنه التحضيريه التى كانت تتحرك حول يوسف صديق، واستمر هذا النشاط حتى قيام هبه مارس ١٩٥٤ من أواخر ١٩٥٣ حتى مارس ١٩٥٤، وكان لهذا النشاط دور مهم فى التحضير لهذه الهبة وفى توحيد جماهير كثيرة خاصة من الطلبة فى اتجاه إيجاد البديل الديمقراطى للحكم العسكرى الذى كان قد بدأ يفرض نفسه، وظهر ذلك فى يناير ٥٤ فى المظاهرات التى حدثت فى جامعة القاهرة، والتى وقع فيها صدام بين الطلبة وبين قطاعات من تنظيمات هيئة التحرير التابعة للسلطة، حيث قام الطلاب بإحراق عدد من السيارات العسكرية التى كان يستقلها بعض أعوان هذه الهيئة، وظهر التناقض فى الموقف بين جماهير الطلبة وبين السلطة العسكرية وكانت هذه مقدمة هامة لأحداث مارس ٥٤ ومبشرا بهبة مارس كلها .

ومما يذكر أن هذه الاتصالات الجبهوية قد شملت الاتصال بحمد نجيب نفسه عن طريق محمد رياض الذى كان سكرتيرا له، وكان يحضر بعض الاجتماعات الجبهويه نائبا عن محمد نجيب، ويمثل صلة وصل بين هذا التجمع الجبهوى، وكان نجيب يبدى موافقته على فكره الجبهة ومبادئها ونشاطها، واستمر هذا الوضع الى أن قامت هبه مارس، وظهر الاتجاه الشعبى الإجماعى على ضرورة عوده الجيش الى ثكناته، وإلغاء الحكم العسكرى

وتشكيل حكومه ائتلافيه جبهوية تقوم على برنامج الجبهة الوطنية الديمقراطية باتجاهاته التاريخية المعروفة، وهذا ما عبر عنه يوسف فى رسالته الى محمد نجيب التى نشرت فى جريدة المصرى والتى دعا فيها الى تشكيل حكومة ائتلافية.

وكان تحقيق هذا المطلب قاب قوسين أو أدنى لولا أن حدث تراجع من بعض أطراف هذه الجبهة عندما أعلن مجلس قيادة الثورة انتهاء مهمته وعودة الجيش الى ثكناته فى ٢٥ مارس ٥٤ إذ بدأت هذه الأطراف تتراجع عن التزامها بفكرة الجبهة، وتبحث عن مكاسب ذاتية معتقدة إن النظام العسكرى سوف يرحل لامحالة. وكان اول المتراجعين هم محمد نجيب والإخوان المسلمون أذ بدأ محمد نجيب يعلن عن ضرورة إعطائه فتره انتقاليه يحكم فيها منفردا على زعم أن ذلك ضرورى لتهيئة البلاد للحكم النيابى والدستورى، واتضح أن هذا الموقف كان متفقا عليه بينه وبين الإخوان المسلمين وهو موقف شبيه بالتحالف الخفى الذى حدث فى اول الثوره بين الاخوان وبين جمال عبد الناصر، وكان الهدف من ذلك التحلل من أى ارتباط مع الوفد ومع الشيوعيين.

وكذلك لوحظ أن حزب الوفد بدأ يتراجع هو الآخر عن هذا الارتباط. إذ رفضت قيادة الوفد فى ذلك الوقت التوقيع على بيان مشترك للجبهة كان معدا لإصداره حسما للأمور فى ذروه أحداث مارس، إذ كان هذا البيان إعلان الجبهة ومبادؤها واعلان التمسك ببرنامجها، بما فيه الحكومة الائتلافية، فقد أحجم الوفد هو أيضا عن التوقيع على هذا البيان، وكان قد اتفق مع كل هذه الجهات على إصدار هذا البيان، الوفد لم يشأ أن يقيد نفسه بأى التزام مع الشيوعيين أو الإخوان أو غيرهم.

وهكذا انهارت عملية الجبهة مما أتاح الفرصة للنظام ان ينسف الموقف عن طريق إضراب عمال النقل المشترك، وإلغاء قرارات ٢٥ مارس .

وقد يتساءل البعض: هل انهيار الجبهه على هذا النحو دليل على خطأ الفكرة الجبهوية فى حد ذاتها ؟ وأجيب على هذا السؤال بالنفى. ذلك أن فكرة الجبهة الوطنية كانت وما زالت هى مفتاح الحل للازمة المصرية حتى اليوم ، إذ أن مشاكل البلاد كانت ومازالت مشاكل كبيره جدا ومعقده جدا، ولايمكن لأى حزب أو طرف من الأطراف أن يتولى

حلها منفردا، لان مثـل هذا الحل لايكون إلا بتضافر الشعب كله، وهو مالايتـوافر إلا بقيام جبهة وطنية تجمع طلائع هذا الشعب على اختلاف مواقعها .

وفى هذه الحاله لابد ان يكون الأسـاس الديمقراطى هو القـاعدة التى تقوم عليـها هذه الجبـهة، وهذا مـا أثبته الـتاريخ والتجـربة فى كثـير من البـلاد التى تواجه مشكـلات وطنية وديمقراطية فى مثل حجم وتشابك وتعقد المشاكل المصرية .

وإذا كانت أطراف الجـبهة فى ذلك الوقت قد فـشلت فى الارتفاع الى مسـتوى الموقف فإن تلك الأطراف قد دفعت ثمن هذا الفشل غاليا .

وما حدث لمحـمد نجيب ثم للإخوان المسلمـين ثم للوفد بعد فشل هبـة مارس يؤكد أن تخليهم عن فكرة الجـبهة خوفا من عواقب الارتبـاط بالشيوعيين لم يـنجهم من دفع الثمن الباهظ بأكثر مما تحمله الشيوعيون بعد ذلك، أو بما لايقل عنه، وحتى الآن ورغم مضى أكثر من ٤٥ عامـا على هذه الأحداث فما زال الجـميع يدفعـون الثمن ، ومصـر كلها تدفع ثمن هذا الموقف الخاطىء.

وللأهمية التـاريخية لتلك الوثائق - نعيد نشرها - فى هذا الكتـاب لنضعها تحت نظر القـارىء، حـيث قد مـضى على نشـرها قـرابة نصف القـرن، وغـرضنا من ذلك أن ننشـر الحقائق، وأن نضعها أمام المؤرخ، أو الباحث، وحتى لاتضيع مع كر الأيام وتنسى.

(٤) خطابه السياسى إلى محمد نجيب

كـان من أبرز مواقـفـه ذلك الخطاب السـياسـى المفتـوح الذى أرسله وهو تحت تحـديد الإقامـه ونشر فى جريده المصـرى فى ٢٤ مارس، والذى اقتـرح فيه حـلا لأزمة الحكم فى مصر، والذى كان يعـبر عن برنامج الجبهة الوطنية ورؤيتهـا لحل مشكلة الحكم، وقد سجل التاريخ له هذا الموقف، ولأهميه هذا الخطاب كوثيقه تاريخية فإننا نورد نصه فيما يلى:

السيد رئيس الجمهورية ورئيس مجلس قيادة الثورة ورئيس مجلس الوزراء

والحاكم العسكرى العام - جمهورية مصر البرلمانية

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته:

فلاشك أنكم تقدرون مـدى المسئولية التى أتحمـلها معكم أمام التاريخ عن مـصير هذه البلاد نتيجة للعمل الإيجابى العنيف الذى قمت به فى يوم ٢٣ يوليو ٥٢ ولأنى لا أستطيع أن أفلت من مسئـوليته حتى بعد استقـالتى من مجلس قيادة الثورة فى فبـراير ٥٣ فالتاريخ دقيق صارم فى حسابه .ولا يسعنى وأنا أشعر بهذه المسئولية وأرى ما يجرى فى هذه الأيام الأخـيرة من أحـداث أن أتخلف عن أداء واجـبى نحـو هذا الوطن بعـرض ما أراه كـحل للأزمة الشديدة التى تعانيـها البلاد فى هذه الظروف العصيبة حـتى أكون قد أديت واجبى نحوكم كـزملاء يتحـملون مسئـولية ضخـمة أمام التـاريخ ونحو البلاد التى أصـبحت فى حاجة ماسة الى عـلاج عاجل حاسم تستقر به النفوس، وتهـدا الأعصاب، وتنام الفتنة التى تطل برأسها على هذا الشعب، وإنى أعرض رأيى على الوجه الآتى:

١ ـ إن حال البلاد الآن أشبه بحال المريض، ويحـاول كل مخلص من أبنائها أن يهتدى الى العلاج الناجع وأن يهـدى اليه الآخرين، فإذا طال الجـدل فى هذا الموقف دون الوصول الى العلاج تعرضت حياة المريض الى خطر محقق. ليس أخطر منه إلا أن يجرعه السم بدل الدواء.

٢ ـ لا يمكن الوصول الى العلاج إلا بعد التأكد من معرفة الداء.

٣ ـ بالرجوع الى التـاريخ الذى عملناه من يوم ٢٣ يوليـو الى أن وصلنا الى هذه الحالة نلمس الآتى:

أ- بعد طرد فاروق من البلاد فى ٢٦ يوليو ٥٢ بدأ مـجلس قيادة الثورة مناقشة الخطوة التاليـة التى كانت تتلخص فى هذا السؤال.. (لمن الحكم؟)، وكـان هناك رأيان فى الجواب على هذا السؤال.. أمـا أحدهما فكان يرى دعـوة البرلمان المنحل ليبـاشر سلطته الشرعـية، وأما الآخر فقال بعدم دستـورية هذا الحل، ورأى أن نذهب مذهباً آخر، واستقر الرأى على استفتاء قسم الرأى بمجلس الدولة مجتمـعاً لهدايتنا الى التصرف الدستورى السليم. فأفتى بأغلبـية تسعـة أصوات ضـد صوت واحـد بعدم دسـتورية دعـوة البرلمان، وكـان الصوت الواحد للدكتور وحيد رأفت.

ب- سرنا على هدى هذه الفـتوى، ووصلنا الى الحالة السـيئة الراهنة، وتبـين لنا أننا قد

ضللنا الطريق.

جـ- بعد أن تبين لنا بوضوح أننا قد ضللنا طريقنا فلا يكون هناك تصحيح للوضع سوى أن أن نعود الى حيث أشكل الينا الأمر فنصحح طريقنا.

٤ ـ على ضوء هذه الحقائق نجد أن علاج الموقف ينحصر فى أحد حلين لا ثالث لهما :

أ- دعوة البرلمان المنحل ليتولى حقوقه الشرعية.

ب- تأليف وزارة ائتلافية تمثل التيارات السياسية المختلفة القائمة فعلاً فى البلاد، وهى الوفد والإخوان المسلمون والاشتراكيون والشيوعيون، تشرف على إجراء انتخابات للبرلمان فى أسرع فرصة حتى تختار البلاد حكامها الشرعيين، ويعود الجيش الى ثكناته ليستعد للقيام بواجبه فى تحقيق أهداف الشعب فى حدود طبيعة عمله التى تنحصر فى الاستعداد لمعركة التحرير، وأقترح أن يكون رئيس الوزارة المقترحة هو الدكتور وحيد رأفت الذى أكسبته حوادث التاريخ هذا الحق فلا تكوت الرياسة محل خلاف.

٥ ـ أى حل آخر غير هذين الحلين يكون بمثابة إعطاء المريض السم بدل الدواء. فيكون مجافياً للديمقراطية التى تنشدها الثورة .ومن ثم تكون سبباً فى استمرار الاضطراب الحالى وما يترتب عليه من سوء النتائج.

٦ ـ إن استمرار الحكومة الحالية فى حكم البلاد لتصريف شئونها بعد أن أعلن الشعب رأيه فيها، وكذلك استمرار الهيئات التى أنشأتها هذه الحكومة كلجنة الدستور مثلاً هو استمرار للسياسة التى ثبت فشلها وخطرها، فمادامت الحكومة قد قررت أن تترك للشعب أموره فليس لها أن تفرض عليه أو تقترح له.

فإنما قمنا فى يوم ٢٣ يوليو لتمكين الشعب من أموره دون أن تكون لنا وصاية عليه. لا سيما بعد أن أعلن هو رغبته فى ذلك وإصراره عليه، وإننى أسأل الله لكم السداد والتوفيق.

والله ولى التوفيق ،،

القاهرة فى ١٧ مارس سنة ٥٤

القائم مقام أركان حرب

يوسف منصور صديق

عضو مجلس قيادة الثورة سابقاً

(٥) رد فعل الخطاب في الشارع السياسي:

أحدث الخطاب دويا في الشارع السياسي، وقد نشرته جريده المصري في ٢٤مارس ٥٤ وسارع مصطفى أمين بالرد عليه، ونورد نص رد مصطفى أمين- تحت عنوان سلاطة- والذي نشره في جريدة الأخبار يوم ٢٥ مارس - فيما يلي:

لم تفاجأ الدوائر السياسية بالاقتراح الذي تقدم به القائمقام يوسف منصور صديق عضو مجلس قيادة الثورة السابق الذي يقترح فيه قيام وزارة ائتلافيه من الوفد والإخوان والاشتراكيين والشيوعيين برياسة الدكتور وحيد رأفت لإجراء انتخابات للبرلمان الجديد، فقد أبلغ الرئيس نجيب الى أعضاء مجلس الثورة أمر هذه الرسالة عندما تلقاها على ورق أحمر منذ أيام. ولكن الجديد في الموقف أنه لم يصدر حتى الآن أية تصريحات رسمية من رئيس الجمهورية، وهو رئيس الوزارة في الوقت نفسه عن رأي الحكومة في إقتراح القائمقام صديق !!.فهل هذا الاقتراح من بين الاقتراحات العديدة التي تدرس؟ أم هو اقتراح لشخص غير مسئول؟ وهل القائمقام صديق من الذين يرسمون اليوم سياسة الدولة أم أنه لا يزال بعيداً عن مزاولة نشاطه السياسي منذ استقال من مجلس قيادة الثورة لمناسبة لما قيل عن تدبيره لانقلاب عسكري أو ما قيل عن ميوله الحمراء.. فأبعد الى أسوان ثم سافر الى سويسرا للعلاج، ثم عاد فجأة الى مصر، ثم عين ملحقاً عسكرياً في الهند [١] وهل هو اقتراح يمكن أن ينظر اليه نظرة عابرة؟ أم أنه أخطر من هذا وأدق ؟ فهذه أول مرة في تاريخ مصر يذكر فيها أن الوزارة سيشترك فيها شيوعيون؟ ولا يجوز أن يؤخذ هذا الاقتراح على غير محمل الجد. فقد سبق للشيوعين أن دخلوا وزارة ائتلافية في رومانيا وكان من بين أعضائها وزراء من اليمين ومن أقصى اليمين، ودخلوا بوزير شيوعي واحد، وبعد قليل أصبح الوزير ثلاثة، وبعد قليل أيضاً طلب الشيوعيون وزارة الداخلية، وبعد قليل طلبوا حكومة جديدة فيها وزير المواصلات شيوعي ونائب رئيس الوزراء شيوعي ووزير الداخلية شيوعي، وبعد ثلاثة أسابيع طردوا مجلس الوزراء كله، وتألفت وزارة

(١) لم يقبل يوسف صديق هذا المنصب ولا أي منصب آخر

شيوعية كاملة بعد إخراج أعضاء الوزارة المؤتلفة من اليمين واليسار وانتهى الأمر ..كما هو معلوم بإعلان الحكم الشيوعى فى رومانيا كلها.. وحدث مثل هذا فى تشيكوسلوفاكيا والمجر وفى غيرها من البلاد التى انضمت تحت الستار الحديدى. حيث لا حكم نيابى ولاحرية ولا حرية صحافة، ولكن فيها محاكم ثورة ونظام بوليسى وجاسوسية على نطاق واسع، وأوامر تصدر من موسكو بتعيين الوزراء وإقالة الوزراء .فالدهشة التى يقابلها مثل اقتراح القائمقام يوسف صديق الذى يجمع الشامى على المغربى والوفدى على الاشتراكى، والأخ المسلم على الشيوعى هى دهشة الذين لم يقرأوا التاريخ الحديث ولم يقرأوا عن التكتيك الشيوعى.

وقد كان الناس يريدون بياناً من رئيس الجمهورية ورئيس الوزارة عن رأيه فى هذا الاقتراح. فالسوق مليئة بالإشاعات لا نعرف ما نصدق منها وما نكذب، وما نأخذ منها وما ندع.. فقد سمعنا إشاعة بان هناك فكرة لتأليف وزارة مدنية .!ثم سمعنا إشاعة بان الرئيس على ماهر هو المرشح لرياسة الوزارة ، ثم قرأنا فى صحيفة الجمهورية هجوماً عنيفاً ضد على ماهر وسياسة على ماهر ..فغلب الظن أن هذه الإشاعة غير صحيحة.. ثم سمعنا إشاعة بأن هناك فكرة فى إنشاء مجلس جمهورى، وأن الرئيس نجيب اقترح أن يضم ثلاثة من الوفديين وثلاثة من السعديين وثلاثة من الدستوريين.. ثم قرانا فى جريدة الجمهورية لسان حال الثورة هجوماً على الوفديين والدستوريين والسعديين جميعاً وهجوماً، على وزير المالية عبد الجليل العمرى والمستشار الجمهورى سليمان حافظ لاتهامهما بأنهما زارا إبراهيم عبد الهادى رئيس السعديين.

وبعد هذا سمعنا أن الوزراة المدنية سيرأسها الدكتور السنهورى، وإشاعة أخرى أن الوزارة سيرأسها بهى الدين بركات، وإشاعة ثالثة بأن الوزارة سيرأسها الأستاذ عبد الرحمن عزام، وقرأنا يوماً أن الحزب الجمهورى سيتألف برياسة نجيب، وقرأنا فى اليوم التالى أنه عدل عن إنشاء الحزب الجمهورى، وقرأنا فى اليوم الثالث أن الرئيس نجيب سيبقى بعيداً عن الأحزاب ثم قرأنا تصريحاً للصاغ خالد محيى الدين بأنه سيرشح نفسه على مبادئ الحزب الجديد، وأنه سيكون فى جناحه التقدمى.

ثم قرانا تصريحاً للبكباشى جمال عبد الناصر بأنه ثائر وليس سياسياً. وقرأنا أن أعضاء مجلس الثورة لا يتقدمون للانتخابات. لأنهم ثوار وليسوا سياسيين ... وهكذا يمكن تلخيص الموقف بأنه سلاطة والسلاطة أنواع.

سلاطة بلدى، سلاطة بالخضراوات، سلاطة طحينة، وأخيراً سلاطة روسية. والذى نرجوه أن نعرف من المسئول (صاحب السلاطة) ونوع (السلاطة) التى تطبخ الآن.

مصطفى أمين

(٦) كيف دخلت الصحافه:

وتلقفت جريدة المصرى الخيط، وسارعت ترد على مصطفى أمين!! تروى ابنته (سهير) عن الطريقه التى قابل بها الصحفى (أمين عبد المؤمن) والدها، وأخذ منه الحديث الصحفى الذى نشر فى جريده المصرى فى ٢٦ مارس ٥٤ قائلة:

أخبرنى أبى أنه يريد مقابله الصحفى (أمين عبد المؤمن) ليعمل معه حديثا فى جريدة المصرى، وكنت أعرف هذا الصحفى. حيث كان يتردد على منزل والدى بثكنات العباسية فى بداية الثورة، والمشكله أن والدى لا يستطيع الخروج من المنزل لأن إقامته محدده بالمنزل الذى وضع عليه حراسة مخبرين.

فرسم أبى لى الخطه للقيام بهذا العمل، وقد نفذت هذه الخطة بنجاح، ذهبت فى الموعد المحدد لمقابلة الصحفى الذى كان ينتظرنى أمام حلمية بالاس، وكان هذا الملهى قريبا من منزلنا فى حلميه الزيتون.

قابلت الصحفى وطلبت منه ان يتبعنى لأننى سأدخله الفيلا بطريقه سريه حتى لايراه الحرس الواقف أمام باب الفيلا، وكان بحديقه الفيلا الخلفية مكان مفتوح بين الأشجار يسمح بمرور فرد واحد بشرط ان يكون منثنى القامه، تطل هذه الفتحه على ممر بين فيلتين خلفيتين ويقود إلى الشارع الرئيسى.

دخلت من الفتحه التى بين الأشجار بسهوله لأننى صغيره وجسمى رفيع، وتبعنى الصحفى بصعوبة حيث إنه كان بدين الجسم، ولكنه استطاع الدخول الى داخل الحديقة الخلفية ثم الى داخل المنزل من الخلف، وكان لقاؤه بالوالد والحديث الذى نشر بعد ذلك

في جريدة المصرى.

وأذكر ان صحيفه الأخبار قد نشرت خبرا بأن يوسف صديق ظهر من تحت الأرض عندما نشر هذا الحديث. فقد تصورت ان يوسف قد هرب من تحديد الإقامة وقابل الصحفى! وفيمايلى نص هذا الحديث:

كتب مندوب المصرى يقول: قلت للقائمقام يوسف صديق: إن كتابك الذى أرسلته الى الرئيس اللواء محمد نجيب ونشر المصرى نصه قد رسم أمام الذين لايعرفونك عشرات من علامات الاستفهام، خاصة وأن إحدى الصحف قد خرجت أمس تشكك فى اتجاهاتك وتتهمك فى أغراضك فمن أنت ؟ وماهى مبادئك ؟ هل أنت من الأخوان ؟ أم شيوعى ؟ أم وفدى ؟ أم إشتراكى ؟ أم أنت من هؤلاء جميعا ؟ وهل صحيح أنك كتبت رسالتك الى الرئيس نجيب بمداد أحمر على ورق أحمر ؟

فتمهل القائمقام يوسف صديق وشرد بذهنه الى الوراء ثم قال: أن صح لى أن أتحدث عن نفسى فأنى أقول لهؤلاء أنى ضابط مصرى قمت على رأس الضباط الأحرار يوم ٢٣ يوليو ١٩٥٢ بالدور الرئيسى الذى مكن للضباط الأحرار من تنفيذ سياستهم ، وأما مبادئى فهى مبادىء كل مصرى وطنى حر مستقل يؤمن بربه وبوطنه، وأن وحدة مصر هى السلاح الأول الذى تتحقق به جميع أهدافها، وأن الطمأنينة والأوضاع الطبيعية والاستقرار السياسى والاقتصادى وشعور الناس بأنهم سينامون فى بيوتهم وأنهم غير مهددين اذا قالوا كلمة للصالح العام بالمبيت فى السجون والمعتقلات، أو بأتهامهم اذا كانوا من الأخوان بأنهم من عملاء لندن ، واذا كانوا من الأحرار الوطنين بأنهم من عملاء موسكو، كل هذه هى مبادئى، ثم استأنف القائمقام يوسف صديق حديثه قائلا:

لقد أصبحت هذه البضاعة، بضاعة الاتهامات التى تلقى جزافا بائرة، لاتروج عند الشعب، فقد أصبح الشعب المصرى كامل الوعى مرهف الحس يميز الغث من السمين، وإذا كان الهضيبى زعيم الإخوان المسلمين فى مصر حقا من عملاء انجلترا فأنا لايهمنى بعد ذلك أن أتهم بأنى من عملاء موسكو أو غير موسكو، ومن هم عملاء واشنطن ؟ لماذا لانسمع أى أحاديث عنهم أو تحديد لهم ؟ ثم قال: أيها الناس أن مصر الآن ليس فيها

وفدى ولا أخوانى ولااشتراكى ولا شيوعى. فالجميع قد وقفوا صفا واحدا وراء كلمة واحدة هى كلمة الوطن وأمام هدف واحد هو تحرير الوطن ، ومن سار مع القافلة فأنه منها ومن عارضها فستسحقه الأقدام مع أعداء الوطن، وستظهر الأيام أننى لست شيوعيا، وأننى لاأدين بشىء إلا حبى لبلادى ، لكنى أرى أن الشيوعيين الموجودين بمصر هم الآن قوة لايمكن إنكارها إلا إذا أردنا الهرب من الواقع، وإنهم كمصريين لهم الحق فى مناقشة آرائهم كغيرهم من المواطنين، وإن انجلترا وأمريكا فيهما شيوعيون، وفى الأولى حزب معترف به، ولقد صرح الهضيبى، وهو الذى يمثل أكبر معسكر إسلامى فى الشرق أن الشيوعية لاتقاوم بالقوة وبالقوانين، وأنه لامانع لديه من أن يكون لهم حزب ظاهر، وأن الإسلام كفيل بضمان سلامة الطريق التى تسلكها البلاد .

قلت: ان الذين قرأوا كتابك على صفحات المصرى وقرأوا توقيعك عليه مقترنا بعبارة عضو مجلس قيادة الثورة السابق أخذوا يتساءلون عن قصتك، ويتساءلون عن دورك فى حركة ٢٣ يوليو، وعن دورك فى مجلس الثورة، وكيف أصبحت غير عضو فيه؟

فقال: أما أنى كنت عضوا فى مجلس الثورة فهذا أمر يعلمه كل من تتبع أحداث الثورة، وأما أن جميع المصرين لايعرفون عنى الكثير أو القليل فذلك يرجع الى أن سياسة مجلس الثورة فى أوائل الحركة كانت مبنية على نكران الذات، وأما عن دورى فى يوم ٢٣ يوليو ١٩٥٢ فسأتركه للتاريخ، وإن كان الرئيس اللواء محمد نجيب لم يبخل على الحق فى مذكراته التى نشرها على الناس حين قال: إننى كنت الشرارة الأولى التى اندلعت فى هذا التاريخ ، وإننى أفضل أن يسأل أيضا البكباشى جمال عبد الناصر عن هذا الدور وأنا راض بتقريره فى ذلك. وأما أسباب استقالتى من مجلس الثورة فإن التاريخ الذى استقلت فيه وهو فبراير ٥٣ يستطيع أن يحدد أسباب هذه الاستقالة لكل من فى رأسه عيون ترى وفى قلبه بصيرة تبصر.

قلت: ألم يصلك رد من الرئيس اللواء محمد نجيب على رسالتك ؟

فقال: لقد سلمت رسالتى الى الرئيس اللواء محمد نجيب بنفسى، وقد تحدثت معه ساعة وبعض ساعة عما فيها، ولا يسعنى وأنا أشعر بالعبء الضخم الذى يقع على أكتافه

والظروف المختلفة المحيطة به إلا أن أدعو له بالتوفيق، فقد عدت بعد هذه المقابلة الى منزلى بالزيتون وأنا أتفاءل خيرا من مسلك الرئيس محمد نجيب مادام يستجيب لرغبات الشعب الذى أحب وأتعلق به.

قلت: لقد أشارت بعض الصحف أمس الى أن اقتراحك عن قيام وزارة ائتلافية من الوفد والإخوان والاشتركيين والشيوعيين، اقتراح لشخص غير مسئول ، وتساءلت الصحيفة: هل أنت من الذين يرسمون اليوم سياسة الدولة ؟ أم أنك لاتزال بعيدا عن مزاولة نشاطك السياسى منذ استقلت من مجلس قيادة الثورة ؟ لمناسبة ماقيل عن تدبيرك لانقلاب عسكرى فما رأيك فى هذا الكلام ؟ هل كنت تزمع حقا القيام بانقلاب عسكرى؟

فقال: أحب أن أواجه الحقيقة التى تتجلى فى أن الذى يرسم سياسة البلاد الآن ودائما هو الشعب وليس هو يوسف صديق، ولا مجلس الثورة ولا أى فرد أو هيئة. إنما هو الشعب الذى يرسم سياسته لنفسه بنفسه ، وما كان اقتراحى فى هذا الصدد سوى رأى رجل اشترك فى مسئولية الوضع الجديد للبلاد، وله غيرته على وطنه، ويحب كما يحب أى مخلص أن تسير السفينة الى شاطىء السلام دون أن نضيع جهودنا ونفنى قوانا فى التخاصم والتقاتل، ونترك العدو يسعد بهذا الهدم ، أما بشأن ميولى الحمراء فإن هذه الميول تلصق دائما بكل حر، وقد ألصقت أخيرا وبشكل مفاجىء بالصاغ خالد محيى الدين، وأستطيع أن أقرر أن هذه التهمة قد وجهت الى البكباشى جمال عبد الناصر نفسه ، كما وجهت للثورة كلها فى يوم ما، ومهما وجهوا إلينا من تهم فنحن سائرون فى طريقنا نضحك ملء أشداقنا من هذه الاتهامات.

وكما سيلاحظ القارىء. فأن خطابه الى الرئيس وحديثه للمصرى لم يمران مر الكرام فمن داخل بيته تلقى ابنته السيدة سهير الضوء قائلة:

بعد نشر مقالات الوالد وأحاديثه فى جريده المصرى، وبعد أن عبر عن آرائه الشجاعة وتمسكه الشديد بقضية الديمقراطية حدث الآتى: حضرت مع زوجى وابنتى الرضيعه ليلى الى القاهره لزياره أسرتى. حيث تركنا الطفله معهم، وذهبت مع زوجى الى سينما مترو

لمشاهده فيلم ذهب مع الريح، وعند عودتنا رأينا مشهدا مفزعا ، حيث وجدنا الفيلا التى تملكها والدتى بحلميه الزيتون محاصرة من الخارج بعدد كبير جدا من جنود البوليس الحربى المسلحين ببنادق برته سريعه الطلقات وداخل الحديقة عدد كبير منهم وأمام الفيلا كانت توجد قطعة أرض فضاء شيد فيها الجنود خيمة كبيرة بها عدد كبير آخر من نفس الجنود، وتحولت الفيلا الى ثكنة عسكرية مسلحة، وكأن الحرب قد قامت ، وحاول رئيسهم منعى من الدخول فأخبرته بأننى ابنة يوسف صديق.. فأخبرنا أنه قد تم تحديد إقامته بالمنزل وأنه ممنوع الدخول أو الخروج منه. فطلب منى زوجى الدخول ومضى هو راجعا حتى لاتتحدد إقامته بالتالى، ووجدت والدى فى حالة عصبية شديدة من هذا الإجراء الفاشستى الذى إن دل على شيىء إنما يدل على ترسيخ الحكم الفردى الدكتاتورى الذى ستراه البلاد قريبا، خاصه وأننا علمنا أن الفيلا التى كان يسكنها الرئيس محمد نجيب، والتى كان شارع طومانباى يفصلها عن فيلتنا قد تم تغيير الحراسة حولها بحراسة أخرى تنتمى الى التيار المعادى للرئيس نجيب. مما جعل والدى يصف رسالته اليه بأنها رساله من: الحر المعتقل الى المعتقل الحر، وفى هذه الفتره حدث ان مرضت ابنتى الرضيعة فخرجت لأشترى دواء من الصيدلية المجاورة وتسللت خارجه حتى لايشعر أبى باى احتكاك محتمل من الحرس، فتصدى لى رئيس الحرس قائلا ممنوع يافندم الخروج. فاخبرته بهدوء أن ابنتى الرضيعة مريضة وانى ذاهبة لأحضر لها الدواء. فقال اذا خرجت لن أسمح لك بالدخول. هذه هى الأوامر فقلت بانفعال سأرجع بالدواء، وسأرى كيف ستمنعنى من الدخول، وفعلا أحضرت الدواء وعدت ولم يحتك بى.

وفى هذه الفتره أيضا فى مساء أحد الأيام جاءتنا مكالمه تليفونية من مجهول يخبرنا أن هناك مؤامره ستتم لأغتيال كل من محمد نجيب ويوسف صديق ، فما كان من والدى إلا أن قام وارتدى ملابسه الكاملة، وجلس فى التراس ينتظر تنفيذ الأغتيال، وشبه ذلك برجال الملك من الحرس الحديدى الذين كانوا يغتالون الوطنين مثل عبد القادر طه قبل الثورة، وكانت ليلة من أسود أيام حياتنا، جلسنا كلنا حوله فى التراس، تتوقف قلوبنا عند سماع صوت سياره تقترب من الفيلا الى أن طلع علينا النهار ونحن فى أسوأ حال، وفى أثناء

الليل حاولت والدتى الأتصال بزوجة الرئيس محمد نجيب ـ وكانت صديقتها ـ محاولة أن تلقى الضوء على هذا الحدث، ولكنها أخبرتها أن الرئيس ذهب الى مطار القاهره لتوديع الملك سعود الذى كان فى زياره لمصر.

ويقول ولده اللواء (حسين صديق) عن تلك الفترة:

عندما تفجرت ازمة مارس ١٩٥٤ كنت بالمرحلة الابتدائيه بإحدى مدارس كوبرى القبه، وكنا نسكن بثكنات الجيش بالعباسية، ولم أكن أعى تماما الموقف السياسى وخلافات والدى مع مجلس قيادة الثورة، ولكننى كنت أحس بالتوتر المحيط بى، ونظرات المدرسين لى المملوءة بالحنو والإشفاق.

وأذكر يوم ٢٤ مارس ٥٤ عندما نشرت جريدة المصرى مقالا لوالدى عن رأيه فى الظروف الراهنه فى ذلك الوقت، كنت أجلس فى حجرة الدراسة، ثم وجدت المدرس يشير لى وهو ممسك بجريده أن أحضر اليه فتوجهت الية فسألنى عن اسم والدى فأجبته فسألنى عن مهنته فأجبته. فسألنى عن مقاله بالجريدة وقال لى: والدك رجل عظيم وشريف كان والدى فى ذلك الوقت محدد الإقامه بمنزله الآخر بحلمية الزيتون.

على أن يوسف صديق لم ترهبه كل فترات التنكيل التى تعرض لها فنراه يدلى بحديث آخر فى تلك الظروف العصيبة، وفيما يلى نص حديثه الى مجلة روز اليوسف والذى نشر فى ٢٩ مارس ٥٤:

تخرج يوسف صديق من الكلية الحربية ١٩٣٣ ثم اختير مدرسا بالكلية الحربية ١٩٣٩ وتخصص فى تدريس التاريخ العسكرى، وحصل على شهادة أركان حرب ١٩٤٥ واشترك فى الكفاح ضد الطغيان طوال مدة خدمته بالجيش، وقد اشترك القائمقام يوسف منصور صديق فى حركة ٢٣ يوليو، واختير بعد ذلك عضوا فى مجلس قيادة الثورة، وبقى فيه حتى فبراير ٥٣ ثم اختفى اسم يوسف صديق من الصحف، قال يوسف صديق لمندوب روزاليوسف:

لقد هيأ لى الحظ الوجود فى القاهرة قبل حركة ٢٣ يوليو ١٩٥٢ على رأس قوة صغيرة، وكنت قبلها بين نفى وتشتيت حتى نقلت الى السودان، ولكن الذين فعلوا بى

ذلك نسوا أن السودان ومصر شيء واحد. فلم أهادن الطغيان فى أى منهما ، وقد استطعت بهذه القوة الصغيرة التى لم تتجاوز الستين جنديا أن أقوم بدور فى ثورة ٢٣ يوليو ، أفضل أن يتحدث عنه غيرى من الضباط، غير أنى أقول لك باختصار إننى تحركت على رأس هذه القوة الصغيرة فى منتصف ليل ٢٢ يوليو فقابلت فى طريقى من معسكر هاكستب الى إدارة الحرس قائد فرقة المشاة العسكرية هناك. فاعتقلته وأخذته أسيرا ، ثم قابلت القائد التالى المساعد فى الطريق فاعتقلته كذلك.

وقد صادفت البكباشى جمال عبد الناصر والصاغ عبد الحكيم عامر فى مصر الجديدة حيث علمت منهما أن أمر الضباط الأحرار قد كشف، وأن رئيس اركان حرب الجيش يعقد اجتماعا فى رئاسة الجيش لإصدار أوامر لمقاومة الحركة ، فأسرعت الى مقر الاجتماع على الفور، وهاجمت القيادة، وقبضت على رئيس أركان حرب الجيش فى مكتبه قبل الاجتماع، وعلى معظم القواد الذين كانوا فى طريقهم اليه، وكذلك قبضت على القوات التى أرسلت لتعزيز الحراسة على رئاسة الجيش، فقبضت بذلك على المقاومة، وأصبح للضباط الأحرار الأمر فى البلاد .كان طبيعيا بعد ذلك أن أكون عضوا فى مجلس الثورة، وبقيت كذلك حتى أعلنت الثورة أنها ستجرى الانتخابات فى شهر فبراير ٥٣ وكانت الثورة بذلك تسير وفق مبادىءالضباط الأحرار .غير أن مجلس قيادة الثورة بدأ بعد ذلك يتجاهل هذه الأهداف. فحاولت أكثر من مرة أن أترك المجلس وأعود الى صفوف الجيش فلم يسمح لى بذلك، حتى ثار فريق من الضباط الأحرار على مجلس قيادة الثورة يتزعمه اليوزباشى محسن عبد الخالق بسبب هذا التجاهل لأهداف الثورة ..فأيدت الثائرين بالدفاع عن وجهة نظرهم. فأبعدت الى أسوان ٥٣ ونفذت أمر الإبعاد حتى تثبت لهم صحة آرائى عمليا بفعل الأيام ذاتها .

وكان مجلس الثورة قد خدعه مستشاروه المضللون. فماحل شهر فبراير ٥٣ الذى كان محددا لعودة الحياة النيابية إلا وكان مجلس قيادة الثورة قد اعتقل الضباط الثائرين وحاكمهم وسجنهم على نحو ما يعرفه الناس، وألغوا الدستور بحجة عمل دستور جديد، وحلوا الأحزاب بحجة أن بعضها فاسد وصادروا أموالها، وأصبح واضحا أن الثورة

أنحـرفت و بدأت تنتكس، فاتصلت بـالبكباشى جـمال عـبد الناصـر تليفـونيا مـن أسوان وأخبرته أننى لايمكن أن أبـقى عضوا فى مجلس الثورة، وطلبت منه أن يعـتبرنى مستـقيلا فـأنا لا أوافق على مـا يتم، وسـأرسل هذه الاسـتـقالة مع أحـد الضـبـاط الذين كـانوا فى حراستى، فاستدعيت الى القاهرة فى الحال، واعتقل كل من له صلة بى.

ونصحت بأن أسافـر للعلاج فـى سويسـرا على أن أعود بعـد ثلاثة أشـهر للعـمل فى صفـوف الجيش ، ومضت الشهـور الثلاثة، وجاءنى الخـبر بأن عودتى غيـر مرغوب فيـها، ولكنى عـدت خلسة الى وطنى، وتوجهت الى بلدتى فى مـركـز الواسطى واستـقلت من الجيش تلغرافيا. فـتقرر تحديد إقامتى هناك، ثم طلبت الانتقال الى القـاهرة فحددت إقامتى هنا.

ومن طريف مـا يمكن أن أذكره لك أن منزلى بحلميـة الزيتون حيث إقامـتى محـددة لايفـصله عن منزل الزميل مـحـمـد نجيب إلا شـارع واحد هو الممر الذى يفصل بيـن الحر المعتقل والمعتقل الحر.

● ماهو رأيك فى الفترة التى حكم فيها على ماهر ؟

بدأت وزارة على ماهر تنفـيذ برنامجها الإصـلاحى المنتظر، ولكن خابت الآمال فـيها. فقـد حاول على ماهر التخلـص من تحديد موعد الانتـخابات وحاولنا نحن الضـغط عليه، واتفقنا معه نهائيـا على تحديد موعد الأثنين ١٠ / ٨ / ١٩٥٢ لإذاعة البـيان المنتظر الذى سيعلن فيه موعد الانتخابات، فإذا به يفاجئنا قبل هذا التاريخ بضريبة الدخان مع رفع ماهية المستشاريـن، والتمهيد لرأس المال الأجنبى للدخول والسيطرة بنسبة ٥١٪ والإقـامـة لمدة عشر سنوات، وكان الجيش قد طلب التطهـير فى جميع نواحى البلاد بما فى ذلك الأحزاب حتى يمهد للدستـور أرضا طيبة. وإن أنسى فلا أنسى مهازل التطهيـر والمعركة الشديدة فى الوفد والإشـاعات، ورأت اللجـنة العسكرية أن تصـرفات وزارة على مـاهر تعتبر عـملا مقـصودا لإفقـاد الجيش تأيد الشعب، وتـعريض القوات العـسكرية للخطر، ورأت اللجنة العسكرية المطـالبة بإقالة الوزارة (وزارة على مـاهر) فورا ، وكان ذلك مـساء ٨ / ٨ / ٥٢ وفى ١١ / ٨ / ٥٢ أصدر على ماهر فى الليلة السابقة بيانا مطـولا لم يتعرض فيه لتحديد

موعد الانتخابات، وهاجم فيه الأحزاب فى وضعها الحالى، ولم يبين برنامجا واضحا لما يعتزم القيام به، وفى فجر هذا اليوم أصدرت القيادة العامة بيانا أعلنت فيه أنها سبق أن اتفقت مع على ماهر على أن تجرى الانتخابات فى أوائل شهر فبراير ٥٣ واستنكرت فرض ضرائب غير مباشرة كضريبة الدخان التى يقع عبئها على الفقير قبل الغنى، وقصدت القيادة بهذا البيان إحراج على ماهر، وكشف موقفه وانتقاد تصرفات وزارته معتمدة أنه بالحكم على ماضيه سيضطر الى الاستقالة أو يبقى فى الحكم ضعيفا. فتملى عليه ما تشاء وتأمره بتنفيذ ما تراه لصالح الشعب، وأعلنت القيادة يومها أنها لاتهدف الى حل الأحزاب فهدأت بذلك ما أثاره بيان على ماهر فى نفوس الأحزاب من قلق .

وأذكر أننى عندما وصلت الى قيادة اللواء السابع بالعباسية، رأيت الجنود تتحرك فى عربات، وسألت أركان حربى فأخبرنى بأن القيادة العليا أصدرت أوامرها الى القوات بالتحرك الى مداخل القاهرة وكان ذلك لسببين:

الأول: أن الجيش البريطانى يقوم بمناورات، وقد وصلت طلائعه الى ٥٠ كم شرق القاهرة ، فرأت القيادة أن ترد على ذلك بمناورات مماثلة لتؤكد للإنجليز أنها مصرة على مقابلة العدوان بالقوة مهما كانت النتائج .

الثانى: أنها رأت أن تحركات القوات المسلحة داخل القاهرة تعتبر مظاهرة حربية تؤكد لعلى ماهر أنها ستواصل استخدام القوة لصالح البلاد فى الداخل والخارج .

ورغم أننا أوقفنا على ماهر عند حده، وأخرجناه من الحكم من أجل الدستور بعد أن هاجم الأحزاب هجوما عنيفا فإن مجلس الثورة، وأنا فى أسوان ألغى الدستور بحجة عمل دستور جديد، وألغى الأحزاب بحجة أن بعض أعضائها فاسدون ، خضوعا لمستشاريه الذين جعلوا بهذا العمل جبهة الأحزاب كلها فى ناحية وقادة الثورة فى ناحية.

● البعض يرى أن اقتراحك بتكوين جبهة من الوفديين والإخوان والشيوعيين والأشتراكيين، هو جمع بين الوفدى والاشتراكى والشيوعى والأخ المسلم والشامى والمغربى، وأن هذا لايمكن تحقيقه.

قال: إن التغاضى عن الاعتراف بقيام جبهة متحدة من هذه الهيئات الأربعة هو هروب

من الواقع ، فلقد تم تكوين هذه الجبهة فعلا ، وليس هناك دليل أسطع على وجودها من أن أقطاب وشباب هذه الهيئات ممثلون الآن فى جميع المعتقلات والسجون ، التى جمعت بين الشيوعى والوفدى والأخ المسلم والاشتراكى. فجمعت بذلك بين الشامى والمغربى على حد قول القائلين فلا يكون هناك عجب أن تجمع الجبهة بينهم، ولاسيما أن اجتماعهم هو للعمل لمصر .

• هل كنت ستقوم بانقلاب عسكرى فلهذا أبعدك المجلس الى أسوان ؟

فضحك يوسف صديق وقال :القول بأنى كنت أريد عمل انقلاب عسكرى فيه شيء غير قليل من التحريف، فحقيقة ما حدث أن بعض الضباط الأحرار تذمروا حين بدأوا يشعرون بأن مجلس الثورة لايطبق السياسة المتفق عليها، وكان على رأسهم اليوزباشى محسن عبد الخالق، وكنت أرى أنهم على حق، وأدافع عن وجهة نظرهم وكانت نيتى يتجه الى جمع كبير من الضباط المتذمرين والقيام بمجرد مظاهرة عسكرية لإطلاع مجلس الثورة على صورة حقيقية عن حقيقة شعور الضباط، أما الانقلاب العسكرى العنيف فإنى ضده وأؤمن بأن أستعمال العنف يكون مع العدو الخارجى، وأن التهديد بالدم والثورة الحمراء. يجب أن يكون للعدو الخارجى فحسب. لأنه لايستفيد من تقاتلنا سوى ذلك العدو، وابتسم قائلا: ولاتظن أنه مادامت إقامتى محدده فنشاطى السياسى ينتهى ، هذا محال فأنا كما قلت لك مسئول أمام التاريخ، ومادام قد أبيح للعسكرين الاشتغال بالسياسة فسيبقى نشاطى السياسى مستمرا حتى يتمكن الشعب من حقوقه وسيادته وقبل هذا ، وقبل أن يعود العسكريون جميعا الى ثكناتهم ونصبح كما كنا رجال حرب ، وضد العدو فحسب ، لايمكن أن يتوقف نشاطى السياسى ، ومرة أخرى ابتسم يوسف صديق ليقول :هل تريد أن تعرف ماهو أجمل ؟

نعم ..

قال: أكتب ، كن واثقا أن الجيش قد أصبح من الوعى بحيث لايمكن استخدامه ضد الشعب أو لمصلحة فرد أو أفراد، وأنه سيكون دائما جيش الشعب وفى خدمة الشعب فحسب.

وكان هذا الحديث آخر ما سمح ليوسف صديق أن ينشره حتى وفاته ، ولم تكد تمضى ثمان وأربعين ساعة على نشره ، حتى قبض عليه ودخل السجن مما سيرد ذكره بعد ذلك من حديث !!

(٧) دور خالد محيى الدين

بعد استقاله يوسف صديق فى ١٥ يناير ٥٣ من مجلس قيادة الثورة ظل خالد محيى الدين وحده معارضا، لكن صوته لم يكن ليفعل شيئا أمام طوفان الاحداث، وعلى الرغم من أنه تقدم باستقالته التى لم تقبل ، لكنه ظل مع المجلس وحضر أزمة مارس وهو عضو فيه، وكان لنشاط سلاح الفرسان وضباطه الأحرار دور مؤيد للديمقراطية، لكن عبد الناصر كان قد أحكم الرقابة على نشاط السلاح وبث العيون.

لكن دور خالد خلال هبة مارس يحتاج الى مزيد من الضوء ، فمما لاشك فيه أنه لم يكن موافقا على توجه النظام الى الحكم العسكرى، كانت هناك عوامل كثيره تحكم موقفه، ولم يكن عبد الناصر يطمئن الى الضباط الأحرار فى سلاح الفرسان، حتى من قبل قيام الثوره، كذلك فإن المجلس هدد بضرب سلاح الفرسان بالمدفعية والطيران، ومعنى ذلك أن تقوم حرب أهلية، ومع وجود القوات البريطانية فى منطقة القناه واحتمال تدخلها، فقد كان الموقف بالنسبة له بالغ الصعوبة. لعب المجلس فيه على عنصر التخويف.

وكان لدور صلاح سالم فى الإعلام، ولجمال سالم والتهديد بتدخل الطيران، فى الوقت التى كانت فيه الجبهة الوطنية تنادى بالديمقراطية وجماهير الطلبه تنادى بحل مجلس الثورة وعودة الجيش الى الثكنات. مما جعل الموقف ملتهبا.

ويلقى البعض على خالد بالمسئولية، حيث يقول وحيد رمضان فى شهادته (مجله اكتوبر ١٧ / ٨ / ١٩٩٥) وفى هذه الشهاده يسال المحرر ووحيد رمضان يجيب، وقد رأينا نقل نص الحوار الذى يخص دور خالد محاولين إلقاء الضوء على جوانب أزمة مارس:

س: وماذا عن أزمة سلاح الفرسان ؟

ج: فى الواقع كانت حركة سلاح الفرسان فى ظاهرها تاييدا لمحمد نجيب، ومزاعم

الديمقراطيـة من خالد محيى الدين، وانا مـؤمن أنه لايمكن إقامه ديمقـراطية بالدبابات أو المدفعيه أو المشاه أو بأى سلاح، النتيجة أن خالد محيى الدين ترك الضباط الذين قاموا بهذه الحركه ليلقوا مصيرهم فى المحاكمة العسكرية وذهب الى سويسرا.

س: وماذا عن ضباط السلاح الذين اندفعوا فى الصدام اندفاعا رومانسيا ؟

ج: الازمه فى حـقيـقتهـا كانت بتـرتيب لكشف العناصر المتـمردة، نفس سيناريو أزمة المدفعيه. فمثلا عندما ذهب عبد الناصـر ليلا الى الميس الأخضر - فى قيادة سلاح الفرسان - قابله بعض الضباط الصغار مقابلة سيئه، وكان واضحا أن هؤلاء الضباط ليس لديهم أى خلفية سياسية وكانوا يتصرفون بايحاء من خالد محيى الدين.

س: وماذا كان يقصد خالد محيى الدين ؟

ج: كمـا أؤمن كان يقـصد كـشف العناصر المتمردة لـصالح مجـلس قيادة الـثورة، أو بالتحديد لصالح جمال عبد الناصر.

ويثير هذا الحـوار مع ماسبقه من أقوال مـحمد نجيب تساؤلات حول دور خـالد محيى الدين فى أزمـه مـارس، ولكنه عندمـا كتب كـتـابه (الآن اتكلم) لم يشـر الى دور الجـبهـة الوطنيه ولا الى خطاب يوسف صديق الى محمد نجيب. كما أننا لانستطيع أن نأخذ شهادة وحيد رمضان أيضا. وقد تكون تلك الفترة فى حاجة الى مزيد من البحث.

على أن المقارنه بين دور يوسف صديق وخالد محيى الدين خلال هبة مارس ٥٤ تظهر اختـلافا بين الشخـصيتين. فـلا شك أن خالد كان مـعارضا لسلطة مـجلس الثورة، ولكن يوسف كان مقاوما لها ، وقد نشر خالد فى كتابه رأيه فى شخصية يوسف قائلا:

وهناك أيضاً يوسف صـديق، والحقيـقة أن علاقتى به قـبل الثورة محـدودة للغاية، وهو رجل شجاع. اكتـسب بشجاعته واستـقامته احترام الجميـع، وهو صاحـب الدور البارز ليلة الثورة، وهو فوق كـونه عسكرياً شديد المراس، كـان أديباً وخطيباً وشاعـراً، ويمتلك روح فارس من فـرسان العصور الوسطى، ولعل روح الفـارس هذه هى التى دفعته الى الـتصادم المبكر مع مجلس الثـورة، فكان يطرح أفكاراً حادة وحاسمـة، وقاطعة كالسـيف، ولا يقبل

أى مساومة حولها، وقد رفض يوسف صديق بإباء يليق بفروسيته المعهودة، قبول أى منصب عرض عليه [1].

(٨) دور محمد نجيب

أتاح قيام الثورة ونجاحها تحت اسم محمد نجيب فرصة تاريخية له، خاصة بعد التفاف الجماهير من حوله، ووجود قوى مناصرة للديمقراطية معه فى مجلس الثورة، متمثلة فى يوسف صديق، وخالد محيى الدين، فى أن يحسم الاتجاه منذ البداية نحو المسار الديمقراطى.

لكن الذى حدث أنه لم يقف بحزم وصلابة منذ البداية هذا الموقف، ومرت تحت اسمه كل المواقف التى اتخذها المجلس ضد الديمقراطية، فوافق على إعدام خميس والبقرى، ووافق على ضرب الأحزاب وإلغاء الدستور، رغم مناقشات يوسف صديق أمامه فى المجلس ومواقفه مع الحرية، وقد أعجبته تلك المواقف، لكنه لم يفعل شيئا لمناصرتها. وفى ذلك يقول بكتابه كلمتى للتاريخ ص ١٣٣:

تعددت الآراء فى أسلوب عبور الفترة المتبقية على تنفيذ قرارات ٥ مارس، وكتب القائمقام يوسف صديق بطل الثورة الشجاع مقالا فى جريده المصرى يوم ٢٤ مارس اقترح قيام وزاره ائتلافية من الوفد والإخوان المسلمين والاشتراكيين والشيوعيين برئاسة الدكتور وحيد رأفت لإجراء انتخابات البرلمان الجديد، ووجد هذا الاقتراح صدى طيبا فى نفسى، إذ يعيد الحياه للأحزاب فيضمن الديمقراطية، ويحقق تشكيل جبهة وطنية لاتوجد خارج إطارها قوى سياسية ذات بال.

وظهر رأى الوفد فى الحاله موضحا أن النحاس لايفكر فى الترشيح لرئاسة الجمهورية وأنه يتمسك بالنظام الجمهورى والإصلاح الزراعى، ويطالب بعودة الحياة البرلمانية فورا حتى تستقر الاوضاع، وصرحت للصحافه قائلا اننى لن أتراجع عما استهدفته من عودة الحياة النيابية ورددت على الذين يتخوفون من عودتها بقولى إننا ماثرنا إلا لإعادتها سليمة

---

(١) الآن اتكلم ـ خالد محيى الدين ص١٣٣

من الشوائب، كما صرحت أيضا بأننى لاأنوى تكوين حزب. وكانت معركة فكرية واضحة على صفحات الصحف، جريدة المصرى تتبنى قضية عودة الديمقراطية وتدافع عن ذلك دفاعا حارا، وجريدة الاخبار تهاجم فكره الانتخابات وتحذر من جهل المواطنين.

يلاحظ القارىء أن فى القول السابق مغالطة واضحة ومحاولة للتهرب من المسئولية، ذلك أن يوسف صديق لم يكتب مقالا فى جريدة المصرى بل وجه خطابا مفتوحا الى اللواء محمد نجيب نفسه، بل إنه سلم الخطاب بنفسه لنجيب وناقشه فيه كما سبق القول. وجد اللواء نجيب نفسه متورطا فى الصراع على السلطة، وفقد إمكانية التوجه الديمقراطى وحتى عندما قامت الجبهة الوطنية لم يضع ثقله خلف جهودها. بل تراجع عن مساندتها، ظنا منه أن مجلس الثورة ذاهب لامحالة، وأن الصراع سوف يحسم لصالحه، وفى ذلك يقول فى كتابه كلمتى للتاريخ ص ١٤٠:

وجلست ومعى محمد رياض نتدارس الموقف، واقترح على محمد رياض أن أصدر أمرا بإقاله الوزاره، وأن أعهد الى وحيد رأفت بتشكيل وزارة مدنية على أن يقوم هو ومجموعة من الحرس الجمهورى وبعض ضباط الجيش الموالين لى بالهجوم على مبنى البرلمان الذى كان محمد رياض يشرف على حراسته اثناء انعقاد المؤتمر المشترك- مجلس الثورة ومجلس الوزراء - واعتقالهم وإطلاق النار لو استلزم الأمر، وأصغيت فى انتباه شديد.

كنت فى أعماقى لأول مره قد اتجهت الى الموافقه على هذا الإجراء، ولكن رأيت استدعاء خالد محيى الدين لاستشارته، وكانت الساعة السادسة صباحا عندما أرسلت محمد رياض لاستدعاء خالد محيى الدين.

وتدارسنا الأمر وكان رأى خالد محيى الدين أنه يشك فى وجود مؤامره ضد قرارات ٢٥ مارس، وانه لامبرر لهذا الإجراء العنيف، وأن جمال عبد الناصر وأعضاء المجلس فى حاله انهيار تام، وبعد مناقشه طويله تم الاتفاق على استبعاد هذا الإجراء وآثرت المواجهة.

وواضح أن خالد محيى الدين لم يكن على دراية تامة بالموقف، أو أن كلامه الى اللواء نجيب، لم يكن يمثل الحقيقة، إذ تبين أنه فى هذا الوقت كان عبد الناصر قد اشترى ذمة

صاوى، وقام عمال النقل المشترك بإضرابهم، وهتفوا بسقوط الديمقـراطية، ومالبث نجيب أن دفع ثمنا فادحا!!

(٩) دور جمال عبد الناصر

لما اشتدت مطالبة الجماهير بالاتجاه الديمقراطى، وقامت مظاهرات الطلبة تطالب بعودة الجيش الى الثكنات، بدات نذر المواجهة المحتملة بين مـجلس قياده الثورة وبين كافه القوى السيـاسية الموجـودة على الساحة. فى يناير وفـبراير ٥٤ وجد عـبد الناصر أن قـوى عديدة تقف ضده.

فمحمد نجـيب عنصر مقلق داخل مجلس القيادة قد تتجـمع حوله القوى الوطنية، وهو يتمتع بتاييد شعبى جارف، والإخوان المسلمون وقد تحالفوا مع عبد الناصر، منذ قيام الثورة بقصـد تصفـية الأحزاب بداوا يناوئون، والـضباط الأحـرار فى المدفعيـة والفرسـان أخذوا مواقف ضد مجلس قيادة الثورة.

لكنه لم يكن وحـيدا فى تلك المواجـهة، كان مـعه باقى أعـضاء مـجلس قـيادة الثورة، وتقف أمريكا من خلفه، وقد زرع العيـون من ضباط الصف الثانى الموالين له، والذين ربط مصـالهم ببقاء المجلس وبقـائه شخصـيا، كمـا استخـدم العصا الغليظة فى سـجن الأحرار والتنكيل بهم.

وانطلق ضباط الصـف الثانى فى مناصرته بشدة خوفـا على مصالحهم، ووقـفت جميع القوى المـعادية للديمـقراطيـة خلفه بشـراسة.كـانت المعلومات تصله من العـيون ورجـال الصف الثانى عن كل كبيرة وصغيرة وقد اندسوا بين تجمعات الأحرار .

ويلقى سامى جـوهر فى كتابه الـصامتون يتـكلمون الضوء ص ١٨ : يقـول على لسان البغـدادى ٢٣ فبـراير ٥٤: فى قمة الازمـة بين عبد الـناصر ونجيب وأثناء جلوسـنا لبحث الأمر حضر إسماعيل فريد يحمل مظروفا وقدمـه لجمال عبد الناصر قائلا: استقاله اللواء، وجلسنا نبحث المشكلة، كل منا يقترح، والوحيد الذى لايتكلم عـبد الناصر، كانت استقالة نجيب وإعلانهـا قد يؤدى الى ثورة داخل البلد نتيـجه حب الناس المتزايد له، وعدم قـبولها

هو رضوخ منا لتصرفاته.

ورأى البعض إقالته وإعلان ذلك للناس وأسبابه، ورأى البعض أن يترك رئاسة الوزارة لجمال عبد الناصر، ووافقنا على هذا الراى بالأغلبيه، واعترض جمال سالم وحسين الشافعي، وتركنا عبد الناصر نتناقش ثم قال بصوته الهادىء النهارده إيه ؟ واجبنا كلنا ٢٣ فبراير، فقال بنفس الصوت الهادىء يوم ٢٣ مارس مش هيبقى فيه مجيب، وسألناه ازاى فأجاب بهدوء نخلص منه.

أعلن مجلس الثورة انتهاء عمله، وأطلق حريه الصحافة، فانطلقت الأقلام وظهر المعارضون على السطح، وربما اعتبرت بعض فصائل الجبهة الوطنية أن الغرض من تكوينها قد انتهى لمجرد إعلان انتهاء عمل المجلس، حيث احجمت بعض القوى السياسية عن استمرار التحالف مع الشيوعيين، على اعتبار أنها الأكثر قبولا بين الجماهير. فلماذا ترتبط بالشيوعيين !!ونسى الجميع أن مجلس قيادة الثورة لم يكن قد رحل فعلا، ولاكان الخيار الديمقراطى قد تغلب !!وهذا رأيى الشخصى.

ولأن جمال هو رجل المواقف التكتيكية كما أوضحنا. فلقد اتفق مع قيادات اتحاد عمال النقل المشترك، ودفع لهم رشوه مقابل القيام باضراب يشل حركه البلد وينادى بسقوط الديمقراطية، وتحركت منظمات الشباب وعمال مديرية التحرير، لتعبر عن تمسكها بالمجلس، وهاجم رجال المباحث العسكرية بملابسهم المدنيه مجلس الدولة.

وهنا رجع المجلس عن قراراته ، وبدأت حمله الاعتقالات فى أول إبريل ٥٤، وبدأت تصفيه القوى المعارضة، وانتصر عبد الناصر ليدفع الجميع ثمن هذا الانتصار لسنوات طويله.

(١٠) دور الصف الثانى

بعد الثوره قسم عبد الناصر الضباط الأحرار وغيرهم على أساس المبدأ المعروف بأهل الثقه وأهل الكفاءه، وفضل القسم الاول على القسم الثانى، كما أنه تخلص من كل العناصر التى لها فكر أو مواقف معارضة. مثل أحمد حمروش وثروت عكاشه ولطفى

واكد وغيرهم، وأبعدهم عن الجيش أولا، واستعان ببعضهم فى السفارات المصرية بالخارج أو فى الشركات ، وقد عوضهم الدخل المادى. لكنه أزاحهم من الطريق.

ومن بقى من رجال الصف الثانى بجانبه فى تلك المرحلة، أختير على أساس الولاء، وكان ذلك تحت غطاء حماية الثورة من الانقلابات المضادة، مما فتح الباب على مصراعيه لظهور طبقة جديده من الضباط الأحرار وغيرهم تنامى دورها، وكان لها تأثير كبير داخل الجيش، مثل شمس بدران، وصلاح نصر، وأحمد انور، وحسين عرفه، وحمزه البسيونى، أو فى الداخليه مثل صلاح الدسوقى، أو فى النقابات وتجمعات العمال والشباب، مثل طعيمه والطحاوى ووحيد رمضان ومجدى حسنين وعبد المحسن أبو النور. وغير ذلك.

وقد لعبت تلك الطبقه دورا حاسما فى أزمة مارس ٥٤ عندما استطاعت تحريك اتحاد عمال النقل لمساندة مجلس الثورة لحسم الصراع لصالحه ، وتدبير انفجارات القنابل، كما أنها تولت التنكيل بأحرار الجيش والشعب فى السجون والمعتقلات وتعذيبهم ، وترتب على هذا أن أحست هذه الطبقة فيما بعد أنها صاحبة الفضل الأول فى استيلاء عبد الناصر على السلطة وتمكينه من تصفيه خصومه.

ومن هذه الطبقه ظهرت مراكز القوى، وأصبح عبد الناصرأسيرا لها ، ولم يتخلص من بعض رؤوسها إلا سنة ١٩٦٧ لكن الوقت كان قد فات. فقد كانت التأثيرات الضارة لظهور تلك الطبقة قد أفسدت كل مضمون حقيقى للثورة، وتحمل عبد الناصر فيما بعد مسئولية انحرافات تلك الطبقة.

وكان من التاثيرات الضارة فى الجيش، اللعب على وترالانقلابات المضادة مما أتاح لهذه الطبقة تصفية الضباط الأكفاء، ويلقى الفريق أول صلاح الحديدى الضوء على تلك النقطه فى كتابه القيم عن أسباب نكسه ٦٧ فيقول:

وأفسدت عناصر الضباط التى تولت إدارة شركات القطاع العام بعد فصلها من الجيش، وقد لمست ذلك بنفسى أثناء فتره عملى بشركه النصر للتصدير والاستيراد وسفرى لفروعها الخارجية فى أفريقيا لمدة طويلة .

وكانت النتيجة هزيمة منكرة للنظام الذى أقامه انتصارعبد الناصرعلى خصومه ٥٤،

لأن الخصـوم فى حقيقه الامر لم يكونوا أعداء. بل كـانوا من خيره أبناء الشـعب المصرى وأحراره، ومثقفيه ، ووضعت نكبه ٦٧ الدرس على قمة صفحات التاريخ!! ونضرب مثلا عن دور الصف الثانى فـى أزمه مارس بما ورد على لسـان صلاح سعـده فى الوطن العربى ١٥ يناير ٩٦ حيث قال:

ازمة مارس مـعروفة للجميـع، وكان اللواء محمـد نجيب هو أساس الخلافـات بعد أن تجمع حـوله الرجعيـون والشيوعـيون والإخوان المسلمـون، وحاولوا بالفعل عـمل انقلاب ينفرد بعـده محمـد نجيب بالحكم ويتم إقـصاء عبـد الناصر، وقد قـمت بدور هام جدا فى كـشف هذا المخطط، فـقد كنت فى هذه الـفتـره على خـلاف مع المشيـر عـامر، وقـدمت استقالتى من القوات المسلحه ولزمت منزلى عدة أيام .

وأثناء ذلك زارنى فى منزلى صـديقى وتوأم روحى صلاح عـبد الحفـيظ، ولـم يكن من الضبـاط الأحرار، وكان شيـوعيا من مـجموعـة يوسف صديق، ولما علم باستـقالتى زارنى مهنئا على موقفى، وشـجعنى على الاستمرار فيه وقال: دول جماعـه ما يتعاشروش وعلى العموم ستتخلص منهم قريبا - سالته: أنتم مين؟ - قال لن أقول لك إلا إذا انضممت لنا ـ قلت خلاص أنا معكـم ـ قال نحن الشيوعيـون والوفديون والإخوان المسلمون مع مـحمد نجيب، بعد هذا الحديث مباشره ذهبت للمشير عامر وقلت له ماحدث، ولما سألنى عن اسم الشخص الذى أبلغنى بذلك، رفضت وقلت له إنه شخص احـبه كما أحبك، ولايمكن أن أقول اسـمه لك. فـقال لى هـذا حقك وأنا مـقدر ذلك، وخـرجنا من منزله الى منزل عـبد الناصر وسـمع منى ما سبق أن قلت. فـقال جمـال: اذن هذا هو حل اللغز. فمنذ شـهرين ونحن لانفهم مـحمد نجيـب. فإذا قلنا له شرق قال غـرب، وإذا قلنا شمال قـال يمين الآن عرفت هوه مسنود على إيه.

(١١) دور صاوى أحمد صاوى

حاول يوسف صديق ممثلا للجبهة الوطنية التى سبق التنويه الى ظروف تشكيلها،كسب العمـال الى جانب الدعوة الى الديمـقراطية، كمـا حاول مع كل القوى الأخـرى من طلبة

ومثقفين ، وقوى سياسية فاعله على الساحه فى ذلك الوقت، وحدثت اتصالات مع اتحاد عمال النقل بقصد الحصول على تايد العمال لنصرة قضية الديمقراطية، ولكن الجبهة فى تقديرى، وقعت فى خطأ أساسى عندما اعتبرت أن صاوى ، ومحمدى ـ وكانا على رأس اتحاد العمال ـ من الممكن أن يتعاونا ضد النظام القائم وإسقاطه، ذلك أن مثل تلك القيادات - الصفراء - ما كان النظام ليسمح ببقائها فى مواقعها لولا تأكده من عمالتها له.

وقد تناول الدكتورعبد العظيم رمضان بالتحليل أحداث تلك الفتره فى كتابه عن أزمة مارس ١٩٧٥، وأشار الى دور يوسف صديق فى الاتصال بصاوى وعرضه عليه مبلغ عشره الاف جنيه مقابل وقوف العمال الى جانب قضية الديمقراطية، ثم عاد الدكتور رمضان الى تصحيح قوله بنفى عرض يوسف ذلك المبلغ، وكان ذلك بعد احتجاج يوسف على قوله، وتكليفه وهو فى أخريات عمره احمد حمروش بالرد نيابة عنه على الدكتور رمضان .

وليس من المستبعد ان يكون يوسف قد حاول استمالة العمال الى صف الديمقراطية، ولكننا ننفى بشكل قاطع أن يكون يوسف قد عرض عليه أى مبالغ نقدية، ودليلنا على ذلك أن صاوى قد قبل الوقوف ضد الحرية والديمقراطية نظير رشوة من النظام مبلغ أربعة آلاف جنيه اشترى بها أرضا فى بلدته - قمن العروس - فكيف يرفض صاوى مبلغ عشره آلاف جنيه، ويقبل أربعه آلاف جنيه من النظام ، فمادام سوف يبيع ضميره. فلماذا يقبل الثمن الأقل !؟. علاوه على أن يوسف لم يكن يطمع فى الحكم وإلا لما استقال من مجلس الثوره كما أوضحنا من قبل !!

كتاب الصامتون يتكلمون ص ١٩ يقول على لسان البغدادى: وفى يوم ٢٥ مارس أعلنا حل مجلس الثورة والعودة الى الثكنات فى يوليو التالى بعد اجراء انتخابات وعودة الحياة الديمقراطية، وتحرك عمال النقل وأضربوا عن العمل، وتم شل الحركة فى المدينة تماما، ونجحت خطة عبد الناصر، واكتشفنا بعد ذلك أنه دفع مبلغ أربعه آلاف جنيه الى الصاوى رئيس نقابه النقل للقيام بتلك الحركة، وكنا نعتقد أنه تحرك تلقائى من جماهير الشعب، وعندما أخذت على جمال هذا التصرف قال لى: ماهو كان لازم ندفع لهم. لأن

خالد محيى الدين ويوسف صديق كانوا هيدفعوا أيضا لتحقيق غرضهم.

ويلاحظ القـارىء أن أقـحـام اسم خـالد فى هذا الحـديث، وهو الذى لم يثـبت له أى اتصال بصـاوى كان تغطيه للأمـر، وبذلك أوجد عبد الناصـر المبرر لتصـرفه هذا. على أن الصاوى بعد أن قام بدوره المشبوه، مالبث النظام أن صفاه، فضربه أحمد أنور ضربا مبرحا، واختفى فـلم يعد له وجود، لكن التاريخ سـوف يذكر له دائما أنه عامل هتـف ضد الحرية، ونقابى ناصر الدكتاتورية العسكرية!!

الباب السادس

فى أعقاب أزمة مارس

انتهت أزمة مارس بتصفية القوى المعارضة من الأساس، أو القوى التى أيدت النظام فى مراحل سابقة، أو الصف الثانى الذى وقف مع النظام أثناءها، ذلك أن الدكتاتورية لها منطقها الخاص الذى يعتبر أن مجرد المعارضة فى الرأى جريمة تساوى الخيانه العظمى وتستحق الإعدام، ونُدلل على ذلك بما حدث كنتيجه لانتصار عبد الناصر فى أزمه مارس ٥٤ بعد ذلك لمختلف القوى.

(١) مجلس قيادة الثورة:

وقد سانده فى كل تلك الإجراءات التعسفية لم يدرك خطورة حكم الفرد ولا مغبته إلا بعد فوات الأوان عندما أطاح بهم الواحد تلو الآخر، ذلك أن الحاكم الفرد الذى ينهج منهجاً دكتاتورياً ليس له صديق، وإنما هى سلطة الحكم وشهوته تزين له التخلص حتى من أقرب خلصائه عندما يتعلق الأمر بالسلطة وكرسى الحكم.

(٢) خبراء القانون الدستورى:

وعلى رأسهم الدكتور السنهورى الذين ساعدوهم بتفصيل القوانين المقيدة للحريات .. والتحايل لإيجاد المخارج ، يلقى محمد نجيب الضوء على ذلك بكتابه كلمتى للتاريخ ص ١٤٥ وتوجهت تظاهرة مدبره من مبنى هيئه التحرير الى مجلس الدولة، وكانت التظاهرة مكونة من عمال مديرية التحرير وجنود من البوليس الحربى تحت قيادة الصاغ حسين عرفة، وعدد آخر من ضباط البوليس الحربى، وكانت جريدة الأخبار قد نشرت أن الجمعية العمومية لمجلس الدولة سوف تجتمع اليوم بدعوة عاجلة من رئيس المجلس بصورة تشعر بأن الاجتماع له صله بالأحداث الجارية، واقتحم المتظاهرون مبنى مجلس الدولة الذى سحبت الحرا سه من حوله، ودخلوا الى قاعه الاجتماع، وكان قد صدر قرار بتأييد الديمقراطية والحياة النيابية وقرارات ٥، ٢٥ مارس، وقد اعتدى المتظاهرون على الدكتور عبد الرزاق السنهورى، وعلى باقى الأعضاء بالضرب الشديد، ومزقوا القرار الذى تم اتخاذه، وبعد أن تم حبس مستشارى مجلس الدولة فى قاعة الاجتماعات تم إجبارهم

على توقيع بيان بتأييد مجلس الثورة، وقد اتهم الدكتور السنهورى أمام النيابة العامة جمال عبد الناصر بتدبير الحادث ، كما أنه رفض مقابلته عندما زاره ليعوده بعد الاعتداء عليه.

(٣) الإخوان المسلمون:

الذين ساعدوه ووقفوا معه ضد باقي الأحزاب وشجعوه على تصفيتها على غير أساس ديمقراطي ـ طمعاً في أن تخلوا لهم الساحة بعد غياب الأحزاب فيكونوا أصحاب الحظوة ..مالبث أن انقلب عليهم وزج بهم في السجون، ونالوا من التعذيب مالا يخطر على بال بشر سواء فى سنة ٥٤ أو سنة ٦٥ مما كان موضوعاً لكتب عديدة كتبت في هذا الخصوص. وقد كنت شاهد عيان على ذلك في السجن الحربى .

(٤) منظمة حدتو الشيوعية:

التى ناصرت تنظيم الضباط الأحرار، وطبعت منشوراته ودعت الجماهير الى الالتفاف حول الثوره مالبث أن انقلب عليها، ويلقى الدكتور عبد العظيم رمضان الضوء فى مقال له بجريده الوفد فى ١٠ مارس ١٩٩٧ على ذلك بقوله: لقد انفجر حقد الفاشية الناصرية على الشيوعين على نحو لم يحدث حتى فى أعتى النظم النازية، فعلى الرغم من أن الشيوعين كانوا يعلنون تايدهم الصريح لنظام عبد الناصر، تحت الوهم بأنه نظام تقدمى، فان هذا النظام لم يتردد فى اعتقالهم والزج بهم فى المعتقلات فى طول مصر وعرضها ، ولم يكتف بذلك مما يمكن أن يغتفر له، وإنما نكل بهم تنكيلا، والحق بهم عذابا جماعيا لم يسبق له مثيل، وذلك بغير هدف الإ هدف التعذيب والتنكيل.

(٥) الضباط الأحرار:

الذين ناصروه وأيدوه ، يلقى محمد نجيب الضوء ص ١٦٠ على ذلك فيقول: كمال الدين حسين خرج من مجلس الرئاسة فجأة بعد أن كان يتولى تسع مناصب مختلفه، ووجد نفسه بلا عمل، وهو لم يصل بعد الى الخمسين، وخرج جمال سالم وصلاح سالم

كما سبق أن ذكرت ، ثم خرج عبد اللطيف البغدادي وحسن إبراهيم وزكريا محيي الدين، واغتيل عبد الحكيم عامر أو انتحر كما يزعمـون، خرجوا جميعا ليبقى الحاكم الفرد وحده، وهم الذين سبق وأن ساندوه في محاولة تركـيز السلطة في يده كحاكم مطلق، ولم يدركوا أن الديمقراطية التي دافعت عنها ، كانت لحمايتهم وحماية ارائهم. حتي ولو كانت تختلف مع رأيي.

(٦) مؤسسه أخبار اليوم:

وعلى رأسـهـا مصطفـى أمين التي نـاصرته وهللـت له كثـيـرا، مالـبث أن انقلب على صاحبها، واتهمه في قضيه مخله بالشرف ، وأدخله السجن!!

فلما دارت عليهم الدائرة أخـذوا يتباكون على الديمقـراطية والحرية، وادعى كل طرف منهم أنه كان ينادي بتلك الحرية المظلومة..ونسوق هنا بعض الأمثله التي تؤكد هذا القول: فمحمـد نجيب وقد سقنا حديثه فيـما سبق قال إنه كان مناصرا للديمقـراطية، وعبد الحكيم عامر قدم ا ستقالته الشهيره عام ١٩٦٢ دفاعا عن الديمقراطية، وما لبث أن رجع عنها حتى انتهى مع النكسـة، وكمال الدين حسـين والبغدادي وحسـن إبراهيم ورد على لسانهم في كتاب الصامتون يتكلمون مايفيد استقالتهم من أجل الديمقراطيه.

ويظل موقف يوسف صـديق في انحيازه للديمـقراطية ودفـاعه الباسل عنهـا منذ اليوم الأول لقيـام الثورة، وما تحـمله في سبيل ذلك من الـعناء والتضحـيات، وهو الموقف الذى لاتشوبه أي شائـبة، كما أننا لاننكر في هذا المجـال موقف خالد محيى الـدين، مع اختلاف في الطريقة والأسلوب، عن موقـف يوسف صديق ، وكذلك موقف الكثيـرين من الضباط الأحـرار، في الفـرسـان والمدفـعيـة، وغيـرهم من الضبـاط والمدنيـين الذين دافـعـوا عن الديمقراطـية بشجاعة واسـتبسال ، ودفـعوا في سبيل ذلك ثمنا باهظا من أمنهـم وحريتهم ومصالحهم الشخصية.

وقبل أن ننهي حـديثنا عن هبة مارس ، نلقي الضوء علـى دور أمريكا - الغير مـباشر- في تلك الفترة.

أمريكا ودورها

كانت امريكا تحاول أن تحل محل النفوذ البريطاني في المنطقة، والذى كان ضد رغبة الشعب المصرى وشعوب المنطقة، وقد بدأت شمس الإمبراطورية البريطانية تغيب بعد استقلال الهند وتنامى وعى الشعوب، وانتشار المبادىء الاشتراكية، بعد الثوره فى الصين ٤٩ . وخوف أمريكا من امتدادها الى منطقه الشرق الأوسط، وبلاد العالم الثالث.

لذلك سارعت بمسانده الثورة فى مصر، وأسدت لها صنيعا عند قيامها، بمنع الإنجليز من التدخل بقواتهم التى كانت موجوده فى القناة، كذلك فى تسهيل خلع الملك فاروق مقابل ضمان حياته، ونشط عملاؤها فى مصر فى تقديم خدماتهم لترسيخ أقدامها.

وفى نفس الوقت كانت أحداث إيران وثوره مصدق ، ثم تدبير الانقلاب الأمريكى الذى أدى الى عوده الشاه وسجن مصدق ، يمثل تحذيرا لعبد الناصر بحدوث شيء مماثل فى مصر.

كما أن المخابرات الأمريكيه درست وقيمت أعضاء المجلس الحاكم، وقد وضعت ثقلها وراء عبد الناصر ، وكان ظهور الصراع على السلطة بين محمد نجيب وجمال عبد الناصر، وتزايد الاتجاه بين القوى السياسية الى المطالبة بالحكم الديمقراطى ما أعطى الفرصة لأمريكا أن توجه الأحداث فى تلك المرحلة لمصلحتها التى لم تكن بالطبع فى انتصار الاتجاه الى الديمقراطية.

مما حدا بها وهى البلد الذى ينادى بالحرية والديمقراطية الى الوقوف بحزم بجانب الاتجاه الدكتاتورى لتصفية القوى الوطنية كلها، لذلك فإن دورها فيما عرف بأزمة مارس كان بالقطع بجانب عبد الناصر الذى كان يمثل فى نظرها الحاكم الذى يستطيع تكميم القوى الديمقراطية فى بلده، والحكم بالحديد والنار، أكثر من نجيب.

كانت تأمل بعد تمكن عبد الناصر من القضاء على القوى المعارضة، وجلاء الإنجليز، ان تنتهى المشكله بين مصر وإسرائيل، وهو ما يفسر تصرف أمريكا بتأييد عبد الناصر فى أزمة مارس.

وبالنسبه ليوسف صديق فإن موقف أمريكا منه كان واضحا منذ البداية. فلم يكن مرغوبا فيه، فآراؤه الواضحة والصريحة، واتجاهه المعادى للاستعمار، وفكره اليسارى جعله منذ البداية يقف فى الخط المعادى لأمريكا. وعندما القى خطابه الذى نادى فيه بالحياد، كما أن مواقفه مع الحريات فى مجلس الثورة كانت ضد اتجاه أمريكا، ولاشك أن جهوده فى تكوين الجبهة الوطنية، كانت ضد أمريكا.

وفى محاوله لإلقاء مزيد من الضوء سألنا الأستاذ محمود توفيق الذى كان قريبا من الأحداث ومن فكر يوسف:

س: هل تعتقد أنه كان لأمريكا دور مباشر فى إقصاء يوسف صديق؟

ج: نعم أعتقد أن لأمريكا دور فى إقصاء يوسف صديق بسبب ما كان يعرف عنه من ميول شيوعية وتمثل ذلك فى أمرين:

الأول: غير مباشر، وهو تركيز أمريكا فى علاقتها بنظام ثوره يوليوعلى التخويف من الشيوعيين والنفوذ الشيوعى، وتغذية حساسية الضباط من هذا النفوذ. إذ رغم أن قيادة الضباط الأحرار ممثله فى جمال عبد الناصر كانوا يتعاونون مع الضباط الشيوعيين قبل الثورة، ولكن هذا لايمنع أنه كانت لديهم حساسية ضد الشيوعيين وكان تعاونهم مرحليا تكتيكيا كما اتضح فيما بعد.

كما وأن امريكا كما هو معروف عنها كانت تتخذ من سياسة التخويف من الشيوعيين مدخلا لها للتدخل فى شئون البلدان النامية، ومن ثم احتواء النظم الثورية التى تقوم فيها، وإظهار أن هناك صله مشتركة بين أمريكا والنظم فى الكفاح ضد الشيوعية، وهذا المنطق جربته أمريكا فى مصر، وكانت له نتائج ملموسه.

بل إن بعض النظم الثورية، ومنها نظام يوليو كان يتعامل مع أمريكا على هذا الأساس، ويحاول الحصول على بعض المكاسب أو المواقف من امريكا عن طريق إظهار عدائه للشيوعين، وكان ذلك ملموسا فى بداية ثورة يوليو، كما تمثل فى إعدام - خميس والبقرى - على أساس أنهم شيوعيون رغم أنه كان معروفا أنهم لم يفعلوا شيئا يستحق الإعدام.

كذلك حرص النظام على إبقاء عدد من المعتقلين الشيوعيين فى السجون - رغم الإفراج عن سائر المعتقلين الآخرين لتاكيد موقف النظام من الشيوعية والشيوعيين، والهدف كان التأثير على الموقف الأمريكى خاصه بالنسبه لمساعى النظام لإجلاء القوات البريطانية عن مصر، ولضمان تايد أمريكا لهذه المساعى .

ثانيا: كانت هناك مواقف مباشرة وتدخلات من السلطات الأمريكيه للتحذير وإثاره الشكوك حول يوسف صديق باعتباره ممثلا لوجود نفوذ شيوعى فى الثورة، والتحريض على التخلص منه.

وأذكر أنه فى بدايه الثورة نشرت مجله تايم الامريكية موضوعا عن الثورة تكلمت فيه عن يوسف صديق باعتباره ضابطا احمر، وهذه المجله معروفه بعلاقتها الوثيقه بالمخابرات الأمريكيه، وكان لهذا المقال تأثير واضح على علاقه يوسف بمجلس الثورة، ونضرب أمثلة توضح مدى سيطرة أمريكا ونفوذها على مجلس القيادة وعلى عبد الناصر بالذات فى تلك الفتره:

• يقول خالد محيى الدين ص ١٨٧ وكان أول المرشحين هو الدكتور السنهورى رئيس مجلس الدوله، لكن قصه السنهورى تجرنا الى موضوع خطير هوعلاقتنا بأمريكا والسفير الأمريكى مستر كافرى.

والحقيقه أن جمال عبد الناصر كان قد رتب - كماقلت قبل الثورة علاقة مع الأمريكيين، عن طريق على صبرى ، ومنحهم قدرا من التطمينات من أن الثورة لن تقف ضدهم، والحقيقه أن كافرى كان يتصرف بالحق أوبالباطل على أساس أنه يمتلك نفوذا فى صفوف الثورة، وقد أدهشنى أن طالعت فيما بعد فى بعض وثائق وزارتى الخارجية البريطانية والفرنسية أن كافرى كان يزهو أمام السفراء الغربيين موحيا اليهم بأنه على علاقة خاصه جدا مع الثورة، بل كان يتحدث عنا قائلا (my Boys) أى أولادى والحقيقة أنه كان مبالغا فى ذلك أشد المبالغة. فلم نكن أولاده، ولم يكن يمارس علينا ضغوطا حقيقية، ولكنه استفاد من غموض الموقف، ومن بعض العلاقات ليتظاهر بأنه يمتلك نفوذا ما.

على أن هذا القول يمثل وجه نظر قائله بطبيعة الحال. لكن المؤكد أن اتصالات عبد

الناصر لم تكن معروفه بشكل كامل لكل أعضاء مجلس الثورة، ومما يؤكد قولنا هو ما أورده خالد ص ١٨٩ :

كنا في جلسة - لمجلس القيادة - وكان الدخول ممنوعا، وأبلغنا الحارس الواقف على الباب أن على صبرى يريد جمال عبد الناصر لأمر هام وعاجل، وكان عبد الناصر منهمكا فى الحديث فخرجت أنا لأستطلع الأمر.

وكان على صبرى يلح فى مقابلة عبد الناصر فورا، وقلت إن هذا مستحيل، فألح، وقال إن الأمر هام جدا وعاجل للغاية فرفضت وقلت: أنه من غير الممكن إخراج عبد الناصر من الجلسة.

فقال إذن أبلغه وعلى وجه السرعة أن السفير الأمريكى غير راض عن اختيار السنهورى رئيسا للوزراء، فالأمريكيون يعتبرونه شيوعيا لأنه وقع على نداء السلام، فقلت: لكننى أنا أيضا وقعت على نداء السلام. فرد على صبرى:

لكن أنت لم تكن معروفا فى هذا الحين ، وكافرى يقول إن الراى العام الأمريكى يتعاطف الآن معكم، وهم يعتبرون أن كل من وقع على نداء السلام شيوعيا، فلا تخسروا الرأى العام الأمريكى بهذه السهولة.

دخلت الى الاجتماع وأبلغت الرساله وأنا منفعل جدا، وقلت إننى أرفض بشده قبول هذا. لأن معناه الحقيقى أن السفارة الأمريكية تتحكم فينا وفى قرارنا، وهذا أمر خطير جدا، ورد عبد الناصر بهدوء ، وأنا أيضا غير موافق.

لكن الذى حدث بعد ذلك هو استبعاد السنهورى، وكان هذا دون شك دليلا على ما قلناه. فلقد كان لأمريكا دور فاعل، كما أن عبد الناصر لم يكن يحيط كل أعضاء المجلس بكل ما يفعل!!

يقول محمد نجيب ص ١٣٨ قال لى خالد محيى الدين إن صحفيا فرنسيا اسمه روجيه استيفانو من مجله نوفيل أوبزرفاتير قد أخبره أنه عرف بحكم صلته الوثيقه بالسفارات الأمريكيه والفرنسية والإنجليزية أن جمال عبد الناصر وبعض رفاقه قد أعطوا للأمريكان

إشاره التساهل فى توقيع اتفاقيه الجلاء، وإدخال تركيا فى حالة العودة الى القاعدة، وذلك ثمنا لتأييدهم فى المعركه ضد نجيب ثم يواصل:

وقال لى أحد الأصدقاء السودانيين أن صلاح سالم أبلغه أنهم قد صارحوا الأمريكان بأنهم إذا لم يقفوا معهم ضدى. فإنهم سيعيدون الحياة البرلمانية ويسمحون بتأليف حزب شيوعى.

الباب السابع

يوسف صديق فى السجن الحربى

(١) القبض على يوسف صديق

يروى ولده اللواء حسين عن تلك الواقعه قائلا: فى أول إبريل ٥٤ حضر والدى الى منزلنا بثكنات العباسية، وكان معه آخرون، ودار حديث بينه وبين والدتى أدركت منه أن هناك ما يسوء، ولكنى لم أعرف السبب، ووجدتنى دون أن أشعر أبكى. فما أن رآنى حتى نهرنى وأفهمنى ان البكاء للنساء، وأفهمنى بأننى مكانه الآن وصافحنى يدا بيد وانصرف.

وتروى ابنته سهير عن تلك الواقعه قائلة: وفى أول إبريل ١٩٥٤ قام الرفاق بإصدار الأوامر للقبض عليه، وأرسلوا له أحد تلاميذه ظنا منهم بأن هذا يحط من قدره ليقوم بعملية القبض عليه، فما كان من هذا الضابط إلا أن قام بتأديه التحية العسكرية له وحمل لوالدى الحقيبة التى بها ملابسه وأوصله الى سجن الأجانب حيث قمت بزيارته فى اليوم التالى مع شقيقى محمد، وأخبرنا أن بالسجن عدد كبير من رجال السياسة والفكر والصحافه، ثم نقل بعد ذلك الى السجن الحربى حيث وجد الأميرالاى أحمد شوقى وعددا من ضباط الإخوان المسلمين مثل عبد المنعم عبد الرؤوف، معروف الحضرى، ابو المكارم عبد الحى، حسين حمودة.

(٢) التنكيل

من غرائب ما حدث بعد القبض على يوسف صديق ما ترويه ابنته سهير قائلة: القبض على والدتى: السيدة/ توحيده صبرى، بعد القبض على والدى وايداعه السجن فوجئنا فى فجر أحد الأيام بحضور عدد كبير من رجال الداخليه - وكان زكريا محيى الدين وزيرا للداخليه فى ذلك الوقت - حضروا الى منزلنا وانتشروا فى جميع غرف المنزل وفى الحديقه التى تحيط الفيلا من كل جانب للتنفتيش، وإذا بأحدهم يخرج من غرفة كانت مخصصه للخادمة ومعه عدد كبير من منشورات الحزب الشيوعى المصرى - الراية - وقال لرئيسه: وجدت هذه المنشورات يافندم فى شنطة حديد بالغرفة، وأذكر أننى أخذتها منه لأعرف ما هى، وكانت ساخنه طازه بتاريخ نفس اليوم فقلت للخادمة امامهم - من إمتى

انتى زعيمة كبيرة واحنا مش مقدرينك - طبعا الخادمة صغيرة وأمية لاتعرف القراءة والكتابة، عند هذا طلب رئيسهم من والدتى أن تتوجه معهم الى وزارة الداخلية للتحقيق معها فى أمر المنشورات، ولما كانت والدتى من أسره محافظه، وليس لها أى علاقه بالسياسة وتعيش فى حزن على زوجها المعتقل بالسجن الحربى وزوج ابنتها - زوجى - المحبوس فى سجن القناطر، وأن المنزل الذى غزاه رجال الداخلية فجرا ليس به سوى إمى وأبنائها - سهير كاتبه هذه السطور ١٧ سنة وطفلتها الرضيعه ليلى - محمد ١٦ سنه - محمود ١٤ سنه - احمد ١٢ سنه والخادمه صاحبه المنشورات ١٨ سنه - فما كان من والدتى إلا أن طلبت أن تتصل بالرئيس محمد نجيب أو بوزير الداخلية زكريا محيى الدين لتسأله إن كان من اللائق أن تخرج من منزلها فى هذا الوقت الغريب مع هذا العدد الكبير من رجال الداخليه أو أن تاخذ معها ابنها محمد ليعرف ماذا سيحدث لها، لكن الرجال الذين حضروا لتنفيذ المهمة المحددة ـ وهى تلفيق تهمة خطيرة لزوجة الرجل السجين، والذى كان له الفضل فى جلوسهم على كراسى الحكم، رفضوا أى مطلب لها واقتادوها الى وزارة الداخلية، وهناك اكتشفت أن المقصود بتلفيق هذه التهمه كانت زوجته الثانيه السيدة علية توفيق!!

وقد أعاد والدتى الضابط محمد السقا الى المنزل ، وبنفس المنشورات التى خرجت من شنطه الخادمة ذهبوا الى منزل الزوجه الثانية حيث تم القبض عليها وعلى خدم المنزل وتركوا ابنيها - حسين ١١ سنه ونعمت ٥ سنوات - وهم أطفال صغار بمفردهم بالمنزل الى أن أتت خالتهم وأخذتهم الى منزلها، وفى نفس الوقت قمت بزياره والدى فى سجن الأجانب وحكيت له ما حدث بالتفصيل حتى يكون فى الصورة !!

(٣) سجن الزوجه

كان يوسف يعمل الى جانب عضويته لمجلس قيادة الثورة قائدا للواء السابع مشاة الذى كان منوطا به حماية الثورة، وكان يقيم بثكنات الجيش بالعباسية، وبعد قبول استقالته من مجلس الثورة ومن الجيش، ثم اعتقاله طلبوا من زوجته السيدة علية إخلاء السكن حتى

يشغله اللواء السرساوى الذى حل محله في قياده اللواء السابع .

لكنها رفضت الخروج من المنزل، وكانت تحت تحديد الإقـامه - مهددة بان تأخذ ولديها حسين ونعمت وتنصب خيمه وتقيم أمام المنزل حـتى يراها ضباط الجيش جميعا، ويعلموا ماذا يحدث لزوجـة يوسف بعد القبض عليهـا فى أول مايو ٥٤ سرقوا العـفش ونهبوا كل محتويات المنزل حتى الملابس الخاصه سرقوها!! وصادروا الكتب وشعر يوسف، وقصيدة لى فى استنكار سلوك عبد الناصر كنت موقعا عليه .

أقبل رجـال عبـد الناصر وقـد حملوا المنشـورات الشيوعـية، بعـد أن اعتقـلوا الزوجة الاولى، وتبينوا خطأهم فاعادوها الى بيتها فى حلميـه الزيتون كما أسلفنا، واقتحموا منزل يوسف فى ثكنات العباسية بعد أن رفضت زوجته تركـه ،وفتشوا البيت واكتـشفوا وجود منشـوراتهم، لكن الزوجه قـابلتهم بالـثوره عليـهم واتهمت عـبد الناصـر بالخسـه والنذالة وصبت جام غضبها عليهم .

اقتـادوها الى سجن مصـرالعمـومى مقبـوضا عليهـا، وتركوا أطفالـها حسـين ونعمت وحدهم فى المنزل ، وما لبث الزبانية أن سرقوا كل مافى المنزل، ثم ألقوا بالأثاث فى حوش قريب، كما القوا القبض على الخادم حسين عبد الجواد، وكان رجلا ريفيا أميا وألقوا به فى السجن الحربى، كـما قبضوا على شـقيقه رجب الذى كـان يعمل وقتها بمنظمـات الشباب وألقوا به فى السجن ايضا.

وسلموا المكان الى اللواء السرساوى، وتشاءمت زوجه اللواء من المنزل، واشمأزت من الطريقه التى عوملت بهـا زوجه يوسف ، وكأنما كانت تحس بقدرها فلم تمض شـهور حتى قضت زوجه اللواء نحبها .

واصطحب حسـين وسنه أحد عشـرعاما شـقيقـته الطفله وعمـرها خمس سنوات الى منزل خالته بشبرا حسب وصيه أمـه، تلك الخاله التى كان أبناؤها الاربعه رهن الاعتقال فى السجن، وتلقى السيدة علية الضوء على ماحدث:

تم القـبض على فى أول مايـو ٥٤ وأودعت سجن مـصر العـمـومى، وكان يوسف قـد قبض عليه قبلى، وقد كان سجنى انفراديا، ولم أكن وحدى فى سجن النساء، بل كان معى

في نفس الفتره من السيدات، ميمى زوجه كمال عبد الحليم ، ومارى زوجه سعد كامل، وآمال عبد النور وهى فلسطينية، ومارسيل وهى يهودية.

وفى سجن الرجال ، عبد الرحمن الخميسى ، عبد الرحمن الشرقاوى ، شريف حتاته، أخى محمود توفيق، صلاح حافظ، لمعى المطيعى.

كنت مريضه بعرق النسا فى ساقى اليسرى الى جانب أزمات فى القلب، وحضر المحققون ووجهوا الى اتهامات خطيره منها، حيازه منشورات شيوعية، العمل على قلب نظام الحكم بالقوة، اغتيال بعض أعضاء مجلس قياده الثورة، وذلك بالشروع فى شراء طبنجة وقنبلة يدوية.

وطلبت من المحقق أن أرى المنشورات المزعومة، فاخرج لى رزمه من منشورات رايه الشعب وما إن رايتها، حتى سخرت منهم قائله: حتى التزوير لاتعرفون فيه ؟ خذ هذه المنشورات الى جمال عبد الناصر وأعرضها عليه فإن قال إنها تخصنى فإننى أتحمل القضية كاملة!! واندهش المحقق وسألنى أحد الحاضرين - ولعله أحد ضباط المخابرات: وما شان جمال عبد الناصر بهذا ؟ فقلت لأنه يعرف أننى كنت عضوة فى منظمه حدتو، أما منشوراتكم فهى تخص الحزب الشيوعى المصرى، فكيف تكون لى!! وكتب المحقق كل أقوالى، وقلت لهم كيف كنت سأقلب نظام الحكم بالقوة؟ فقال المحقق كنت تنوين شراء طبنجة وقنبلة يدوية ـ فقلت: إذن أنا لم اشتر شيئا، ومن ذلك المجنون الأحمق الذى يصدق ان طبنجة وقنبلة يدوية تقلب نظام الحكم. لعلك لاتعلم أن ابى كان ضابط جيش وزوجى ضابط جيش.. فهذا الكلام غير منطقى وغير صحيح، وهل الطبنجة والقنبلة تعمل انقلاب!! إذا كنتم تريدون تلفيق تهم لى فابحثوا عن قول معقول!! وكانت قصة المنشورات هى التى هدمت القضية من أساسها، وقد أصبحت بعد ذلك نكته تروى!!

وقد تناوب على اداره السجن فى تلك الفتره، أحمد مسلم، محمود صاحب، إسماعيل همت، عبد المنعم موسى، وهو شقيق نبويه موسى، ورغم أن الحبس كان انفراديا إلا أن المعامله كانت حسنه .

وشعرت بألم شديد فى ساقى اليسرى، مما دعا الدكتور إبراهيم زكى طبيب السجن الى

ارسالى الى مستشفى قصر العينى ثلاث أو اربع مرات دون جدوى، وأخيرا أرسل لى المسئولون جهاز كهرباء لعمل جلسات، وكان معه طبيب انجليزى يدرب أطباءنا على طريقة عمل الجهاز، وبلغ عدد الجلسات التى عملتها تسعين جلسة، وقد ظل هذا الجهاز بعد ذلك في السجن، وكانت زميلاتى يقمن برعايتى عندما تداهمنى أزمات القلب.

ظللت في السجن ثلاثه عشر شهرا، كانت شقيقتى تزورنى أحيانا وتطمئننى على أولادى، وقد انتهت المعاناه بقرار الإفراج عنى، وفى يوم الافراج حضر محمود صاحب لاستلامى، ودخلت الى الإداره ومنها ركبت عربة جيب حملتنى الى منزل زوجه يوسف الأولى في حلمية الزيتون حيث وجدته في انتظارى .

وأحضرت شقيقتى أولادى من عندها والتأم شمل أسرتنا من جديد، ولم يكن عندنا بيت ولا شقة ولا عفش ولا ملابس، ولا أى لوازم للحياة من أدوات مطبخ وخلافة فقد سرقوا كل شيء، ولم يكن من الممكن ان نبدأ حياتنا فى منزل زوجته فقد كان وضعا شاذا. لقد أرادوا تصعيب الحياه على يوسف ، فقد كنا محددى الإقامه أنا وهو فى منزل الزوجه، لكننا تعودنا أن نعيش حياتنا بالبسيط من الامر ، وساعدتنى شقيقتى وحملنا متاعنا الأقل من القليل، وخرجنا ومعنا قوة تحديد الإقامة نبحث عن سكن!!

أسرة فى السجن

الحقيقه أن يوسف لم يكن وحده فى السجن. بل كان هناك العديد من رفاقه الأحرار مثل رشاد مهنا وأحمد شوقى ,وقد ساعدتنى الأقدار أن أكون شاهدا على هذه الفترة من حياة مصر وحياة الرجل. وما أكتبه اليوم هو حقيقة مجردة سجلتها فى مذكراتى عن السجن، كما سجلها أبى يرحمه الله فى مذكراته عن اعتقالى.. وقد كان بتلك الفترة لمحات مريرة كثيرة كما كان بها لمحات مضيئة. ذلك أننى تبادلت فيها مع أبى مساجلات شعرية جميلة، فكانت بين أبٍ ملهوف على ولده جزع وبين فتىً لا يقدر عواقب الأمور.

(١) شاهد أصبح متهما:

فى صباح ٢٩ أبريل ٥٤ الباكر دق باب منزلنا أحد المخبرين وفتح له أبى الباب، فطلب أن أصحبه الى وزارة الداخلية لأننى مطلوب فى شهادة هناك، وأيقظنى أبى ..لأذهب مع المخبر الى وزارة الداخلية. وهناك انتظرت حتى أدلى بالشهادة. كنت فى السادسة عشر من عمرى فى السنة التوجيهية الثانوية العامة قسم علمى فى مدرسة روض الفرج الثانوية. وزادت دهشتى عندما وجدت ابن عمى الصغير وائل ١٤ سنة، وأخذنا الضابط فى سيارة الى العباسية ثم الى الصحراء ، وعندما وصلنا الى باب السجن الحربى.. سمعت الحارس يقول اتنين معتقلين (وهو يبلغ إشارة بالتليفون الى داخل السجن. وأنتظرنا هناك، ثم أخذنا الحارس الى المعتقل(٣) ونزل وائل فى الزنزانة رقم (٢٢) ونزلت أنا فى رقم (٢٣) ... وهكذا وجدت نفسى فجأة معتقلاً فى السجن الحربى ... وفى حبس انفرادى وسأحاول أن أعرض صورة صادقة ومبسطة عن ذلك السجن الرهيب، والذى جرت به بعد ذلك أبشع عمليات التعذيب التى شهدتها مصر فى تاريخها الحديث !!

(٢) الحربى قبل أن يصبح باستيلا:

كان السجن الحربى مكوناً من أربع سجون رئيسية، وفى أيام دخولنا كان الموجود بالسجن عبارة عن كبار الضباط فى السجن رقم (١) وهو سجن صغير يحتوى على عشر زنازين ودورة مياه - وكذلك سجن رقم (٢) أما سجن (٣) الذى كنا فيه فكان مكوناً من طابقين وبه عدد من الزنازين وحوش صغير ومبنى دورة مياه واحدة كبيرة.. وأذكر أن زنزانه الدكتور حلمى مرادكانت بجوار زنزانتى، كذلك كان إحسان عبد القدوس، إسماعيل الحبروك، حنفى الشريف النائب الوفدى، ومجموعة الجبهة الوطنية وهى خليط من الشيوعيين والوفديين، وكان منهم أحمد الخطيب، ومحمد عيد من الوفد، كذلك عمرو محيى الدين، وهو شقيق خالد محيى الدين، ونحن أهل يوسف، وعرفه حسين، ومحمد حلاوة، احمد فهمى خطاب وهو شاعر وفدى ظريف، كما كان معنا أربعة

صولات من الإخوان المسلمين كانوا يؤذنون الفجر كل صبح فى السجن.

أما سجن(٤) وهو السجن الكبير فكان به عساكر جيش مسجونين يؤدون أحكام صدرت عليهم ، ثم ما لبث أن وضع به بعض المعتقلين ..وفى ذلك الوقت كانت المعاملة فى سجن (٣) هى الحبس الانفرادى الذى استمر الى قرب توقيع اتفاقية الجلاء فى أكتوبر ٥٤، لكن كان هناك معاملة شبه محترمة، وقد كنا آخر من حظى بتلك المعاملة، إذ انقلبت الأوضاع تماماً عقب محاولة الاغتيال الفاشلة التى تعرض لها جمال.. واتهم بتدبيرها جماعة الإخوان المسلمين. عند ذلك.. تحول السجن الحربى الى قلعة من قلاع التعذيب وظل كذلك الى نهاية عهد عبد الناصر.. وللتاريخ أسجل أن المعاملة التى كنا نلقاها فى سجن (٣) كانت معاملة طيبة بالمقارنة بما حدث عند اعتقال الإخوان المسلمين فى أكتوبر سنة ٥٤، فقد كان لكل منا سرير ينام عليه وكرسى ومنضده يأكل ويقرأ عليها، وبعد فترة الحبس الانفرادى بدأت إنفراجات تحدث فى المعاملة. خاصة قبيل توقيع اتفاقية الجلاء. على أن المعتقلين فى سجن (٣) كانوا خليطاً غير متجانس، وربما اندس بينهم عيون النظام من الجوا سيس، فهناك مجموعة قضية الجبهة، وهناك بعض الإخوان المسلمين وبعض الشيوعيين.. أما نحن أسرة يوسف فقد وضعنا فى المعتقل بشكل شبه جماعى. وكان لنا أقارب فى سجون أخرى، وهم الأستاذ محمود توفيق زوج ابنة يوسف السيدة سهير، والسيدة علية توفيق زوجة يوسف، يوسف كمال، جمال الأزهرى، أحمد الأزهرى. وقد مضت بنا أيام السجن.. كانت صعبة طوال مدة الحبس الانفرادى. لكن قبضة السجان قد خفت تدريجياً مع مرور الأيام.

وفى أحد الأيام.. مرضت جداً ، ونزفت من أنفى كثيراً وأمر الطبيب بضرورة نقلى الى مستشفى السجن – الشفخانة – ولكن كانت دهشتى أن أرى أمامى بجوار سجن (١) المواجه للمستشفى يوسف صديق يجلس على كرسى- ولاحظ الرجل وجودى – ورأيت تعبيراً بالأسى ظهر على وجهه. فما إن لوحت له بعلامة النصر حتى شاهدت ابتسامه فكان هو فى سجن رقم (١) وكنا فى سجن رقم (٣) وهناك الكثير من القصص التى تروى عن تلك الفترة.. سنحاول أن نروى منها ما يمكن أن يلقى الضوء على شخصية يوسف وتصرفه فى السجن.

(٣) التحقيق مع يوسف

حضرت لجنة تحقيق الى السجن الحربى لتحقق مع أحمد شوقى ومع يوسف صديق. لكنه سأل: من أنتم ؟ قالوا: نحن نيابة أمن الدولة، فقال لهم: أريد نيابة أمن الشعب لتحقق معى.. ثم ثار فى وجههم وطردهم. وذهبت اللجنة، ونصح يوسف زميله أحمد شوقى قائد كتيبة (١٣) ليلة الثورة ألا يسمح لأحد أن يحقق معه وأن يرفض التحقيق.. لكن أحمد شوقى لم يأخذ بالنصيحة وحققت معه اللجنة ..ثم قدمته الى المحاكمة بعد ذلك وحكم عليه بالسجن، وأما يوسف فلم تعد له تلك اللجنة مرة أخرى!!

(٤) رفيق الزنزانة

يروى الأستاذ عويس ياسين، وهو مدرس كان يعطى دروسا لأولاد يوسف، ويمت اليه بصله القرابه عن تلك الفترة:

عند القبض على يوسف صديق وإيداعه سجن الأجانب حاولت الذهاب لزيارته هناك، وأوقفنى الجندى أمام باب السجن وسألنى ماذا أريد ؟ فقلت لقد حضرت للزياره فوضع أمامى كشفا به أسماء المسموح لهم بالزيارة ولم أجد فيه اسم يوسف ، فاخترت أحد الأسماء عشوائيا، وقلت له أننى قادم لزيارته فأدخلونى السجن ووجدت الضابط فى انتظار الزيارة، واندفعت نحو الرجل الذى لا أعرفه احتضنته وقبلته وهمست فى أذنه بأننى أريد زيارة يوسف صديق، فرحب الرجل بى وبعد قليل حضر يوسف وكان مندهشا عند رؤيتى، وسألنى كيف دخلت الى السجن فقصصت عليه، وعلمت منه أن هناك كثير من الضباط داخل السجن وأن التحقيق لم يبدأ معه، ثم نقل بعد ذلك الى السجن الحربى. حيث تم القبض على وأودعت السجن الحربى، ونظرا لكونى مريضا جدا فقد وضعت فى مستشفى السجن وكانت تقع أمام سجن (١) حيث نقل يوسف الى أحد زنازينه وشاهدته هناك، وكان يتجول داخل السجن فيمر على فى الشفخانه للجلوس معى كل يوم مما أثار ضباط السجن ضدى، وكانوا يحاسبونى على زيارته لى، وكنت أقول لهم. حاسبوه هو.

فليس لى ذنب فهو الذى يحضر الى، ولكن أحدا لم يستطع أن يحاسبه أو يتحدث معه فى ذلك .وفى أحد الأيام طلب من حمزة البسيونى مدير السجن نقلى لمرافقته فى زنزانته كما طلب أن يسمح له بشراء الطعام من الخارج نظرا لسوء طعام السجن، ولكن يبدو أن قائد السجن رفـ [illegible] فثار يوسف عليه فاشتكى القائد للقيادة. فأمرعبد الناصر بتلبية طلباته، وهكذا انتقلت للعيش معه فى زنزانه واحدة كانت غرفه للمهمات وبها ملحق صغير وكنا نطبخ طعامنا هناك، وظللت كذلك حتى رحلت الى سجن مصر بعد ذلك فى نوفمبر ١٩٥٤ وتركته هناك فى السجن الحربى.

وأذكر أننا كنا نجلس سويا على الأرض وقد مد رجليه فى ممر فأغلقه وكان طويل القامة وحدث أن مر كبير الأطباء بنا فسأله يوسف إن كان طبيبا؟ فلما رد بالإيجاب، طلب منه إجراء الكشف عليه غير أن الطبيب طلب تاجيل ذلك فما كان من يوسف الا أن قال له: طيب غور، ولم يصدق الطبيب ما سمع فعاد اليه قائلا ماذا تقول ؟ فقام يوسف من الأرض ودفعه بيده بعيدا وهو يقول غور، وذهب الطبيب يشتكى الى ادارة السجن فأوحى اليه البعض أن يكتب شكوى ضده، وفعلا جلس الطبيب يكتب الشكوى، وما إن عرف اسم المشكو فى حقه حتى مزق الشكوى وذهب مسرعا اليه يعتذر له، وأجرى الكشف عليه وكذلك على ومن يومها ظل الدكتور على صديقا لنا.

وأذكر أن مدير السجن حمزه البسيونى كان عنده كلب من نوع أصيل من الولف، ولما بدأ اعتقال الإخوان المسلمين وتعذيبهم ذهل الكلب و تغيرت أحواله حتى أنه توقف عن النباح وصار يصدر أصواتا أشبه بعواء الذئب، وكان يخيل الى أنه كان يبكى على حال المعتقلين وربما أصبح أكثر رحمة بهم من بنى الإنسان!!

كان خبراء التعذيب قد وصلوا من المانيا الشرقية، يدربون زبانيه السجن على طرق التعذيب الحديثة، وما لبث هذا النوع من التعذيب أن أصبح السمة الغالبة فى جميع السجون والمعتقلات السياسية. وفى أحد الأيام أشتد على المرض فذهبت مكبلا بالحديد الى المستشفى العسكرى للكشف. لكن الطبيب كان منهمكا فى الكشف على عائلات الضباط، وانتظرت الى أن انتهى من عمله ولم يجر الكشف على، وطلب منى الحضور فى

الغـد مما اثارنى. فكيف أخـرج بقـيودى من السـجن مـرة أخـرى واتهمت الطبـيب بعـدم الإنسانية وبأنه لايصلح أن يكون طـبيبا، وأرسلت شكاوى ضده الى إدارة الخدمـات الطبية وعدت للسـجن، وبعد أيام فوجئت بمدير السـجن يطلبنى، ودخلت الغرفه فـوجدت عددا من الضباط مـعه وبادرنى بالسؤال هل أرسلت شكاوى ؟ فـقلت نعم فطلب منى أن اكتب تكذيبا للشكوى أو يرسلنى الى سجن (٤) ولما رفـضت أرسلنى الى سجن التعذيب، وعند دخولى من الباب وجدت الحلاق يحلق للمعتقلين قبل دخولهم على الزيرو وحلق شعرى ثم وضعت فى أحـد الزنازين ، كان الحـارس يطرق أبواب الزنازين مرة كل خـمس دقائق فاذا لم يرد المعتقل، دخل عليه وأوسعه ضربـا عشوائيا، وحاولت افهام الحارس أننى لست من الإخوان المسلمين، ولكنه لم يستجب وظل يطرق الأبواب كل خمس دقائق، وبدأ فتح الزنازين واستجـواب المعتقلين. فكان المعتقل يؤخذ الى إحـدى الزنازين حيث توجد لجنة من الضبـاط ومعـهم مدير السجن، وعـندما جاء دورى ذهبت فـوجدت أدوات التـعذيب معلقـة على الحائط حيث كان المعـتقل يعلق من أقدامـه فى سقف الغرفه وينهـال الجلادون عليه بالضـرب بالسياط والعصى قبل التـحقيق معـه على مرأى ومسمع من المحـققين. ولما دخلت عليهم همس مدير السجن للمحـققين بأننى من أقارب يوسف ولست من الإخوان المسلمين. فأعادونى دون تحقيق معى، وكـان منهم أحد ضباط السجن خيرى الذى خـرج ورائى وسألنى عن سـبب مجيـئى الى سجن التعـذيب ووعدنى بإعـادتى الى السجن رقم (١) على شـرط ألا يرى المدير وجهى هناك، وفـعلا عـدت الى زنزانه يوسف وأخبـرته بما جرى، وكـان شديـد الاستـياء من تعـذيب الإخوان حـتى أنه أشار الى ذلك فى قـصيـدته فرعون التى سجل فيها انطباعه عن تلك الفترة.

(٥) الخادمان

قبـضت السلطات على خادمى يوسف رجب وحـسين عبـد الجواد، وكان القـصد من القـبض عليهـما، ومن أهل يوسف خـصوصـا صغـار السن، واضحـاً وهو محـاولة إيذاء مشاعـر يوسف، ولإرهاب أهله، ومعارفه وأصـدقائه، وعمل رجب فى منظمـات الشباب

حتى قبض عليه وأودع السجن الحربى، وفى أحد الأيام حضر الضابط المحقق لسؤال رجب، وأخرج المحقق بعض المنشورات وعرضها على رجب وسأله: إن كان قد رأى مثلها فى منزل السيدة علية توفيق. فقال له رجب: نعم رأيت مثلها فنحن نطبعها فى منظمات الشباب .وثار المحقق وطلب من رجب عدم ترديد هذه المقولة مرة أخرى، ثم ضرب ضرباً مبرحاً أدى الى كسر فى ضلوعه وكاد يموت، وتحمل آلاماً شديدة وحدث له ورم بالصدر مما دعى الطبيب الى نقله فوراً الى مستشفى السجن، وما لبث أن مات بعد خروجه من السجن بوقت قصير قضاه مريضاً.

أما حسين عبد الجواد فكان رجلاً ريفياً بسيطاً أمياً وجد نفسه فجأة فى السجن ولم يكن يعرف أى شئ على الإطلاق ..فسلم أمره الى الله ، وجد نفسه فجأة بين الدكتور حلمى مراد وإحسان عبد القدوس وإسماعيل الحبروك الذى كان دائم البكاء. فكان حسين يخفف عنهم ويضحكهم ويغسل لهم ثيابهم نظير أجر بسيط أو حتى لقمة طعام. وعندما ضرب الحراس أهل يوسف فى السجن ثار حسين عبد الجواد وأخذ يردد ربنا ع الظالم، وسمع بالأمر حمزة البسيونى مدير السجن فأمر بنقله الى سجن ٤ حيث ضرب ضرباً شديداً. فكان يصرخ قائلاً وكل المعتقل يسمعه ربنا ع الظالم.. ربنا ع الظالم.

ولست أدرى كيف استقبلت السماء ذلك الصراخ المتصل من مظلوم، لكن تلك الصرخات كان لها وقع سيئ على كل من فى المعتقل رقم ٣ فقد كان حسين محبوباً من الجميع، ووجدت حارس السجن ، يضع يده على وجهه، كان يخفى دموعاً يحاول ألا تفضحه.

(٦) أصغر المعتقلين

كان وائل هو أصغر معقتل فى هذه الأسرة، كان فى الخامسة عشر من عمره، وعندما داهم الزبانية منزل والده المستشار أحمد الأزهرى، وعندماقبضوا على أخيه الأكبر يوسف احتد عليهم وصرخ فيهم، وطلب منهم إبراز أمر القبض، فما كان من الضابط إلا أن اقتاده وقبض عليه وهو الطفل، وتم اعتقاله، وقد وضع فى الحبس الانفرادى فى الزنزانة المجاورة

لى. ولقد وقع علينا ذلك الحبس الانفرادى وقعاً شديداً. خاصة فى الشهور الأولى من السجن، وحدث أن احتك به أحد الحراس، فما كان من وائل إلا أن ضرب الحارس، ولما كان اثنان من أخوته محيى ويوسف معه فى السجن وهم أكبر سناً منه، فقد حدثت معركة بين الحرس وبيننا قام فيها الحرس بضرب الجميع والتهجم عليهم فى زنزاناتهم، وكادت تحدث ثورة فى السجن مما أدى بمدير السجن الى التدخل السريع والى عقاب وائل. بنقله الى السجن رقم (٤) وحبسه انفرادياً وضربه بشدة..، لكنه كان شجاعاً على صغر سنه فما لبث أن عاد بعد انقضاء العقاب، وقد ظل الحرس يتحاشونه بعد ذلك حتى خروجنا من السجن سوياً .

(٧) اللحن الباكى - التحقيق معى

كان أبى - يرحمه الله - شديد الرقة والحساسية ، كان صيدلياً شاعراً أديباً ، لذلك فقد وقع عليه أمر اعتقالى وقعاً شديداً، ولأنه كان يعمل فى مكان قريب من وزارة الداخلية فكان دائم التردد عليها لمعرفة الأخبار، لكن وزارة الداخلية أخبرته أن الاتهامات الموجهة الى خطيرة جداً ، وأن محاكمتى أمر وارد، لكنه لم يصدق تلك الاتهامات وظل مؤمناً ببراءتى - وان كان قد أصابه الجزع والهلع، وهو يرى ولده البكر نزيل السجون ومهدداً بضياع المستقبل .وفى الصباح كان يذهب الى مستشفى الخازنداره بشبرا يرافقه المخبرون حتى باب المستشفى فإذا عاد بعد العمل رافقوه حتى البيت، وبعد الظهر كان يعمل بأجزخانة لاظوغلى أمام وزارة الداخلية يرافقه المخبرون فى الذهاب والعودة، ويصور فى مذكراته تلك الفترة التى تضاربت فيه الآراء فى وزارة الداخلية، فحقيقة الأمر أن الاتهامات الخطيرة التى لفقت لى بعد اعتقالى كانت تتعارض مع واقع الحال الذى يشير الى استحالة أن تكون صادقة ، نظراً لصغر سنى وجسامة الاتهام ، لكن التحقيق معى فى السجن الحربى والذى هاجمت فيه الاتجاه الى إدانة يوسف أو زوجته بالقيام بأى عمل ضد الثورة، ودللت على ذلك بالبراهين، ويؤكد أبى هذه الحقيقة قائلاً [١] نحن اليوم ١٥

---

(١) أيام وليال ص ١١٨ ـ د. سعيد الأزهرى

أغسطس ٥٤ الأحد، وقد أرادت زوجتى أن تذهب لتستفسر عن الجديد فى موضوع ولدها المعتقل، ذهبت الى وزارة الداخلية وسألت عن معالى الوزير زكريا محيي الدين فقيل لها سوف يحضر بعد ثلاث ساعات، ودخلت أحد مكاتب الضباط الكبار، وكانوا قد عرفوا أمرها من قبل لكثرة ترددها، أستأذنوا لها الوزير فدخلت وألقت عليه التحية فرد بأحسن منها، وقالت له أنا فلانه أم فلان، فضحك وقال أهلاً ..!!

إن ولدك قد أهمنى أمره وتمنيت أن أقابلك لأجيب على أسألتك، تقولين ما ذنبه؟ فأقول لك القصيدة !! ..قالت أى قصيدة ؟ قال هجاء رئيس الوزارة، قالت: إنه ولد صغير لا يحسن قول الشعر ولكنه يحبه، وربما هى منقوله أو مدسوسة عليه !!..، قال لقد حزن رئيس الوزراء وتألم من هجائه وأننا سوف نؤدبه بذلك الاعتقال الذى ربما طال أو قصر أمره حتى يعرف الاتحاد والنظام والعمل ، وعن قريب سوف تسميعن خيراً، شكرته وانصرفت، وفى قلبها من الهم فوق ما فى قلوب البشر جميعاً !!

وتوجهت الى مكتب مدير المباحث فقال لها :هل أنت فلانه أم فلان ..؟ قالت نعم .. قال لها. واللـه باننى كنت أود أن أشنق زوجك الذى أنجب هذا الولد اللعين لولا حسن سيرته وأدبه وما اشتهر من حبه للنظام والعمل!!، لقد كان مدواراً ثرثاراً ثائراً عند التحقيق معه، كم كنت أتمنى أن أجعله شاهداً فقط مثل غيره، ولكنه أضطرنى الى طلب الأمر باعتقاله، لقد كان سفيهاً فسب كثيراً ودل على أنه لا أدب عنده، لقد خيل إلى أنه يريد ضربى عند التحقيق معه ، وأظن أن جميع الأولاد أن يخرجوا فهو لن يخرج!! شكرته وانصرفت..! وذهبت الى مدير المخابرات فقال لها ما أغمها وضاعف حسرتها!! إذن هو مجرم وهذا بيت القصيد ..لقد أخفاه عنا زمناً طويلاً.

ولعل القارئ يدرك مدى الكذب والبهتان فى حديث هؤلاء والتضارب فى أقوالهم.. ولكنه يؤكد أن التحقيق معى أدانهم جميعاً مما أثار حفيظتهم ضدى، لكن وقع هذا الحديث كان بالغ الشدة على أبى يرحمه الله. فمدير المباحث ومدير المخابرات يقولان ذلك عنى. إذن لا أمل فى الإفراج .

وعلى كثرة ما كتب أبى من الشعر الصادق الا أن هذا الموقف بالذات قد دفعه الى كتابة

أروع قصائده وأكثرها صدقاً وحزناً وقد سماها اللحن الباكي يقول في بعض أبياتها:

كنت أدخـــرتك لليـــال السـود	أيام تـخـتـرم المنيـة عـودى
أيـام لا خـل يـعـين ولا أخ	يحـنو ولا أحـد يحس وجـودى
أيام أخطـر فى الحـيـاة فـلا ترى	منى سوى تعس بـهـا مـفـؤود
أيام يـزعـجنـى الظـلام كـأنه	بـاغ يـود بغـلـظـة تـشـريـدى
ورضـيت بالسـجـن الذى أحـيـا به	أمـلاً بأنـك قـد تـفك قـيـودى

ولقد سببت لى هذه القصيدة بعـد ذلك شجناً وحزناً هائلاً فلكم تسببت لهذا الوالد فى الألم دون أن أقصد، لكن الحـقيقة أننى لم أكن وحدى أواجه هذا الطوفـان من الطغيان بل كان هناك آلاف الشباب يواجـهون مثل مـصيرى، وأحمد الله أننى واجـهت هذا الخطب العظيم الذى صادفنى وأنا صـغير، وللحقيقـة فإن أيام السجن قد جعـلتنى بعد ذلك أعيش فى سن الأربعين وأنا لـم أتجاوز العشرين، لقد سرقت شبابى وطفولتى فلم أشعر بهما !!

(٨) امتحان التوجيهية

كان يوم السبت ١٢ يونيو ٥٤ هو اليوم الأول للأمتحان، وكان أول مره أخرج فيها من السجن، وحـضر ضابط البـوليس واثنان عساكـر بالسلاح ووضع القيـد فى يدى، وركبت بوكس الحكومة الى لجنة الأمتحان التى وصلتها متاخرا ساعه عن الموعد .كانت ماده التعبير الإنشاء (وسمح لى رئيس اللجنه بدخول الامتحان تحت الحراسه المشدده وقيد الحديد يشد يدى الى يد العـسكرى، ورأى الطلبه زمـلائى هذا المنظر، فتى نـحيل الجسـم صغيـر السن محاطا بكل هذه الضجة فلابد أن يكون خطـير الشأن، ونظر الى المراقب نظرة فاحصة ولم يحاول الاقـتراب منى، وعـندما ناديتـه ليقرأ لـى إحدى الكلمـات، أقترب منـى فى حذر، وظللت طيلة فترة الأمتحان تتنازعنى مشاعر متبـاينه ، واستغرقت فى كتابة موضوع التعبير «الأنشاء»، ولما انتهى الامـتحان عادت يدى مع القيـد الى يد العسكرى ، وسار الركـب الى باب الخـروج من اللجنة، وهناك وجدت أبى وأمى وإخـوتى فى انتظارى وسلمت عليـهم

وأنا رابط الجـــأش .وقد تأثر أبي يرحـمه الله من منظري كـثيرا ورجع الى البـيت وكتب قصيدة ، يصف فيها ذلك اللقاء قال فى بعض أبياتها:

جــاءوا بـه كي يـمـتـحـن .·. شـبح تحـف بـه المحن

الـقـيـد فـي يسـراه و .·. الجند فـوابئس الزمـن

سـجـنوه وهـو الـطفـل .·. حـتى تنطـفيء نار الـفتن

ويـزول نـور عيـونه .·.فـالسـجن يؤذى من سـجن

وقـسـوا عليـه قـسـوة .·. كم قـبله شـخص غبن

(٩)بذور الإرهاب

تصـور رجال عـبد الناصـر أنهم يقـدمون له خـدمة جليلة عـندما اندفـعوا فى تعـذيب الإخوان المسلمين بهـذا الشكل البشع، والذى ابتعد عن كل أسلوب حـضارى أو إنسانى، وأستطيع أن أقـرر مطمئناً أن تلك الأيام من عـام ٥٤ وما تلاها من تصـفية أخـرى عام ٦٥ للإخوان المسلـمين كانت هى البذور التى خلقـت الإرهاب الذى نعانى منه الآن.. ذلك أن الحاكم ضرب مثلاً سيئاً عندما اعتمد التعذيب والعنف طريقاً للتعامل مع القوى السياسية. فأخذت التنظيمات الإسلامية التى تفرعت من جـماعة الإخوان المسلمين فيما بعد بالعنف طريقاً للتعامل مع الحـاكم والمجتمع.. تمنيت من الباحثين، من علماء الاجـتماع دراسة هذا الأمر، وإيجـاد الصلة بين حملات القمع فـى السجون وبين ظهور مـوجات الإرهاب التى نعانى منها الآن .وقد علمت أنهم بحثوها ووصلوا الى تأكـيد النتيجة. وإننى أقرر هنا أن تلك الفترة التى تولى فيها عبد الناصر مقـاليد الحكم بعد طرد محمد نجيب كانت بداية غير موفـقة مكنت دولة المخابرات من أن تلفق الكثير من القضايـا للمعارضين الشـرفاء، ولم يقتصر الأمر على المعارضين بعد ذلك بل امتد الى تصفية الحسابات الخاصة فى الجيش من ناحية أو فى مكتب المشير من ناحية أخرى.

وكان من أسوأ الأمـور ما شاهدته بنفسى من تعـذيب الضباط المعتـقلين وضربهم فليس من اللائق أن يضـرب العسـاكر وضبـاط الصف، ضبـاط الجيش المصـرى، ولن أنسى منظر

أبوزيد سكرتير مكتب المشير وهو يعـذب بحضور شمس بدران !!ولقد أشـار يوسف فى قصيدته فـرعون الى هذا التعـذيب مستنكراً هذا السلوك بشكل واضح وصريـح، لقدكان الرجل شاهداً على تلك الأحداث، وسأكتفى هنا بأن أورد للقارئ بعض هذه المشاهد المؤلمة التى شاهدتها بنفسى فى السجن الحربى، والتى أثرت كثيراً فى نظرتى للأمور بعد ذلك.

(١٠)أغنيه أم كلثوم

الأصل أن يستعـمل الغناء فى الطرب وإراحه الأعصاب والبهـجة، لكن رجال النظام، وقد شوهوا قيما كثيرة، لم يتركوا الفن فاستعملوه فى التعذيب !!كانت هناك أغنية تشدو بها أم كلثوم.. تقول فيهـا ياجمال يا مثال الوطنية.. أجمل أعيادنـا القومية.... ردوا عليـه. وبعد مـحاولة اغـتيال عـبد الناصر والقـبض على الإخوان المسلمـين تغيـرت كلمات هذه الأغنيـة وغنتهـا أم كلثوم مـرة أخرى كـما يلـى ياجمـال يامثـال الوطنية.. أجـمل أعيـادنا المصرية.. بنجاتك يوم المنشية.. ردوا عليه.

وجاءت هذه الأغنيـة نكبة على الإخوان المسلمـين. ففى طابور الصباح كـان يتم جمع المسجـونين من الإخوان المسلـمين بملابس السـجن الزرقاء فيـقفـون فى تشكيل طابور من فصائل تملأ حـوش السجن رقم (٤) ويقف المرشد العام حسن الهضيـبى ومعه كبار رجال الإخوان المسلمـين وهـم بملابس السجن أمام تلك الفـصائل.. للقيـام بدور المايستـرو أمام ذلك الجـمع من المسـاجين. ويدار شـريط التـسجـيل ليـذيع شـريط أم كلثـوم حيث يقـوم المسـاجين بتـرديد النشيـد فى صوت عـال يشبـه صوت الكورس!! ولاول مـره يستـخدم صوت ام كلثوم فى تعذيب الناس واذلالهم!!

ويقف حـمزة البـسيـونى ومعـه ضباط السـجن وربما بعض الزوار أمثـال شمس بدران لحضور هذا الطابور العـجيب وسماع النشيـد تردده جماعة الاخوان المسـلمين تحت تهديد السياط!! ولن أنـسى منظر القائد حمزة البـسيونى، وقد أمـسك بيده كلبـاً من نوع الولف ووقف منتفخ الأوداج بوجـهه الشديـد الاحمرار يقود الـطابور وقد شعـر بالزهو. وكانت جماعة المنشدين هم من بعض خيرة رجال مـصرمن أساتذة الجامعات والأطباء والمهندسين

وطلبة الجامعات وآخرين من أفراد الشعب.

كان هذا النوع من الإذلال النفسى والقهر وصمة عار - وكان من نتيجته كما قلنا هو تقويض الإنسان المصرى من الداخل.. مما أفرغ الثورة بعد ذلك من كثير من مضامينها. لأن تقويض الإنسان من الداخل كان له الأثر الكبير بعد ذلك فى نكسة سنة ٦٧ بعد التصفيات الكثيرة التى تعرض لها الجيش، والتى أدت الى خروج كل وطنى شجاع من صفوف الجيش بدعوى مقاومة النظام.

بقى فى الجيش أمثال حمزة البسيونى (ويقول خالد محيى الدين[١] فى وصفه لتلك الحالة: عندما جاءت أحداث مارس ٥٤ خاضها عبد الناصر بكل ثقله، واستطاع تسيير المظاهرات التى تهتف بسقوط الديمقراطية، وانتصر عبد الناصر فى مارس، ولكنه لم يدرك أن كسب جولة كهذه شيئ وكسب المسار التاريخى شيئ آخر - وفى اعتقادى أن هزيمة سنة ٦٧ لم تكن هزيمة عسكرية. بل هى فى الجوهر هزيمة سياسية لنظام فشلت آلياته فى اكتشاف ما إذا كانت البلاد جاهزة للحرب أم لا ، وبعد الهزيمة كانت هناك فرصة تاريخية لتحقيق الديمقراطية ..لكن هذه الفرصة ضاعت، لأن الديمقراطية تتطلب من الحاكم أن يقدم تنازلات للشعب، ولم يكن عبد الناصر مستعداً حتى رغم الهزيمة.. أن يقدم أية تنازلات. انتهى كلامه

(١١) حوادث التعذيب

والحادثة التى لن أنساها كانت عند تعذيب يوسف طلعت. فقد كان الرجل يضرب بالسياط حتى يفقد الوعى.. وقد شاهدت بنفسى لحم الرجل يتطاير من شدة الضرب - وقد جلس وكيل النيابة فى المكاتب بالقرب من مكان التعذيب للتحقيق مع الرجل..كانت الرحمة قد نزعت من القلوب، وتحول الزبانية الى وحوش آدمية لا يعرفون الله - ولقد تعرض لمثل هذا التعذيب عبد القادر عودة، (فتحى البوز) الذى سمعته بنفسى يقول للجلاد عندما اشتد عليه الضرب: علشان خاطر ربنا - فيرد عليه الجلاد: خللى ربنا ينزل يخلصك.

---

(١) الآن أتكلم ـ خالد محيى الدين ص٢١٤

لكن المهزلة الكبرى جاءت فى محكمة الشعب التى رأسها جمال سالم والتى حكمت بالإعدام على عدد من قادة الإخوان المسلمين ونفذ فيهم الحكم.

ولسوف يقف التاريخ طويلاً أمام تلك المحكمة الظالمة، فكيف قبل الأحرار على أنفسهم مثل ذلك الجرم الفادح بأن يكونوا خصماً وحكماً على الشعب ، تلك المحاكمة برئيسها غريب الأطوار يشاركه السادات، والشافعى.

وافق عليها مجلس قيادة الثورة مجتمعاً بعد رحيل يوسف وخالد وتحمل مسئوليتها أمام التاريخ الذى لن يرحم فى حكمه.. وقد يدور بذهن القارئ سؤال عن الضرورة التى أدت الى إعدام هذا النفر من قادة الإخوان المسلمين سنة ٥٤ بناء على حكم محكمة الشعب، وكشاهد عيان على تلك الفترة أقرر، أن كم التعذيب الذى لقيه هذا النفر من قادة الإخوان هدد حياتهم بخطر داهم، بل وجعلهم أقرب الى الموت منهم الى الحياه، وتروى ابنة يوسف صديق السيدة سهيرعن تلك الفترة قائله:

كانت الفوضى متمثله فى اعتقال الإخوان المسلمين الى الحد الذى كانت إداره السجن توزع على المعتقلين أوراقا لتسجيل أسمائهم وتاريخ حضورهم، وقد أمضى والدى سنه وشهر فى السجن الحربى، وفى هذه الفتره عاصر التعذيب الشديد الذى وقع على قيادات الإخوان المسلمين وأعضاء جماعتهم، وكنت أزوره كل أسبوع فكان يقص علينا ما يحدث من أبشع أنواع التعذيب والتنكيل ما فاق كل تصور ومالا يتصوره عقل ، وفى أحدى هذه الزيارات لوالدى بالسجن الحربى بعد أن أعترف أعضاء الجهاز السرى بأسماء زملائهم، وبالتنظيم كاملا، وتم القبض على جميع الأعضاء، وكان الناس يلومون قيادة الأخوان لهذا الاعتراف، قال أبى إنه رأى بنفسه العذاب الشديد الذى وقع على هؤلاء القاده من الجلد الذى كان يتطاير فيه لحمهم، الى إطلاق الكلاب التى تنهشهم الى سحلهم بالخيل، ولم ينطقوا بحرف واحد ولم يعترفوا الى أن جاءوا بزوجة - هنداوى دوير - وكان شابا صغيرا ، وكانت زوجته ببلدتها لتضع مولودها، فأتوا بها الى السجن الحربى وخلعوا عنها ملابسها أمامه ووضعوها على العروسه، وقالوا له أنهم سيفعلون معها ما فعلوه به، فطلب منهم أن يرجعوها الى بلدتها، وقام بالاعتراف الكامل على النحو المعروف بعد ذلك، وفى

آخر كل زياره لأبى فى السجن الحربى كان يعطينا كيسا كبيرا به عدد من الخطابات التى كتبها المعتقلون الى ذويهم لكى أرسلها عن طريق البريد حتى يعرفوا مكان الاعتقال، وطبعا هذا يوضح الناحية الأنسانية التى يقوم بها والدى من خدمه لهؤلاء المعتقلين رغم اختلاف رأيه ومبادئه مع هذه الجماعة، ولأنه كان الوحيد الذى كان معه جهاز راديو فى السجن، فقد كان يسمع الأخبار ويقوم بتحرير جريده من صفحة واحدة وينسخ منها أربع نسخ على يده ويوزعها على السجون الأربعة زبهذه الجريدة موجز لأهم الأنباء ، وكان أهمها فى ذلك الوقت الأحكام التى كانت تصدر من المحاكم العسكريه بإعدام عدد كبير من الإخوان والتى كانت تخفف الى الأشغال الشاقة المؤبدة، وكان يسمع تهليلهم فرحين صارخين عندما تصلهم الجريده بأخبار الأشغال الشاقه المؤبدة، ويعلق ضاحكا - ولاد الكلب فرحانين بالتابيده - !!

وقد عبر والدى عن هذه المرحلة الرهيبة بالسجن الحربى بثلاث قصائد. الأولى فرعون هاجم فيها عبد الناصر ووصفه بفرعون، وبأنه دعى لبس المسوح وضلل الشعب وقتل الشباب، وخان العهود وهذه القصيده هى أعنف ما كتبه فى السجن، وفيها أعلن غضبه على الديكتاتورية، والثانيه المجد الزائل يسخر فيها من عبد الناصر لاعتقاله النساء، ويتوقع له زوال المجد الذى بناه على أشلاء المظلومين، والقصيده الثالثه استقبال الصديق حيث أنجبت ولدى يوم ٤ يناير ١٩٥٥، وكان والدى معتقل بالسجن الحربى، وكان زوجى فى سجن القناطر ينتظر محاكمته عسكريا لدى محكمه الدجوى الشهيرة، فرأيت أن أسمى ابنى - يوسف صديق - حيث إن تاريخ ميلاد والدى ٣ يناير ١٩١٠، وأخذت وليدى الى سجن القناطر ليراه والده ثم أخذته الى السجن الحربى ليراه جده، فكانت هذه القصيدة التى تصور الى أى مدى كانت حالته النفسية فيقول:

أقبلت تسعى من الظلماء للنور .'. فأسلمتك دياجير لديجور

أشرق بنورك فالأيام حالكة .'. من هول ما اقترفت فينا من الجور

(١٢) اتفاقيه الجلاء

على الرغم من الخلاف الذى كان قـائماً بينه وبين مجلس قيادة الثورة، وخـاصة جمال عبد الناصـر إلا أنه أيد اتفاق الجلاء وهو فى سجنه معتبراً أن جلاء الإنجليـز عن مصر هو عملُ طيب يستحق التأييد بغض النظر عن موقفه من عبد الناصر.. وعلى ذلك فإن تأييد يوسف لاتفاقية الجلاء كان ينبع من اقتناعه بالمبادئ، ولم يكن يجامل أحدا.

(١٣) قصائده فى السجن

قابل اضطهاد عبد الناصر له وتنكيله بأهله وبزوجته برد عنيف يتناسب مع شخصيته، فكتب فى السجن قصيدتين هاجم فيهما جمال عبد الناصر وتصرفاته بعنف شديد، وسوف نورد تفصيلاً لهاتين القصيدتين، وهما المجد الزائل. أما القصيدة الثانية فرعون فيهاجم فيها يوسف السلوك الديكتاتورى، وسنورد شرحاً تفصيلياً لهذه القصيدة الخطيرة والجريئة فى باب الشعر كما ننشر أبياتها كاملة.. نظراً لأنها تدل بشكل واضح على جانب هام من جوانب شخصيته التى نحب أن نبينها للقارئ..

وظل مرفوع الرأس داخل السجن وكان جريئاً كعادته واثقاً من حقه كل الثقة، وفى الحقيقة أنه لم يكن يعامل كسجين بالدرجة الأولى، وقد كان قائد السجن وغيره من الضباط يعرفون قدره ومنزلته.. ويعرفون دوره فى الثورة - كما أنه كان أستاذاً بالكلية الحربية لنفر منهم.. لذلك فإننى كشاهد أمام التاريخ أقرأنه كان يتصرف فى سجنه تصرف البطل.

كانوا لا يغلقون عليه باب زنزانته إلا إذا طلب هو ذلك، وكان يخرج متى أراد الى حوش السجن فيتمشى تحت الأشجارأو يجلس ليشرب فنجاناً من القهوة. كما كان أحياناً يلعب الشطرنج مع أحد الضباط فى فترة السهرة، فلما قبض على الإخوان المسلمين ساءته المعاملة البشعة لهم وحاول جاهداً أن يساعدهم.

(١٤) المنقذ الصغير

كنا في وقت محاكمة الإخوان المسلمين، قد تركنا السجن رقم (٣) ووضعونا في المستشفى والسجن رقم(٢) تمهيداً لتصفيتنا وإخلاء السجن الحربى كله للإخوان المسلمين وكان من نصيبى أن أودعت السجن رقم (٢) كل ثلاثة في زنزانة، وكان معنا في ذلك السجن على ما أذكر محمود عبد اللطيف المتهم الأول الذى أطلق النار على جمال عبد الناصر. كما كان فى زنزانة مجاورة الدكتور خميس حميدة وكيل جماعة الإخوان المسلمين. وكنا أسعد حالاً من الإخوان، وقد أمضينا حوالى سبعة شهور فى السجن تقريباً فكان مسموحاً لنا بقراءة الجرائد. كما أن السجن الإنفرادى كان قد انتهى بالنسبة لنا فكنا نخرج من السجن رقم (٢) الى الحوش بجوار سورالسجن حيث كانت عمليات التعذيب تجرى ليل نهار، وكانت المحاكمة قد بدأت ..

وعلاقة الدكتور خميس بوالدى علاقة قديمة ترجع الى أيام عمل أبى فى المنصورة سنة ٤٢ فقد كانا صديقين وزميلين فى المهنة .وعندما تم اعتقالى ذهب أبى الى الدكتور خميس حيث كانت علاقة الإخوان المسلمين طيبة بجمال عبد الناصر، وطلب منه التوسط للإفراج عنى باعتبارى كنت صغير السن ولا دخل لى بالسياسة.. ولم يعط الدكتور خميس لأبى كلمة، أو وعداً فتأثر أبى من موقفه، وأخبرنى فى إحدى الزيارات بأمر تلك الوساطة.

ودارت الأيام واعتقل الدكتور خميس حميدة وجاء الى السجن الحربى وأصبح مهدداً بالإعدام - وأودع سجن(٢) معنا تمهيداً لمحاكمته.. ودفعتنى النخوة الى مساعدته حتى أثبت لأبى أن الله وحده هو القادر.. وأن أبرهن له أننى الطفل الضعيف قد أكون قادراً على مساعدة الرجل بغض النظر عن موقفه..

وطلبت من الشاويش المشرف على سجن (٢) أن أرى الدكتور خميس لمدة دقائق لقرابتى له، ولأنه رجل كبير فى السن.. واستجاب الشاويش الطيب لرغبتى.. ففتح لى باب زنزانة الرجل الذى فوجئ بدخولى عليه وهو لا يعرفنى.. وتوجس شراً وقام مفزوعاً

وأرتدي نظارته الطبية، وقد تولاه الإرتباك والخوف فبادرته قائلاً: أنا توفيق ابن الدكتور سعيد الأزهرى - وأنا معك فى نفس السجن جئت أعرض عليك أى خدمة - وطلب الرجل منى أن أخبره عن سير المحاكمة، وبالأخص عما يقول الشهود عنه أثناء المحاكمة .. وفعلاً كنت أقرأ الجرائد وأخبره بما يقال عنه فى المحكمة مما مكنه من الرد على أسئلة رئيس المحكمة جمال سالم مستفيداً من المعلومات التى نقلتها اليه عن شهادات الشهود.

ولعل القارئ يعرف بعد ذلك أن جميع قادة الاخوان قد حكم عليهم بالاعدام ما عدا الدكتور خميس حميدة فحكم عليه بالمؤبد، وأفلت من حبل المشنقة، كما خفض الحكم على المرشد العام حسن الهضيبى لكبر سنه من الإعدام الى السجن المؤبد. أما باقى المجموعة فقد تم اعدامهم شنقاً..

وعندما حضر أبى لزيارتى بعد ذلك فى المرة الأخيرة قبل الإفراج همست له بالقصة ورأيت دموعاً فى عينيه.. ومازلت أذكر ذلك الشاويش بالخير على موقفه النبيل..

(١٥) هموم الكمبيوتر

ظل تاثير تلك الفتره ملاحقا لى الى اليوم، ولقد أمضيت أكثر من عشرين عاماً من حياتى مسافراً خارج مصر، وكنت لا أجد أية مصاعب عند عودتى مع أسرتى فى الأجازات، وفى إحدى مرات عودتى كانت إدارة جوازات المطار قد بدأت فى استخدام أجهزة الكمبيوتر ، وقفت أمام ضابط الجوازات أقدم جوازات أسرتى ، وأدخل الضابط بيانات جواز سفرى الى جهاز الكمبيوتر ونظر الىّ فى فزع ، ولمحت شاشة الجهاز فإذا مكتوب عليها مطلوب فوراً، وأمسك الضابط بجواز سفرى وطلب منى أن أنتظر على جانب، وتولانى العجب فأنا أسافر منذ مدة طويلة ، وبعد فترة أعاد لى الضابط جواز سفرى ، ثم تكررت المسألة عند عودتى فى أجازتى التالية. وذهبت الى المحامى الذى أبلغنى بأن لى ملفاً فى مباحث أمن الدولة منذ أيام اعتقالى سنة ٥٤ وأن أستخدام الكمبيوتر قد أظهر اسمى المدرج فى القوائم ، وقررت رفع دعوى تعويض عن فترة اعتقالى دون سبب أو إدانة فى رغبة منى لتعرية سنوات من الزيف وعصر سجن فيه

الأحرار دون سند قانوني [1].. عندما كنت صغير السن لا يتجاوز عمرى ستة عشر عاماً لكن الزيف الذى أحاط بتلك الفترة وصل الى هذا القدر من الكذب والتلفيق. لهذا أردت من نشر هذا الكلام إدانة السلوك ضد حقوق الإنسان، وحكمت المحكمة لصالحى ضد قوى الزيف، على أن المفاجاة الكبرى فى هذا الموضوع كانت أثناء نظر الدعوى التى استمرت أربع سنوات فقد طلب القاضى من محامى الحكومة تقديم قرار اعتقالى، لكن المحامى تعلل بعدم استطاعته الحصول على هذا القرار، وظلت الدعوى تؤجل سنة بعد أخرى الى أن تمكن المحامى الخاص بى [2] من الحصول على قرار الاعتقال وقرار الاتهام..

ولعل القارئ لا يتصور مدى دهشتى عندما قرأت عن التهم التى كانت موجهة لى والتى أعتقلت بسببها. فقد كانت الانضمام الى التظيم السرى لجماعة الإخوان المسلمين وحضور اجتماعاته، وتسديد الاشتراك، وتوزيع المنشورات التى تحض على قلب نظام الحكم.

فإذا علم القارئ أننى كنت دون السابعة عشر من عمرى، وقد اعتقلت لقرابتى ليوسف صديق، وهو متهم بالفكر والميول الشيوعية، فكيف أكون عضواً فى التنظيم السرى لجماعة الإخوان المسلمين..؟! ويستطيع القارئ أن يلمس هذا القدر الهائل من الزيف الذى واجهته تلك الأسرة ، لكن جواز سفرى ما يزال كلما مر على كمبيوتر الحكومة يتوقف!!

(١٦) رفض الإفراج

لم أنقطع عن زياره يوسف صديق فى السجن الحربى، وكانت أول زياره له بعد خروجى بأقل من أسبوع ، وفى آخر زياراتى له فى إبريل ٥٥، كان جالسا فى الميس مع رشاد مهنا ، ودخلت عليه فقبلته وقدمت له أتوجرافا ليكتب لى كلمه فى أول صفحاته، على أن يكتب أبى فى الصفحه الثانية.

فكتب لى كلمه قال فيها: عسى أن تكون أيام السجن ، التى صادفتك فى فجر شبابك،

(١) عريضة الدعوى ونص الحكم لصالحى نشر مع الوثائق

(٢) الأستاذ توفيق محمد توفيق المحامي

قد علمتك قيمة الحرية، ومازلت أحتفظ بهذا الأتوجراف الى اليوم، وسوف أنشر صورة من تلك الكلمه فى باب الوثائق.

وفى إحدى زياراتى له قبيل توقيع اتفاقيه الجلاء - اكتوبر ٥٤ علمت منه أن عبد الناصر أرسل أحد تلاميذ يوسف الى السجن للتفاوض حول الإفراج عنه، لكن يوسف رفض الإفراج عنه مادامت زوجته فى السجن، واشترط خروجها أولا، قائلا: إنه دخل الى السجن وهى فى البيت، وعندما يخرج يحب أن يراها فى البيت كما تركها!!

لكن عبد الناصر لم يكن موافقا على الإفراج عنها قبله، وكان يرى أن يخرج هو أولا ثم تخرج هى بعده!! وهكذا تعثرت مساعى الإفراج عنه شهورا طويلة من أكتوبر ٥٤ حتى مايو ٥٥، حيث أفرج عنه أولا، وحددت اقامته فى منزل زوجته بحلمية الزيتون، ثم أفرج عن زوجته السيده عليه بعده بشهر، وحددت إقامتهما معا فى بيت زوجته بحلمية الزيتون !!

الباب الثامن

شخصية يوسف صديق

نعرض فى هذا الفصل من الحديث لشخصية يوسف صديق، فنتحدث عن صفاته الشخصية ، ثم نعرض لبعض مواقفه بعد خروجه من السجن، وخاصة فى العدوان الثلاثى ٥٦، وفى نكبة ٦٧، وفى موت جمال وتولى السادات السلطة، ثم نعرض لمواقفه من رؤساء مصر الثلاث، جمال ونجيب والسادات ومواقفهم معه، ثم نعرض لأفكاره ومبادئه، وخاصة فيما يتعلق بالاشتراكية والإسلام، وقد استندنا فى بعض ما أوردناه الى شريط مسجل بصوت اللواء (حسن أحمد دسوقى) صديق عمره، وكذلك الى روايات شفهية للأستاذ محمود توفيق الذى كان من أقرب الناس اليه، علاوة على ما حضرته بنفسى معه.

وإذا كانت شخصية كل إنسان تتكون من عدة مكونات، فهى تتكون من صفاته الشكلية، ومكوناته الأخلاقية والمعنوية، كما تتكون من آرائه ومواقفه، ثم من علاقاته بالآخرين، وشخصية يوسف صديق ، تلك الشخصية الشديدة الثراء والخصوبة ، لايمكن فهمها والإحاطة بها، إلا إذا تعرضنا الى مكوناتها الأساسية، كل على حده وذلك فى الحديث القادم .

(١) صفات يوسف صديق

كل من رأى يوسف صديق لأول مرة كان يؤخذ أولا بمنظره قبل أن يتأثر بشخصيته الرائعة، فقد كان يوسف رجلا طويل القامة، عريض المنكبين، له جسم رياضى متناسق وممشوق، وكان برونزى اللون ذا سمرة عميقة ولكنها محببة ترتاح اليها العيون، وكانت فى ملامحه وتقاطيعه وسامة وجاذبية، ونوع من الجمال الرجولى اللافت للنظر، كانت له عينان سوداوان واسعتان، وأهداب طويلة ، وحاجبان مقرونان، وجبهة عريضة، وشعر ناعم فاحم السواد، وكان ذلك كله، بالإضافة الى إشعاع صفاته الداخلية يجعل له حضورا طاغيا وشخصية آسرة ، يشعر بها كل من عرفة وخاصة عند اللقاء الأول معه. كتب عنه الأستاذ محمد حسنين هيكل فى الأيام الأولى للثورة عندما رآه لأول مرة فى آخر ساعة ٢٧ / ٨ / ١٩٥٢ قائلا:

(العملاق الأسمر ذو العينين الحمراوين - عملاق طويل عريض لفحته الشمس فى

معسكرات الجيش فجعلته أشبه مايكون بتمثال من البرونز لفارس محارب مدرع من القرون الوسطى، دبت فيه الحياة بمعجزة، فخرج الى عالم المغامرات، هناك لازمتان تميزانه دائما، شعر منكوش، وعينان حمروان من قلة النوم، لكثرة مايبذل من الجهد، وفى اليوم الذى خلع فيه الملك عن العرش، لقيته جالسا فى إحدى الشرفات فى مركز رئاسة الجيش، وكان قد حلق ذقنه وخلع عنه البدلة التى ظلت على جسده خمسة أيام متواصلة، ليل نهار، وكان يحتسى فنجانا من القهوة وفى عينيه صفاء غريب، أشبه مايكون بأحلام الشعراء، وهو الذى كان ليلة الحركة، إعصارا هائجا لايبقى ولايذر)

ويروى الأستاذ محمود توفيق أن المخرج يوسف شاهين كان هو والمرحوم عبد الرحمن الشرقاوى فى زيارته بمنزله عندما حضر يوسف صديق ، ورآه يوسف شاهين لأول مرة ، وكان فى ذلك الوقت على وشك البدء فى تصوير فيلم الأرض، وما إن رأى يوسف صديق حتى أخذ يطيل النظر اليه، ثم قال لمحمود توفيق وعبد الرحمن الشرقاوى، على مسمع من يوسف: هذا هو الشخص الذى أبحث عنه للقيام بتمثيل شخصية محمد أبوسويلم بطل الفيلم، والذى تتجسد فيه كل ملامح تلك الشخصية الفذة ، ويقول محمود توفيق: ضحك يوسف صديق وضحكنا أنا والشرقاوى، واعتبرنا ما قاله يوسف شاهين هو احدى شطحاته الفنية المأثورة عنه ، ولكن يوسف شاهين أصر على رأيه بجدية شديدة، ولم يسكت عن الكلام فيه إلا بعد أن أقنعناه جميعا بأن ذلك يستدعى أولا موافقة الدولة، وموافقة جمال عبد الناصر بصفة خاصة، وهو أمر مستحيل. عند ذلك سكت يوسف شاهين على مضض ولم يعاود تكرار طلبه، ثم أسند الدور بعد ذلك الى المرحوم محمود المليجى .

تلك كانت سماته وملامحه الشكلية، وكان يوسف أذا تكلم رخيم الصوت، فصيح اللسان، عذب الحديث، قوى الحجة والمنطق، يكشف حديثه عن ذكاء، وسعة أفق، ولاغرابة فى ذلك. فقد كان يوسف شاعرا بليغا، وخطيبا مفوها، ومثقفا واسع الاطلاع لا فى النواحى النواحى العسكرية فقط. بل وفى النواحى السياسية والأدبيه والتاريخية أيضا.

أما عن أخلاق يوسف وصفاته فلعل فيما جاء بمذكراته، وفى مواقفه العملية التى

سجلهـا التاريخ له سـواء فى ليلة الثورة أو فى دوره ومواقـفه فى مـجلس قيادة الثـورة، ما يكشف عن الكثير منها .

يجمع كل من عرف يوسف على أنه كان يتسم بقدر لامثيل له من الشجاعة والإقدام ، كان رجـلا لايعرف الخوف أو التردد الطريق الى قلـبه، فأذا اعتـزم أمرا مضى اليه كـالسهم الخاطف فأصـاب الهدف فى أقرب وقت ، ومن أقصـر طريق. وهذه الشجاعـة الخارقة هى التى جعلته يحتل بقواته أقصى مكان وصلت اليه القوات المصرية فى فلسطين، وهو منطقة أسدود ، على مـقربة من تل أبيب، ويصـمد فيـها محـاطا بالمستعـمرات اليهـودية الى آخر وقت، حتى صدرت الأوامـر للقوات المصرية بالانسحاب، وهذه الشـجاعة الخارقة نفـسها هى التى حملتـه فى ليلة ٢٣ يوليو ٥٢ الى تحقيق عـمله الذى يعتبـر معجزة من مـعجزات الشجاعة والفدائية والإرادة الإنسانيـة. ويصف يوسف صديق نفسه عندما تحدث عن دوره ليلة الثورة فى قصيدته (من الجنه) قائلا:

وكنت فى يده كالسهم أطلقنى .·. أدك صرحهـمو ا فيها فلم أطل

على أن شجاعة يوسف لم تقتصر على تلك الشـجاعة المادية التى ينبغى أن يتحلى بها المحارب أو الثائر، ولكنهـا كانت شجاعة عامـة وشاملة، فهى تعنى أيضا الشجـاعة الأدبية التى تجعل من الإنسان صاحب رأى ومـبدأ يعبر عنه بصراحة ووضوح ولايخشى فيه لومة لائم، ويتمسك به طالما ظل مقتنعا به، شـاء من شاء، وأبى من أبى، ويتحمل فى سبيل ذلك طواعية شتى صنوف المكاره والتـضحيات . وتشهد سيـرة يوسف فى الجيش قبل الثورة له بتلك الشجاعة، أما مواقفه فى مجلس قـيادة الثورة دفاعا عن حقوق الشعب وحرياته، وما تحمـله فى سبـيلها لهـو أعظم شاهد على تحليـه بأقصى درجـات الشجـاعة الأدبيـة. وهذه الألوان من الشجـاعة المادية والأدبية لايمـكن أن تنبع الا من فضائل الصـدق والإخلاص، والإيمان العميق بالمثل العليا للحق والخيـر والعدالة والجمال - أى من الأيمان العميق بالله فى النهاية، ألا للـه المثل الأعلى، وتلك كلها كانت من الفـضائل التى كـان يوسف يتحلى بها، والتى كان يلمـسها فيه كل عـارفيه والمحيطين به، ويعرف هؤلاء أيضـا عنه الكثير من الخلال الأخرى التى تتفق مه ماذكرنا عنه، يعرفون عنه الشهامة والكرم وسخاء اليد، وحب

الخيـر، والوفاء للرفـاق والأصدقـاء، وتلك كلها صـفات وسجـايا يمكن أن نجملـها تحت عنوان واحد هو أن أخلاق يوسف صديق كانت هى أخلاق الفرسان .

ولا يمكننا أن ننهى هذا الحديث عن صـفات يوسف وأخلاقه قبل أن نشيـر الى صفة تكشف عن عظمة حـقيقـية، مصدرها الثـقة بالنفس، والبعـد عن التكلف والرياء، وهو ماكان يخلع على شـخصيته جاذبيـة آسرة ، ويجعله موضع الحب والإعجـاب والثقة من كل من يعرفه أو يتـعامل معه، وفى مقـدمة هؤلاء رفاقه فى السـلاح، من الضباط والجنود مما كان يمـثل له أعظم العون فى التفـافهم حوله، وقد شـهدنا نماذج من ذلك فى علاقـته بضباطه وجنوده فى حرب فلسطين، كما رأينا ذلك فى أجـلى صوره، فى علاقته بضباطه وجنوده وعـلاقتـه بهم فى ليلة الثورة. وقـد أوردنا فى فصـول سابقـه بعض ماذكـره عنه صديـقه المقـرب اللواء حسن دسـوقى. خاصـة عندما تحـدثنا عن فتـرة خدمـته بالجـيش ٣٣-١٩٥٣.

(٢) مواقف يوسف صديق

لعل فـيمـا قدمناه عن نشـأة يوسف ، وعن مـواقفـه فى الجيش ودوره فى الثـورة، وهو ماروواه بصـورة مفـصلة فى مذكـراته، ثم ماروينـاه بعد ذلك عن مـوقفه مـن مجلس قـيادة الثورة، وفى هبة مارس ٥٤، ودفاعه المستميت عن الديمقراطية، وحقوق الشعب وحرياته، وما لاقاه فى سـبيل ذلك من الجحود والظلم، وما تحـمله من تضحيات تمثلت فى استـقالته من مجلس الثـورة، وهو بطلها دون منازع ، ومن الجـيش، وهو الضابط الكفء الشـجاع، والذى لم يكن له مورد للحـياة هو وأسرته الكبـيرة ، سوى مـرتبه من الجيش، ثم مـا تحمله بثـبات من ألوان العـنت والاضطهاد الذى تمثـل فى نفيـه وتشـريده ، والزج به فى أعمـاق السجن الحربى، والتنكيـل بزوجته وكل المقربين اليه من الأقـارب والأصدقاء، لعل فى كل ذلك ما يلقى الضـوء على شخصيـة الرجل وعلى مبادئه وأخـلاقه . ويصف الدكتور عـبد العظيـم رمـضـان مــوقف يوسف صـديـق فى مـقــال له بجـريدة الوفــد فى ١٠ / ٣ / ١٩٩٧ قائلا: (فلقد تخلصت الثورة أول ما تخلصت من القـائمقام يوسف صديق صاحب

الفضل الأول فى الأستيلاء على قيادة الجيش، وبدونه كادت حركة الجيش تسحق سحقا، ومن أجل هذا الدور ضم الى الضباط التسعة الذين يكونون قيادة التنظيم، وكان القائمقام يوسف صديق اشتراكيا عظيما، استمر وفيا لمبادئه، بعد ضمه لمجلس قيادة الثورة، وكان فى الوقت نفسه نصيرا للحرية) .

غير أن كل ذلك لايكفى لأعطاء صورة متكاملة عن تلك الشخصية، إذ إن العديد من جوانبها المضيئة الأخرى لاتتضح إلا إذا تتبعناه فى مواقفه بعد ذلك، أى منذ خروجه من السجن الحربى بعد أن قضى فيه ثلاثة عشر شهرا، شهد فيها أحلك الأيام التى مرت على مصر . أفرج عن يوسف من السجن الحربى فى مايو ٥٥، حيث حددت إقامته فى منزله، أو بالأحرى ، فى منزل زوجته الأولى فى حلمية الزيتون، ومالبثت زوجته الثانيه السيده (عليه توفيق) أن أفرج عنها، وحددت إقامتها معه فى نفس المنزل !! تروى ابنته (سهير) عن تلك الفتره فتقول:

(أفرج عن والدى من السجن الحربى فى مايو ٥٥ حيث تقرر تحديد إقامته فى منزلنا بحلميه الزيتون الى أن افرج عن زوجته السيده عليه توفيق فانتقل للعيش معها ومع أولادهما حسين ونعمت فى (عزبه النخل) مع استمرار تحديد الإقامه).

وتروى زوجته السيدة (علية توفيق) عن نفس الموقف فتقول: (وحددت إقامتنا فى منزل زوجته الأولى، ولما كان هذا الوضع غير ملائم. فالمنزل كان ملكا للزوجة وليس له، فقد أخذ ملابسه وأخذنا أطفالنا فى نفس اليوم وذهبنا نبحث بمساعدة قوة تحديد الإقامة عن سكن !! وجدنا شقة بضاحية الزيتون فى شارع دارالسعادة فى الدورالثانى مكونة من ثلاث حجرات وصالة، وأخذنا ملابسنا البسيطة جداً وذهبنا إلى الشقة، وأرسل لنا بعض أقاربنا مراتب وبعض الأغطية، وأرسلت أختى بعض اللوازم الضرورية والأوانى، وبدأنا الحياة) .

استبدل يوسف السكن بعد ذلك بشهور، وانتقل إلى سكن آخر فى (عزبة النخل) حيث تحددت إقامته وكذلك زوجته، فيه واستقر به المقام، فى ذلك المنزل الذى شهد فصلا جديدا فى حياة يوسف صديق، وفى علاقته بالثورة، وبجمال عبد الناصر بصفة خاصة، مما

يكشف العديد من جوانب تلك الشخصية الخصبة، وعن قدراتها اللامتناهيه على التسامى وإنكار الذات، فقد شهد عام ١٩٥٥ بدايات التحول الكبير فى مواقف عبد الناصر ومفاهيمه وسياسته، ومن ثم فى مواقف النظام الثورى وتوجهاته فى العديد من جوانب الحياة.شهدت تلك الأيام تصاعد الاعتداءات الإسرائيلية على القوات المصرية فى غزة وسيناء، وما سببه ذلك للنظام من الحرج والغضب، خاصة وقد تكشف فى نفس الوقت مماطلة أمريكا فى أن تبيع السلاح لمصر الذى يمكنها من الدفاع عن نفسها، وهو ما حدا بمصر الى البحث عن مصادر أخرى للسلاح، مما انتهى بها الى الاتفاق مع الاتحاد السوفيتى على صفقة الأسلحة التشيكية، وعرفت مصر الطريق الى (باندونج)، حيث شارك عبد الناصر مع نهرو وسوكارنو وشواين لاى وتيتو فى تأسيس حركة عدم الانحياز، ورفع راية الحياد الإيجابى، وهو مادعا اليه يوسف منذ أغسطس ٥٢ فى خطبته التى القاها فى (بنى سويف) فى ذلك الوقت المبكر حيث أعلن أن الثورة (لاشرقية ولا غربية) كما سبق القول. وشهدت تلك الأيام انخراط مصر – بقيادة عبد الناصر – فى مساعدة الثورة الجزائرية ومدها بالأسلحة والمساعدات، كما بدأت فى انتهاج هذه السياسة أيضا بالنسبة للعديد من الدول العربية والأفريقية المناضلة من أجل التحرر من الاستعمار، كذلك فقد شهدت تلك الفترة وقوف مصر، وعبد الناصر موقفها الحازم ضد حلف بغداد، وغيره من الأحلاف العسكرية التى حاول الاستعمار فرضها على المنطقة، وانعكس ذلك كله على علاقات مصر مع الغرب، ومع عبد الناصر، وأخذت تلك العلاقات فى التوتر الى أن انتهت بسحب أمريكا لعرضها السابق بتمويل السد العالى، وهو ما حدا بعبد الناصر الى تأميم قناة السويس، وهو ما انتهى بوقوع العدوان الثلاثى. كل هذه الأحداث قد وقعت ويوسف صديق محدد الإقامة، (فى عزبة النخل)، ومازالت مرارة الجحود والنكران، والنفى والتشريد، والسجن والإضطهاد له ولأسرته وأهله وأصدقائه تملأ فمه، ومع ذلك كله، فهو لم يتردد فى اتخاذ الموقف الذى تمليه عليه مبادئه الوطنية والثورية والأخلاقية، متساميا على الخلافات والأحقاد، متغاضيا عن الآلام والجراح، فيعلن وقوفه مع مصر، والثورة، وعبد الناصر، قلبا وقالبا، فى كل تلك الخطوات والمواقف فى مواجهة الاستعمار،

فأمام نداء الوطن، والثورة، والواجب، لايخطر التردد ليوسف على بال. نراه فى تلك الأيام يعبر عن موقفه ذاك، بقصيدته المسماه (الله أكبر) والتى أهداها الى عبد الناصر، ونشرت فى جريدة الجمهورية ٢٢ / ٨ / ٥٦، ويعلن فيها تأييده لعبد الناصر فى قراره بتأميم قناة السويس، وتضامنه معه فى مواجهة التهديد الأستعمارى، وقد جاءفى بعض أبيات هذه القصيدة قوله:

أرأيت فى (باندونج) يوم تجمعت

رسل السلام على الحقيقة والهدى

وقفوا حماة للسلام وأعلنوا

حق الشعوب بأن تعيش وتسعدا

الله أكبر ياجمال جمعتنا

والعهد دون الحق أن نستشهدا

فاضرب وراءك أمة إن تدعها

لتسابقت واستعذبت طعم الردى

فلكل شعب أرضه بكنوزها

يحيا بها حرا كريما سيدا

فاليوم لاشعب تضيع حقوقه

بين الطغاة ولايرى مستعبدا

ونراه فى تلك الأيام أيضا يكتب قصيدته المسماه (منزيس) التى نشرت بجريدة الجمهورية ٣ / ٩ / ١٩٥٦ بمناسبة حضور رئيس وزراء استراليا ممثلا للدول الغربية لمواجهة عبد الناصر بموقف تلك الدول ومطالبها حيال تأميم قناة السويس، وفى هذه القصيدة يعبر يوسف عن تأيده ودعمه لصمود عبد الناصر فى مواجهة ضغوط الغرب وتهديداته وجاء فى بعض أبيات هذه القصيده قوله:

هنا شعب وراء جمال ماض

الى أهدافه يقظا أمينا

تطوع للجهاد على ولاء

لقائده وأقسم لن يلينا

فقل للغاضبين هناك مهلا

فما نيل المنى للغاضبينا

وتلك قناتنا ردت الينا

وما كنا لحق غاصبينا

(٣) موقف يوسف صديق أثناء العدوان الثلاثي

سرعان ما تطورت أحداث الأزمة، حتى بلغت ذروتها بوقوع العدوان الثلاثي، الإنجليزي الفرنسي الإسرائيلي، على مصر، وأدى ذلك الى وضع كل المصرين على محك التجربة، ففي الوقت الذى هبت جموع الشعب لمواجهة العدوان ومقاومته، وأعلن عبد الناصر أن مصر ستقاوم ولن تستسلم، شهدت تلك الأيام مواقف مؤسفة لعدد من الشخصيات البارزة ممن كانوا يحتلون مواقع قيادية فى النظام، بل كان منهم بعض الوزراء فى حكومة الثورة، بل وحتى من كان عضوا فى مجلس قيادتها!! إذ توجه هؤلاء الى جمال عبد الناصر يطلبون منه الاستسلام لقوى العدوان، وتسليم نفسه للسفارة البريطانية بدعوى أن ذلك قد يجعل قوى العدوان تعدل عن احتلالها لمصر. فماذا كان موقف يوسف صديق من تلك الأحداث؟ لم يتردد يوسف وهو محدد الإقامة بمنزله فى حراسة البوليس الحربى، وهو الذى عانى الويلات من السجن والنفى والتشريد والاضطهاد وعلى يد حكومة الثورة التى كان بطلها ، لم يتردد فى اتخاذ الموقف الجدير به كبطل، لاينتظر الإذن من أحد ليقوم بواجبه الوطنى والثورى، مهما كانت الظروف و ا لعقبات ، فنراه يبادر الى كسر تحديد الإقامة من تلقاء نفسه، والى الخروج الى الشارع ليقود المقاومة الشعبية فى المنطقة التى يعيش فيها، وقد ارتدى ملابسه العسكرية التى كان قد أضطر الى خلعها فى مجرى الأحداث، ونراه وهو يدعو جماهير الشعب الى الانخراط فى تلك المقاومة، ويدرب المواطنين على أعمال المقاومة واستخدام السلاح. يروى ولده (اللواء

حسين) ذكرياته عن تلك الفترة قائلاً: (عندما وقع الاعتداء الثلاثى على مصر سنة ٥٦ كنا نقطن ضاحية عزبة النخل، وكان والدى محدد الإقامة، وكنت أنا فى المرحلة الإعدادية، ولكن ما إن وقع العدوان حتى قام والدى بكسر تحديد الإقامة، وخرج يدعو الناس الى الانضمام الى المقاومة الشعبية، وظل طوال يومه يسير ويتحرك وخلفه رجال المباحث الجنائية العسكرية الى أن صدرت لهم الأوامر بالعودة الى معسكرهم. كان مقر المقاومة الشعبية إحدى المدارس، فتوجهت الى هناك ومعى بعض زملائى نشاهد ما يحدث، من تدريبات وبنادق وسيارات جيب عسكرية، وما إن شاهدنا والدى حتى أمرنا بالإنخراط فى صفوف المقاومة الشعبية، وفعلاً بدأنا التدريبات خاصة على إطلاق النار على البنادق التشيكي التى كانت وصلت مصر حديثاً. ومازلت عندما ألتقى بأصدقائى الذين كانوا معى بالمقاومة الشعبية، نشعر بالزهو والفخار، فقد كنا فى السنة الثانية الإعدادى، ولكننا كنا جنوداً نذود عن وطننا، ونحمل البنادق على أكتافنا).

• الوفد ٩ يوليو ١٩٨٧ - يقول الأستاذ لمعى المطيعى:

فى إبريل ٥٤ اعتقل القائمقام يوسف صديق فى السجن الحربى، واعتقلت السيدة زوجته وابناؤه وأقاربه وكل من سار على دربه، وأفرج عنه فى مايو ٥٥، وظلت إقامته محدده حتى أكتوبر ٥٦ عندما وقعت مؤامره العدوان الثلاثى من بريطانيا وفرنسا وإسرائيل عاد البطل الجسور الى ملابس الميدان وخرج يدافع عن تراب مصر، ورأينا العملاق الاسمر ذا العينين الحمراوين فى سجن مصر يزور الشاعر محمود توفيق زوج كريمته، وكنت هناك، وكانت هذه هى المره الاولى والاخيره التى قدر لى فيها أن أرى فيها المقاتل الجسور من أجل الديمقراطية. كنا ثلاثة طلبنا منه أن يبلغ جمال عبد الناصر أن يفرج عنا نحن المسجونين السياسين لندافع عن أرض الآباء ونعود بعدها الى الزنازين، وجاء رد عبد الناصر: لا. متشكرين.

وقد استمر يوسف فى أداء دوره الوطنى هذا فى صفوف المقاومة الشعبية غير ناظر الى موقع أو منصب أو رياسة، حتى انتهت الأحداث باندحار العدوان وانسحاب قواته، وهنا

فقط خلع ردائه العسكرى، وعاد الى ملابسه المدنية، مواطنا عاديا ضمن ملايين المواطنين!!

وقد كنت دائم التردد عليه فى تلك الفتره، والى أن ترك عزبه النخل بعد ذلك، واذكر أننى جمعت أشعاره بعد مراجعتها معه ١٩٥٦، لحرصى على عدم ضياعها وسجلتها فى كشكول، بخط يدى وأعطيته له، بعد أن تحمست إحدى دور النشر لطبع ديوانه ولم أحتفظ لنفسى بنسخه من تلك المسودة، أملا فى الحصول على النسخه المطبوعة، لكن دار النشر تلك مالبثت أجهزة النظام أن هاجمتها وصادرت ما بها، وضاع ديوان يوسف صديق!!

(٤) لمحات من أخلاق يوسف صديق

ترتبط معظم مواقف يوسف صديق، بموقفه الوطنى والديمقراطى، ونعرض هنا لبعض تلك المواقف، فى محاوله لإلقاء الضوء، توضيحا لما نقول. على هذا الجانب الإنسانى العظيم فى شخصيته. يحدثنا فى مذكراته صفحة ٤٦ عن أحد هذه المواقف، والتى تحدث عنها الكتاب كثيراً بعد ذلك نقلاً عنه وهى عن موقف القبض على الفريق حسين فريد رئيس هيئة أركان حرب الجيش بعد اقتحام مبنى قيادة الجيش فى ليلة ٢٣ يوليو فيقول: (وأستأنفت صعودى إلى الدور العلوى يرافقنى - حسن أحمد دسوقى - وجنوده فلما وصلت إلى باب القائد وجدته موصداً وحاولت فتحه فشعرت بمقاومة وإذ بجنود حسن يطلقون النار على الباب بدون أوامر، وتبين أن المقاومة كانت بسبب كرسى وضع خلف الباب، وكانت الحجرة مظلمة ولكن بعد إطلاق النار على الباب وفتحه أضاءت لأجد أربع مناديل بيضاء تطل من وراء بارافان وهى علامة استسلام. خرج الضباط من وراء البرافان وكان على رأسهم الفريق حسين فريد قائد الجيش ومعه الأميرالاى حمدى هيبة وضابط آخر من هيئة الأحكام العسكرية برتبة عقيد ورابع لا أعرفه، ولا أحب أن أترك هذا الموقف بلا تعليق. كان حسين فريد رابط الجأش ثابتاً، وكان يبدوا طبيعياً لا أثر للخوف على وجهه لقد كان أشجع من قابلت فى تلك الليلة من رجال الجيش خارج التنظيم، وحسين فريد جمعتنى به الخدمة قبل ذلك مرتين الأولى عندما كنت تلميذاً بالمدرسة الحربية وهو أستاذى فيها، والثانية وأنا ضابط مدرس بالكلية الحربية وهو رئيسى فى

العـمل، ولا أترك الكلام قـبل أن أوجه له تحـيـة هو أهل لهـا.كان الظلم يغـمـرنى وأنا فى الجيش فى السنة الأخيرة وكنت أطب مقابلتـه لعرض مظلمتى عليه ومكثت أكتب لمدة عام طالبـاً ذلك واثقاً مـن عدله ونزاهتـه دون جـدوى.. وهكذا شاء القـدر أن نلتـقى على هذه الصورة. رافقت قائدى وأسـتاذى إلى باب القيادة حيث حيـيته وسلمته لعبـد المجيد شديد هو ورفاقه ليودعهم المعتقل).

من الأمثلة على ذلك ما سبق أن ذكرناه عن موقفـه عندما لاحظ أن أحد ضباطه الصغار مريضاً بالربو فرفض أن يتركه ينام فى خيمة بالمعسكر، ودعاه للإقامة فى منزله بالإسماعيلية ليكون تحت رعـايته وكـان هذا الضابـط هو حسن أحـمد دسـوقى. ومن أمثلة ذلك مـارواه فتحى رضوان [1] من أنه قابله فى منزل جمال عبد الناصر بعد التنحى يوم ١٠/ ٦/ ٦٧ وأنه كان يسـتحث سكرتارية الرئيس لإعلان عـدوله عن التنحى حفاظاً على مـصلحة الوطن - ذلك فى الوقت الذى كان فيه عبد الناصر مـحل شماتة الأصدقاء والأعداء على حد سواء. تلك الأخلاق لم تكن غريبة عليه، بالنظر الى طبيعته، ونشأته، وتكوينه.

(٥) يوسف صديق وجمال عبد الناصر

كانت علاقة يوسف صـديق بجمال عبد الناصر علاقة غـريبة، فهى من جانب يوسف كانت علاقة بسيطة وواضحة، أما من جـانب جمال فلم تكن كذلك، بل كانت معقدة الى حد كبير، وقد لعبت الطبيعة الشخصية لكل من الرجلين دورها فى هذا التناقض، فقد كان يوسف رجـلا بسيطا وصـريحا لايعرف الـلف ولا الدوران، ولايستـعمل أسالـيب الخداع والمناورة، ولا أساليب القهـر والإكراه مع زملائه ورفاق دربه وسلاحه، ويعتـبر اللجوء الى مثل تلك الأساليب مع هؤلاء مسلكا لايتـفق مع المروءة، ولامع أخلاق الفرسان، ويرى أن تلك الأساليب والوسـائل لاينبغى أن تسـتخدم إلا فى سـاحة القتـال، وفى مواجهـة أعداء الوطن. كما أنه كان يرفض اللجوء اليها فى العمل السياسى الوطنى، الذى ينبغى أن يقوم على التمسك بالمبادىء، سواء فى الغايات أو الوسائل مـهما كانت الصعوبات أو العواقب

(١) جريدة الوطن العربى ١٦/ ٨/ ١٩٨٤ ١

فالغايات عنده والوسائل هما وجهان لعملة واحدة ، الغاية عنده لاتبرر الوسيلة، بل إن الغاية الشريفة تستدعى اتباع الوسائل الشريفة للوصول اليها، وإلا ضاع شرف الغاية فى مزالق الطريق. وقد عبر يوسف عن هذا المنهج فى سائر مواقفه فى مجلس قيادة الثورة، حيث تمسك بالأساليب المبدئية فى التعبير، ولم يلجأ أبدا الى المناورة أو الخداع أو النفاق، لأنه كان يعرف أنه يتعامل مع زملاء له فى الثورة وفى رفقة السلاح، كما أنه عبر عن منهجه هذا بصراحة حين احتدم الخلاف بينه وبين باقى أعضاء مجلس الثورة فى أزمة مارس، فى بعض أحاديثه الصحفية، وعندما سئل عما أشيع عنه من أنه كان يخطط للقيام بانقلاب عسكرى وذلك فى حديثه لجريدة المصرى ومجلة روزاليوسف السابق الإشارة اليهما فى حديثنا عن أزمة مارس ٥٤، وفى ذلك كله كان يوسف يختلف عن جمال اختلافا كبيرا. فقد كان جمال بطبيعته رجل مناورات وتكتيك، بل انه كان أستاذا للتكتيك العسكرى بكلية أركان حرب، ومن الواضح أنه وظف هذه الصفة واعتمد عليها فى مختلف مراحل نشاطه، فى بناء تنظيم الضباط الأحرار وتجنيد الضباط له. رغم الاختلاف الشاسع بينهم فى التوجهات والمفاهيم، أو رغم عدم وضوح الرؤية لدى معظمهم، وربما إن تحقيق هذا الإنجاز كان يحتاج الى رجل من هذا النوع، واعتمد عليه فى الاحتفاظ بوحدة التنظيم والسير بسفينته حتى تحققت عملية الانقلاب الثورى، واعتمد عليه فى اختيار نجيب واجهة للثورة حين كانت هناك حاجة ماسة لذلك، ثم فى طريقة إدارة العمل تحت هذه الواجهة مع أحتفاظه هو (جمال) بخيوط الموقف فى يديه، واعتمد عليه بعد ذلك فى طريقته لإبعاد نجيب والحلول محله فى قمة السلطة، ويمكننا أن نسوق المزيد والمزيد من الأمثلة على هذه السمة من سمات شخصية جمال عبد الناصر.

ويكمننا أن نقول إن جمال كان يعرف قبل قيام الثورة الكثير عن اتجاهات يوسف وآرائه اليسارية، ومع ذلك فإن هذا لم يمنعه من تجنيده لعضوية تنظيم الضباط الأحرار، ومن إشراكه فى تنفيذ الانقلاب الثورى، بل إنه نتيجة لتطورات الأحداث، وحين اضطرته الظروف، لم يتردد فى وضع مصير الثورة، ومصيره هو، ومصير كل أعضاء التنظيم، فى يد يوسف صديق وحده. ولاشك أن جمال حين بادر باقتراح ضم يوسف الى مجلس قيادة

الثورة عند تشكيله، كان صادق النيه فى اعتبار ذلك حقا ليوسف، وتعبيرا عن التقدير لدوره الحاسم فى نجاح الثورة. وقدظل يوسف - رغم ماحدث من خلافات كبيرة بينه وبين جمال بعد ذلك - يكن لجمال كثيرا من الود على المستوى الشخصى، وإن كانت له اختلافاته وتحفظاته على العديد من توجهات جمال السياسية، وخاصة فيما يتصل منها بقضايا الديمقراطية والحريات وحقوق الإنسان، وعلى العديد من الأساليب والوسائل التى كان ينتهجها جمال في الحكم. ولاشك أن جمال ظل يحتفظ ليوسف بشىء من مشاعر الود والتقدير لبطولته طيلة الوقت، ورغم كل ماحدث، ولكن ذلك ظل محصورا فى النطاق الشخصى، دون أن تكون له أية آثار على وضع يوسف فى الحياة العامة، فقد ظل جمال حريصا على إبعاده عنها بكل الوسائل.

كان يوسف رجلا فذا من الناحية العسكرية، كما كان بطلا ثوريا ورجل مبادىء لانظير له، ولكنه لم يكن رجل سياسة، أو بالتحديد لم يكن رجل سياسة بالمعنى الشائع والمتعارف عليه لكلمة سياسة، والذى يدخل فيه معنى الدبلوماسية والمرونة، والقدرة على الخداع وإخفاء الأغراض والنوايا، والتقلب بين المواقف والآراء، وكان هو يعرف ذلك عن نفسه ولايدعى سواه. ومن الحقائق المعروفة لدى الكثير من زملائه العسكرين، أنه لم يكن يريد أن يكون عضوا فى مجلس قيادة الثورة منذ البداية، بل إنه طلب من زملائه أن يتركوه لعمله العسكرى فى صفوف الجيش على أساس أنه رجل عسكرى وليس رجل سياسة، ولكن طلبه هذا قوبل بالرفض، بل وبشىء من سوء الظن، وهو ما اضطره الى الموافقة فى النهاية. والثابت أنه كان الوحيد الذى كان يجمع بين عضويته فى مجلس الثورة وبين وضعه فى الجيش كقائد للواء السابع الذى كان مناطا به حماية الثورة، ولكنه حتى فى هذا الوضع ظل يشعر بسوء الظن، وبأنه قد أحيط ببعض الضباط فى رئاسة اللواء الذين كانوا يعملون على محاصرته، وأنهم كانوا عيونا عليه، ولم يلبث هذا الوضع أن حدا به خاصة بعد تفاقم الخلاف بينه وبين مجلس قيادة الثورة، الى تقديم استقالته من الجيش أيضا.

أما عن جمال عبد الناصر، فقد كان على عكس ذلك، كان رجلا سياسيا يتحلى بصفات رجل السياسة، ويؤمن بالأساليب السياسية، ويستخدمها حيثما وجد نفسه محتاجا

لذلك، وكـان يؤمن بأن الضرورات تبـيح المحظورات، وأن الغـايات تبرر الوسـائل، وربما كان يصدر فى ذلك عن إيمان راسخ بـأنه يريد الخير لمصر وشعبهـا وللأمة العربية، ومن ثم فإنه كـان يرى أن من حقه، بل ومن واجـبه، أن ينتهج الوسائل والأسـاليب التى تمكنه من الإمساك بزمام السلطة وتوجيهها فى تحـقيق أهدافه، وتلك فى جوهرها هى نظرية (المستبد العادل) الـتى يؤمن بها الكثيرون من القـادة، لافى مصر وحـدها، بل وفى الكثيـر من بلاد العالم، والتى كـانت سائدة فى الماضى ، والى عـهد قريب، بل ومـا زال لها أنصـارها حتى الآن فى كثـير من البلدان. ولاشك أن تلك النظـرية كانت موضع اقتناع معظم الضـباط، سواء من أعضاء مجلس قيـادة الثورة، أو من رجال الصف الثانى، بل إنها كانت فى الواقع موضع قناعة الكثيرين من السياسين والمثـقفين الشبان، الذين أحاطوا بمجلس قياد ة الثورة وتعاونوا مـعه، على ماسبق القـول إضافة الى ذلك ، فإن يـوسف صديق بطبيعـته وتكوينه وأفكاره، لم يكن شخـصا محبـا للسلطة أو ساعيـا اليها، ولذلك فإنه لم يكن راغـبا فى أن يكون عضـوا فى مجلس قيادة الثـورة كما قدمنا، بل إنه كـان ينادى بعودة جميع الـضباط وهو منهم الى صفـوف الجيش، وتسليم السلطة الى الشـعب ممثلا فى ممثلين منتخـبين عنه، خاصة وقد تم طرد الملك، وانفـتح بذلك الطريق الى إقامة حكم ديمقراطى حـقيقى. وكان هذا الموقف الذى أصـر يوسف عليه هو السـبب الرئيسى فى الخـلاف الذى استـحكم بينه وبين معظم أعضاء مجلس القيادة ، أو بينه وبينهم جمـيعا فى الواقع باستثناء خالد محيى الدين، والذى انتهى سريعا بإحساسه بالغربة فى وسط هذا المجلس، وباستقالته منه.

وكان جـمال عـبد النـاصر فى الواقع، هو قطب الرحى فى الاتجـاه الآخر، إذ كـان من الوجهة العامـة مؤمنا بضرورة استمرار الضبـاط فى الاستئثار بالسلطة واستـبعاد كل القوى السياسية الأخرى منها، باعتـبار أن ذلك هو الضمان لعدم أنتكاس الثورة وعودة الأوضاع الى ماكانت عليه قبلها ، أما من الوجهة الشـخصية فقد كان مؤمنا بأنه هو المؤهل للإمساك بزمـام السلطة وحـده ودون شريك، وأن سـائر الآخـرين- بما فيـهم زمـلاؤه من الضبـاط وأعضـاء مجلـس الثورة- يمكن أن يكون لأى منهم دور مـحدود، تحت قـيادته، وبالـقدر الذى يتفق مع سلطته هو وأهدافه، فـإذا خرج أحدهم عن هذا النطاق، أو أراد الخروج، فلا

مكان له إلا فى الظل، أو فيما هو أسوأ من الظل فى بعض الأحيان. والأمثلة على ذلك كثيرة، وكان أولها هو يوسف صديق نفسه!! ومما ينبغى ذكره فى هذا المجال فى تفسير هذه العلاقة المعقدة بين يوسف صديق وبين جمال عبد الناصر، هو أن تلك العلاقة بينهما لم تكن علاقة قديمة، بل إن يوسف وجمال لم يتعارفا الا بعد أن انضم يوسف الى تنظيم الضباط الأحرار أواخر ٥١ عن طريق الضابط (وحيد رمضان)، والتقى يوسف وجمال بعدها بضعة لقاءات محدودة حتى قامت الثورة، حيث كان عبد الحكيم عامر فى صحبة جمال فى معظم الأحيان. وهذه العلاقة ظلت محدودة النطاق فلم تتطور الى تعارف عميق أو الى صداقة بين الرجلين، ولكنها كانت محصورة فى نطاق الزمالة التى قامت على الالتقاء حول المبادىء المعلنة لتنظيم الضباط الأحرار. والتى اعتبرها يوسف بمثابة ميثاق يربط بين هؤلاء الضباط ويلتزم كل منهم به. وقد تبين ليوسف بعد ذلك، أن الكثيرين من أعضاء مجلس قيادة الثورة لايعلمون أو لايذكرون عن تلك المبادىء شيئا ، بل إن بعضهم لم يقرأ منشورات الضباط الأحرار، بما فى ذلك المنشور الذى يحتوى على المبادىء الستة، وعندما كان يوسف يشير الى ذلك الى تلك المنشورات فى مناقشاته معهم حول الديمقراطية فى بداية الثورة، كان البعض منهم يسألونه: منشورات إيه؟! . كذلك فإن تلك اللقاءات القليلة بين الرجلين قد تركت لدى يوسف انطباعا جيدا عن جمال عبد الناصر، وعبد الحكيم عامر، وهو ماجعله يولى ثقته و يقبل أن يكون جمال- وهو الأصغر سنا من يوسف وأصغر فى الرتبة والأقدمية- هو مسئوله وحلقة الصلة بينه وبين الآخرين، خصوصا بعد أن ذكر جمال ليوسف أن اللواء محمد نجيب كان فى هذا التنظيم،بل وبطريقة فهم منها يوسف أن نجيب هو رئيس التنظيم، وذلك من تأكيد جمال له على أن الأقدمية لها احترامها بين الضباط الأحرار. وقد كان يوسف يعرف نجيب معرفة شخصية، ويوليه قدرا كبيرا من الثقة والتقدير.

يروى الأستاذ محمود توفيق، أن يوسف قد أخبره بانضمامه الى تنظيم ثورى للضباط قبل قيام الثورة بأيام، كما أخبره يوم ٢٢ يوليو ٥٢ بأنهم سيقومون بحركتهم ليلا، وطلب منه أن يظل معه هذا اليوم، وأن يصحبه فى طريقه للقيام بدوره فى الثورة على النحو الذى

أوردناه فى موضع سابق من هذا الكتاب، ويقول: إننى لم أكن مطمئنا الى عواقب هذه الحركة، والى مشاركة يوسف فيها، تأثرا بالفكرة العامة التى كانت سائدة فى ذلك الوقت عن مخاطر الانقلابات العسكرية، خاصة بعد الانقلابات العسكرية التى كانت تتوالى فى أمريكا اللاتينية فى تلك الآونه، وما حدث منها فى سوريا فى تواريخ معاصرة، وما كان شائعا وقتها من ارتباط تلك الانقلابات بأصابع المخابرات الأمريكية. ويقول: إنه ناقش يوسف فى ذلك، ثم طرح عليه سؤالا مباشرا فى هذا الشأن: هل تعرف الضباط المسئولين عن هذه الحركة؟ وهل تثق فى وطنيتهم؟، فأجابه يوسف بأنه لايعرفهم جميعا بالطبع، ولكنه يعرف ثلاثة منهم، وأنه يعتبرهم أكثر وطنية منه هو شخصيا!! وقد أتضح بعد ذلك أن هؤلاء الثلاثة هم جمال وعبد الحكيم ومحمد نجيب. ويدل سلوك يوسف على أنه كان يتقبل بكل بساطة أن يكون جمال هو مسئوله فى التنظيم ، وهو الذى يصدر اليه التكليفات على النحو الذى لمسناه فى ليلة الثورة وما قبلها - رغم أنه كان هو الأكبر سنا والأسبق فى الرتبة والأقدمية، إذ كان يوسف - باعتباره ثوريا مخلصا - يضع مصلحة الثورة ومصلحة الوطن فوق هذه الاعتبارات. كذلك كان سلوك يوسف بعد الثورة، إذ سرعان ما لمس أنه رغم أن نجيب كان هو رئيس مجلس قيادة الثورة والواجهه السياسية والشعبية للنظام، إلا أن جمال كان هو الذى يمسك بين يديه بمعظم الخيوط فى هذه السلطة الجديدة، ومع ذلك فإن هذا لم يحمل يوسف على تغيير موقفه. بل تقبل كل ذلك برضى تام، وبلا حساسية. وعندما بدأت الأمور تتطور، ووقع الخلاف بين يوسف وبين مجلس قيادة الثورة حول قضية الديمقراطية والحريات وأسلوب الحكم، وما يتصل بكل ذلك من الأمور، لم يكن يوسف يحمل جمال عبد الناصر المسئولية الأساسية عن هذه الاتجاهات، بل كان يعتبر موقف جمال فى تلك القضايا، وموقف نجيب أيضا، وموقف عبد الحكيم موقفا وسطيا معتدلا، وأن رأس الرمح فى الاتجاهات المعادية للديمقراطية إنما كان يتمثل فى مجموعة الطيران، وعلى رأسها جمال سالم، ومن كان ينحاز الى مواقفهم من أعضاء المجلس الآخرين، وبطبيعة الحال فقد تطور هذا الموقف بعد ذلك، خصوصا بعد استقالة يوسف من المجلس، وفى خلال أزمة مارس ٥٤ وما تلاها، إذ أصبح يوسف يحمل

جمال القسم الأكبر من المسئولية عما حدث. وقد وضح ذلك فى بعض أشعاره التى كتبها فى السجن الحربى. (قصيدتى المجد الزائل - وفرعون).

على أن كل ذلك لم يجعل يوسف يتخذ من جمال موقف العداء الشخصى، ولاأدل على ذلك من مواقف يوسف بعد ذلك، وتأييده العلنى لخطوات جمال ومواقفه التالية منذ تأميم القناة وما بعدها ، وهو ماعرضناه فى موقع سابق من هذا الفصل، ومما يدل على أن يوسف ظل يحمل قدرا كبيرا من الثقة فى وطنيته، ويقدر له دوره الأساسى فى تكوين وقيادة تنظيم الضباط الأحرار، وفى إنجاز الثورة، وفتح طريق المستقبل أمام الشعب، وإن ظل معترضا وناقدا لنهج جمال ونظامه فى قضية الديمقراطية وأسلوب الحكم.

وخلاصة القول فى كل ذلك، هو أن يوسف كان يتخذ مواقفه من جمال عبد الناصر، معه أو ضده، على ضوء المبادىء وحدها، وفى نطاق ما تفرضه هذه المبادىء من الاعتبارات، بعيدا فى ذلك كل البعد عن أى اعتبار شخصى.

فقد رأينا كيف بادر يوسف الى إعلان وقوفه مع عبد الناصر وتأييده له عندما بادر جمال الى تأميم القناة، وفى مواجهته للقوى الاستعمارية التى استشاطت غضبا وتحفزت للعدوان على مصر، وعبر يوسف عن ذلك فى قصائده التى نشرت بجريدة الجمهورية، كما رأينا كيف بادر يوسف - رغم تحديد إقامته - الى ارتداء زيه العسكرى وتولى مهمة تنظيم المقاومة الشعبية بجهة (عزبة النخل)، ومضت سنوات طوال حتى وقعت هزيمة ٦٧، والتى انتهزها كل الحاقدين على عبد الناصر فرصة لهدمه وتحطيمه، ولكن يوسف لم يكن من هذا النوع، بل بادر الى زيارة عبد الناصر فى منزله عندما أعلن تنحيه عن الحكم يوم ٩ يونيو ١٩٦٧، ليشد من أزره، ويطالبه بالاستمرار والصمود والاستعداد لمواصلة النضال، ويصف فتحى رضوان هذا الموقف (الوطن العربى ١٦ / ٨ / ١٩٨٤) الذى كان شاهدا عليه قائلا: (وكان آخر لقاء لى بيوسف يوم العاشر من يونيو ١٩٦٧ فى بيت جمال عبد الناصر، وكانت الجموع قد احتشدت فى ألوف مؤلفة بمنزل جمال بمنشية البكرى منتظرة قراره بالعدول عن الاستقالة التى كان قد أعلن عنها، وكان يوسف جالسا معى فى انتظار هذا العدول وهو يستحث أعضاء سكرتارية جمال ليعلنوا القرار. لأن فى كل دقيقة تمر

خطرا على البلاد، فلما أعلن النبأ سرى عنه، ومضى فى طريقه صامتا، ومددت له يدى أصافحه، فلم يرها ومضى، ذلك آخر يوم رأيت فيه هذا البطل العظيم)

واستمر يوسف فى تأييده لصمود عبد الناصر وجهوده من أجل إعادة بناء الجيش كطريق لإزالة العدوان ومحو الهزيمة ، حتى مات عبد الناصر فى ٢٨ / ٩ / ١٩٧٠ فرثاه يوسف رثاء حارا بقصيدته التى نشرت يوم ٢ / ١١ / ١٩٧٠فى مجلة روزاليوسف والتى تكشف عن عمق أحزانه لوفاة جمال، ومدى اعترافه بدوره، ووفائه لما كان بينهما من رفقة السلاح وروابط النضال من أجل الثورة.

كل تلك المواقف التى اتخذها يوسف تأييدا للأعمال والخطوات الإيجابية التى كان يتخذها جمال، والتى كانت تتفق مع المبادىء التى كانت تربط بينهما قبل قيام الثورة، والتى ظل يوسف وفيا لها، كان يتخذها رغم عدم رضاه عن الجوانب السلبية فى سياسات ومواقف عبد الناصر والتى كان يوسف يعتبرها انحرافا عن مبادىء الثورة، والتى لم يكن يخفيها ، أو يتردد فى إعلانها، بل إنه كان يواجه جمال نفسه بانتقاداته لتلك الأوضاع كلما أتيحت له الفرصة للقائه. وكان يوسف يتخذ ذلك الموقف المؤيد لجمال، دون أن ينتظر عليه جزاء ولاشكورا، بل ورغم يقينه من أن موقف جمال منه موقف ثابت لايتغير، وهو التعبير عن الود والتقدير على المستوى الشخصى من حين لآخر، وفى نفس الوقت، إبعاد يوسف عن العمل العام وعن أى موقع للتأثير ، مهما كان بسيطا ، وقد أشرنا الى ذلك فى موضع سابق .

ظلت وسائل الإعلام تتجاهل دور يوسف صديق فى الثورة ، بل ظلت بعض الأقلام تنسب هذا الدور الى غيره ، وكان جمال يعرف ذلك بطبيعة الحال، واستمر هذا الموقف لمدة عشر سنوات متصلة ويوسف صابر محتسب لايشكو ولا يتذمر، حتى كان العيد العاشر للثورة ، حين فوجىء الناس بجمال عبد الناصر يتعرض لدور يوسف صديق فى ليلة الثورة ويذكره فى خطابه الذى القاه بهذه المناسبة (سبق الإشارة اليه)، ويذكر الذين سمعوا هذا الخطاب أن ذكر جمال ليوسف ودوره جاء مقتضبا وفى أضيق الحدود. والواضح أن جمال أراد بذلك أن يريح ضميره تجاه يوسف صديق، وفى نفس الوقت، أن

يستمر على سياسته فى فرض نطاق العزلة السياسية عليه . ومما يذكره أفراد عائلة يوسف صديق أن جمال اتصل بيوسف فى تلك الليلة عقب الخطاب وسأله عما أذا كان قد سمعه، ودعاه الى لقائه فى الإسكندرية التى كان بصدد التوجه اليها ، ولعل فى ذلك كله ما يوضح للقارىء مدى التعقيد الذى كانت تتسم به علاقة جمال عبد الناصر بيوسف صديق!! .

(٦) يوسف صديق ومحمد نجيب

الذى يقرأ مذكرات يوسف صديق، يعرف منها أن يوسف كان يكن تقديرا كبيرالمحمد نجيب قبل قيام الثورة. فهو يروى فى تلك المذكرات ، أنه فى أول لقاء له بجمال عبد الناصر، سأله عن الضباط الأقدم منه رتبه فى تنظيم الضباط الأحرار فذكر له جمال اسما واحدا هو اللواء محمد نجيب ، وأن ذلك كان من أسباب ثقة يوسف فى ذلك التنظيم، وموافقته فى الانضمام اليه، وقد تصدى يوسف فى تلك المذكرات للدفاع عن نجيب والإشادة بدوره فى الثورة فى مواجهة المحاولات التى بذلها خصوم نجيب للتقليل من هذا الدور، وفى ذلك يقول يوسف: (والذين ينكرون دور اللواء محمد نجيب فى حركة الضباط الأحرار يتجنون عليه. فقد قال نجيب لا للملك وتنظيم الضباط الأحرار لا يزال سرياً).

ونعرف أيضا أن يوسف كان من أبرز الضباط الذين شاركوا فى انتحابات نادى ضباط الجيش التى أسفرت عن انتخابهم لنجيب رئيسا للنادى، فى مواجهة اللواء حسين سرى عامر مرشح السراى لهذا المنصب ، وكان هذا دليلا آخر على ثقة يوسف بنجيب، وتقديره لوطنيته وشجاعته وإخلاصه. ولاشك أن يوسف كان قد عرف نجيب عن قرب، ولمس كل منهما شجاعة الآخر ووطنيته فى حرب فلسطين التى أبلى كل منهما فيها أحسن البلاء، وأذا كانا لم يتقاتلا معا فى موقع واحد، إلا أن المجال كان مهيئا للالتقاء بينهما فى أرض المعركة ولوقوف كل منهما على أخبار الآخر.

على أن الصلة الشخصية بين يوسف ونجيب لم تحدث إلا حين تجاوروا فى السكن منذ ١٩٥١ فى ضاحية حلمية الزيتون حيث لم يكن يفصل بين سكنيهما إلا مسافة قصيرة، هى

عرض شارع طومانباى الذى كان يفصل بين المنزلين، والثابت أنه منذ ذلك الحين أخذت العلاقة بين الرجلين تتوطد بسبب الجوار، وبسبب الزمالة العسكرية، وعلى أرضية من الود والتقدير ، ونعرف أيضا أن هذه العلاقة قد تطورت بسبب الجوار الى نوع من علاقات الصداقة بين زوجتى كل منهما وبين أولادهما ، وكان من الطبيعى أن يساهم يوسف فى اختيار محمد نجيب رئيسا لمجلس قيادة الثورة عن قناعة وثقة ، كما كان من الطبيعى أن يصادف وجود يوسف فى المجلس رضا نجيب وارتياحه، ويعبر نجيب عن رأيه فى يوسف صديق وفى دوره ومواقفه فى مجلس قيادة الثورة فى كتابه كلمتى للتاريخ بقوله [1] كشهاده للتاريخ:

(وصلت كوبرى القبة وهناك تلقانى بعض ضباط الثورة، وانتقلت من عربتى الى عربة جيب دخلت بها مركز قيادة الجيش ولم أجد حسين فريد فى مكتبة، وإنما وجدت ضباط الثورة يصفقون وقوفاً للبكباشى يوسف صديق الذى كانت قواته القادمة من هاكستب فى ضواحى القاهرة البعيدة هى أول قوات تحتل القيادة وتعتقل اللواء حسين فريد، وكانت شجاعة يوسف محل تقدير الجميع واحترامه. كما أن نكرانه لذاته وتواضعه كان مبعث إعجابى به، وقد لاحظت أن همسات بعض الزملاء تلاحقه. وجمال عبد الناصر الذى كان مديراً لمكتبى حتى ذلك الوقت يحذرنى من أنه شيوعى يريد أن ينحرف بالثورة لتفكيره وأخذت هذا موضعاً للمداعبة. فكنت ألقبه مازحاً الرفيق يوسف ستالين. ولكنى لم أفكر لحظة فى معاداته أو التخلص منه. فإنى أؤمن بحرية كل إنسان فى اختيار عقيدته ويزداد احترامى له كلما دافع عن عقيدته بإخلاص وصدق، وكان يوسف شديد الوضوح فى معارضته لقانون تنظيم الأحزاب ولضرب الوفد على غير أساس ديمقراطى، وكان يدعو للتمسك بالدستور ودعوة البرلمان المنحل للانعقاد لتعيين مجلس الوصاية ، كما أنه كان شديد الثورة والرفض لاعتقال الزعماء السياسيين دون اتهام، وطالب كثيراً بإلغاء الرقابة على الصحف وتكوين اتحاد عام للعمال. وكان حديث يوسف يستهوينى فى المجلس لأنه شاعر يملك زمام اللغة ولا ينقصه التهاب العاطفة والحماسة، ولم يكن مثل جمال سالم

---

(١) كلمتى للتاريخ ص ٣٤

تتدفق ألفاظه قبل أفكاره، ولكن يوسف كان يقف دائماً فى الأقلية لا يجد معه أصواتاً تشكل الأغلبية، وكثيراً ما اتفقت معه فى الرأى، وكثيراً ما تغلب علينا الرأى المضاد. وقبل اعتقالات ضباط المدفعية كان بعضهم قد حضر بنية حسنة الى مجلس القيادة وقابل عدداً من الأعضاء، وناقش معهم الظروف المحيطة، وطالب بأن يتم تمثيل الجيش فى مجلس القيادة عن طريق الانتخابات. وبعد أن ذهبوا عقد مجلس الثورة جلسة عاجلة لما تبينه من خطر فى هذه الآراء على أنفسهم، لكن يوسف كان من المؤيدين للانتخابات، وأذكر أن واحدا من الأعضاء سأله: هل تضمن أنت النجاح فى الانتخابات؟ وأجاب يوسف : هذا لايهم، المهم هو الاطمئنان. وفوجئت به بعد اعتقال ضباط المدفعية يقدم استقالته ويصر عليها رغم محاولاتى المتكررة معه للعدول عنها قائلاً إنه لا يمكنه الارتباط مع مجموعة لا يوافق على سياستها، وكانت هذه أول استقالة من مجلس الثورة، وكنت متألماً لاستقالة يوسف معتقداً انه قدمها لارتباطه بالشيوعيين الذين كنا قد اعتقلنا بعضهم من جديد بعد أن أخلينا المعتقلات منهم عقب قيام الثورة - عدا ١٧ شخصاً كانت عليهم بعض الشبهات، ولم أجد فى استقالته السبيل السليم لإصلاح الأخطاء التى لم أكن موافقاً على الكثير منها).

ويتضح من كلام نجيب مدى أعجابه بشجاعة يوسف ودوره البطولى فى ليلة الثورة، ثم بشجاعته وإخلاصه ومواقفه الحاسمة فى الدفاع عن المبادىء الديمقراطية داخل المجلس، وأسفه لأستقالة يوسف من المجلس تمسكا بمبادئه وآرائه . ولكن يتضح من ذلك الكلام ومن مجمل التطورات الواقعية التى حدثت فى تلك الفترة وما بعدها أن مواقف نجيب نفسه لم تكن على المستوى الذى كان يوسف يتوقعه أو يأمله، فهو لم يتخذ الموقف الإيجابى الذى كان يوسف ينتظره منه دفاعا عن الديمقراطية والحريات وحقوق الشعب، بل إنه ساير الاتجاه الساعى الى إقامة نظام الديكتاتورية العسكرية، طالما كان هو على رأس هذا النظام، وشارك فى كل الخطوات التى اتخذها المجلس فى هذا الاتجاه، بدءا من إعدام خميس والبقرى، والقبض على ضباط الجيش، وحل الأحزاب، وإلغاء الدستور، وأعتقال السياسيين ومحاكمتهم. ولم يترجم نجيب إعجابه بشجاعة يوسف وتفانيه فى الدفاع عن آرائه بأى موقف عملى، مكتفيا بإبداء ألمه لاستقالته من المجلس، وإصراره على تلك

الاستقالة، (رغم محاولاتى المتكرره معه للعدول عنها).

ولاشك أن يوسف كان قد منى بخيبة الأمل فى مواقف نجيب، وفى إمكان التعويل عليه فى نصرة قضية الديمقراطية التى اعتبرها يوسف مسألة فاصلة فى تحديد مسار الثورة، ومستقبل البلاد، ولاشك أنه لهذا السبب، لم يستجب يوسف لمحاولات نجيب المتكرره معه للعدول عن استقالته. وبينما واجه يوسف نتيجة معارضته للديكتاتورية العسكرية، فدخل فى مرحلة النفى والإبعاد وتحديد الإقامة، واصل نجيب دوره كرئيس لمجلس قيادة الثورة، ورئيس للوزراء، ومن ثم كواجهة لنظام الديكتاتورية العسكرية. وفى يونيو ٥٣ قرر مجلس قيادة الثورة إلغاء النظام الملكى وإعلان الجمهورية، وتم تنصيب نجيب رئيسا للجمهورية وقائدا أعلى للجيش، ورئيسا للوزراء بينما كان يوسف محدد الإقامة فى قريته (زاوية المصلوب) التى حوصرت بقوات كبيرة من البوليس الحربى، وذلك بعد أن عاد سرا من منفاه فى الخارج دون أذن أو علم من مجلس الثورة، وبعد أن أرسل الى نجيب برقيتة التى أخطره فيها بعودته، وباستقالته من مجلس قيادة الثورة، ومن الجيش. وظل يوسف رهن تحديد الإقامة بقريته حتى بدأ العام الدراسى فى أكتوبر ١٩٥٣، فطلب السماح له بالانتقال الى منزله بحلمية الزيتون ليكون مع أولاده فى القاهرة، ووافق المجلس وانتقل يوسف الى ذلك المنزل، كما انتقلت معه قوات البوليس الحربى لتفرض حصارها حوله!! وشهد الناس موقفا غريبا، منزل محمد نجيب بشارع طومانباى محاطا بالحرس الجمهورى لحماية الرئيس وأداء التحية العسكرية له عند دخوله وعند خروجه من خلال نفخات البروجى، وعبر نفس الشارع، على بعد أمتار قليلة، منزل يوسف صديق، وقد ضرب حوله الحصار بواسطة قوات البوليس الحربى، لضمان وضعه تحت الإقامة الجبرية، ومنع الناس من الدخول اليه أو الاتصال به!! لكن الأوضاع لم تطب لنجيب طويلا إذ بدأ الصراع بينه وبين الطرف الآخر، وعلى رأسه جمال عبد الناصر على السلطة يحتدم ويتصاعد، وبدأت المواجهات والاستفزازات تحيط به من كل جانب، وذلك على ا لنحو الذى رواه هو تفصيليا فى كتابه (كلمتى للتاريخ)، ومنذ أوائل ١٩٥٤ كانت أنباء هذا الصراع على السلطة قد راجت فى الشارع السياسى، واختلطت بالتحركات الجماهيرية التى أخذت

تتصاعد بين صفوف الجماهير - لاسيما في الجامعات والنقابات المهنية، والثابت أن نجيب كان قد بدأ يستشعر خطورة وضعه، ويبحث له عن حلفاء في صراعه مع الطرف الآخر، والثابت أنه بدأ اتصالاته مع القوى والأحزاب (غير الشرعية) التى كانت قد شرعت فى التجمع تحت مظلة الجبهة الوطنية الديمقراطية، والتى كانت تعمل على إسقاط الديكتاتورية العسكرية، وإقامة نظام مدنى ديمقراطى، والتى كانت تضم ممثلين عن القوى والأحزاب الآتية: الوفد - وكان يمثله فى تلك اللقاءات تباعا (حنفى الشريف - أبو بكر سيف النصر - محمود سيف النصر - عيد مرعى أبوسمره)، الإخوان المسلمون - وكان يمثلهم (عبد الحفيظ الصيفى - صالح أبو رقيق)، الحركة الديمقراطية للتحرر الوطنى - وهى التنظيم الشيوعى الأكبر - وكان يمثلها (زكى مراد - محمود توفيق)، الحزب الاشتراكى - وكان يمثله (إبراهيم يونس)، اللجنة التحضيرية للجبهة الوطنيه للكفاح المسلح (وهى التى كانت مشكلة من العسكرين والمدنيين الملتفين حول يوسف صد يق). وكان اتصال محمد نجيب بهذه الجبهة، وبالقوى المشاركة فيها عن طريق الضابط محمد رياض الذى كان رئيسا لحرسه، وعن هذا الطريق بات معروفا أن نجيب قد أصبح مواليا لأهداف الجبهة فى إنهاء الحكم العسكرى، وعودة الجيش الى ثكناته، وتشكيل حكومة وطنية ائتلافية، وانتخاب جمعية تأسيسية تقوم بأعمال البرلمان، وتضع دستورا ديمقراطيا للبلاد (أعتمدنا فى هذه المعلومات على رواية الأستاذ محمود توفيق الشفهية لنا).

وما لبثت الأوضاع أن تفجرت فى الشارع السياسى، وبدأت الأرض تهتز تحت أقدام النظام الدكتاتورى العسكرى، وكان لتطورات الصراع بين نجيب ومجلس قيادة الثورة دور كبير فى حركة المعارضة الجماهيرية للنظام، وبدأت سلسلة الأحداث الدرامية تتلاحق، فيما عرف بأزمة مارس ٥٤، وقد شارك يوسف صديق بدور هام فى أحداث تلك الهبّة على النحو الذى أشرنا اليه فيما سبق، وكان طبيعيا على ضوء علمه بموقف نجيب من الجبهه، أن يعاود حسن الظن به، وأن يراوده الأمل فى أن يكون لنجيب من موقعه كرئيس للجمهورية، ورئيس لمجلس الوزراء، ورئيس لمجلس قيادة الثورة، ومن موقعه فى الجيش، ومكانته الشعبية دورا حاسما فى أنهاء الصراع لصالح الخيار الديمقراطى، خاصة وقد بدأ

الجانب الآخر يتراجع منهزما ويسلم بالمطالب الجماهيرية فى إنهاء الحكم العسكرى والتحول الى النظام الديمقراطى. عند ذلك بادر يوسف الى توجيه رسالته الشهيرة الى محمد نجيب، والتى نشرتها جريدة المصرى يوم ٢٤ مارس ٥٤، والتى أوردنا نصها فيما سبق، وكان يوسف يهدف من هذه الرسالة الى إرشاد نجيب الى كيفية حسم الصراع لصالح القوى الديمقراطية، عن طريق اقتراح الوسائل العملية لذلك، وفى مقدمتها إعلان حل مجلس قيادة الثورة، وعودة الجيش الى ثكناته، وتشكيل حكومة ائتلافية .

لكن نجيب لم يقدر ، ولم يرغب، فى حسم الأمور، ودفع الأمور أن تسير فى هذا الطريق الذى اقترحه يوسف، والذى كان قبل ذلك يبدى موافقته عليه من خلال اتصاله بقوى الجبهة، وبدأ نجيب يحاول - عن طريق عقد اتفاق جانبى مع الإخوان المسلمين - الذين سايروه فى هذه المحاولة - التملص من موقفه السابق، والعمل على الاستفادة من تطور الأحداث فى التخلص من مجلس قيادة الثورة، والانفراد بالسلطة لمدة انتقالية مدتها ثلاث سنوات، بحجة أن ذلك ضرورى للانتقال بالبلاد الى وضع ديمقراطى، مع تأمين الأوضاع الداخليه فيها. ولهذا السبب اتسمت مواقف نجيب فى الأيام القلائل التاليه ليوم ٢٥ مارس ٥٤، بالغموض، والتردد، والضعف. وكان هذا هو خطؤه القاتل، فقد أعطى ذلك الفرصة للطرف الآخر لكى يتحولوا من الهزيمة والتراجع الى المبادأة بالهجوم. وسرعان ما صدرت قرارات ٢٨ مارس التى أعلن فيها مجلس قيادة الثورة تمسكه بكل سلطاته، وبدأت الديكتاتورية العسكرية تفرض سيطرتها المطلقة على الأوضاع. ويعترف محمد نجيب بخطئه وقصوره عن أتخاذ الموقف الملائم فى تلك الأيام، ويبرره بأنه خشى أن تقع البلاد فى خطر الحرب الأهلية، وذلك فى كتابه (كلمتى للتاريخ) وهو تبرير واهن إذ إن الحقيقة هى أن نجيب كان قد تصور أنه قد وصل الى هدفه وهو إبعاد خصومه والانفراد بالسلطة، وأنه ليس من مصلحته السير بالأوضاع الى ماهو أبعد من ذلك. وقد جاء هذا الموقف الأخير من محمد نجيب مؤكدا لموقفه الحقيقى من قضية الديمقراطية منذ قيام الثورة، وأنه لم يكن ساعيا الى إقامة نظام ديمقراطى بالفعل بل كان قابلا بالديكتاتورية العسكرية، بشرط أن يكون على رأسها، وفى ذلك يقول خالد محيى الدين [١]

(١) الآن أتكلم ص٢١٣) :

(ويمكنني أن أقول وبضمير مرتاح أن محمد نجيب كان فى هذه الفترة من أكبر المتحمسين لانفراد مجلس الثورة بالسلطة كل السلطة، وكانت هذه وجهة نظر العديد من الضباط. لكن نجيب يتحمل مسئولية كبرى. فقد كان يدفع الأمور دفعاً فى هذا الاتجاه. مستنداً الى موقعه كرئيس لمجلس قيادة الثورة).

وبهذا الموقف انتهت هبة مارس الى الهزيمة، وبدأت مرحلة القمع والأنتقام لكل قوى الجبهة الوطنية، وبينما دخل يوسف السجن الحربى، وألقى بزوجته والعديد من أقاربه وأصدقائه ومعارفه الى أعماق السجون، ظل محمد نجيب لفترة قصيرة أسيرا فى يد أعدائه الى أن عزل من جميع مناصبه، وفرضت عليه الإقامة الجبرية لمدة ثمانية عشر عاما فى منزل زينب الوكيل بالمرج على الوضع المهين الذى وصفه تفصيليا فى مذكراته. وكان آخر ماحدث فى قصة العلاقة بين يوسف صديق ومحمد نجيب، هو سير نجيب بعد أن رفعت عنه الإقامة الجبرية مع سائر الأحياء من مجلس قيادة الثورة فى تشيع جثمان يوسف صديق بعد وفاته يوم أول إبريل ١٩٧٥.

(٧) يوسف صديق وأنور السادات

لم تكن هناك سابق صلة بين يوسف صديق، وبين أنور السادات قبل أن يلتقيا فى تنظيم الضباط الأحرار قبل قيام الثورة ببضعة أشهر، ولهذا اللقاء قصة غريبة رواها يوسف صديق لبعض المقربين اليه على النحو التالى: عندما التقيت بجمال عبد الناصر عقب انضمامى لتنظيم الضباط الأحرار فى أوائل ٥٢ وأبلغنى بأننى المسئول عن التنظيم فى منطقة العريش، وأنه سوف يبلغنى فيما بعد باسم المسئول عن منطقة رفح لمقابلته. بعد ذلك بفترة جاءنى أحد الضباط من التنظيم ليصطحبنى لمقابلة هذا المسئول عن رفح، دون أن يبلغنى اسمه، وقال لى إنك سوف تعرفه عندما تراه. وذهبنا الى معسكر رفح وتوقف بى الضابط أمام إحدى الخيام وقال لى، إن الضابط المعنى هنا داخل هذه الخيمة، وعندما دخلت من باب الخيمة فوجئت بأنور السادات، وبدت على المفاجأة وهممت بالرجوع وأنا أعتقد أننا وقعنا فى خطأ ما، وقد فهم أنور الموقف فقال لى ضاحكا وهو يقف: أيوه هوه أنا

اتفضل. ويستطرد يوسف فى روايته قائلا: سبب المفاجأة أنى كنت أعرف أنور السادات شكلا، وكانت فكرتى عنه شأنى فى ذلك شأن باقى ضباط الجيش، فكرة سيئة، من أنه عضو فى الحرس الحديدى، وأنه أحد عملاء الملك، وأنه شخص لايمكن الثقة به، و لم أكن أتصور أن مثل هذا الشخص يمكن أن يكون عضوا فى تنظيم الضباط الأحرار، فضلا عن أن يكون أحد المسئولين فى التنظيم. وقد استأت عندما عرفت ذلك،وفى أول لقاء لى مع جمال بعد ذلك، عبرت له عن دهشتى وعدم ارتياحى لهذا الوضع، لكن عبد الناصر طمأننى من هذه الناحية، وبأنه يضمن ولاء أنور للتنظيم (نقلنا هذه الرواية عن الأستاذ محمود توفيق الذى سمعها من يوسف صديق شخصيا). ويبدو أن يوسف تقبل تفسير جمال للموقف، لكن ظل فى نفسه غير قليل من الشك وسوء الظن من ناحية أنور، ومما لاشك فيه أن أنور كان يشعر بذلك، وأن لقاءه الأول مع يوسف على هذا النحو الذى سلف ذكره، قد ترك لديه هذا الشعور، وعندما كان الاثنان يلتقيان بعد الثورة، وقد جمعتهما اجتماعات مجلس قيادة الثورة، ظلت العلاقة بينهما تتسم بالفتور. خاصة وأن مسلك أنور السادات ومواقفه فى المناقشات والخلافات التى ثارت داخل المجلس، لم تكن تشجع يوسف على تغيير إحساسه السلبى نحوه. فقد كانت تلك المواقف، إما أنها تتسم بالمراوغة وعدم الوضوح، وإما أنها كانت تنحاز الى الموقف المعادى للديمقراطية، وإما أنها كانت تبحث دائما عن الجانب الأقوى لتقف معه، وهو ماكان يقوده غالبا الى الانحياز لجمال وعبد الحكيم. وبعد أن تفاقم الخلاف بين يوسف صديق وبين باقى المجلس، وقدم استقالته، وبدأ أنور السادات ينشر مقالاته عن أحداث الثورة، فوجىء يوسف كما فوجىء الكثير من الضباط، بأنور وهو يروى أحداث ليلة الثورة، فيغفل تماما اسم يوسف صديق وينسب كل أعمال يوسف البطولية الى عبد الحكيم (سبق ذكر ذلك فى فصل سابق).

خاصة بعد أن أصبح عبد الحكيم هو القائد العام للجيش، وأكثر أعضاء مجلس الثورة ارتباطا بعبد الناصر، ومن ثم مركز القوة الصاعد، ثم بدأ أنور ينشر هذه المزاعم فى كتابيه (قصة الثورة كاملة - ياولدى هذا عمك جمال). ولاشك أن تلك المواقف قد زادت من سوء ظن يوسف بأنور الذى أخذ يتمادى فى انتهاج هذا الموقف، باعتباره سلاحه الوحيد

فى الدفاع عن موطىء أقدامه فى تلك الأجواء المليئة بالصراعات والمخاطر. ويذكر الناس جميعا مقالاته الرنانه فى الصحف، وخطبه البليغة وهو رئيس (مجلس الأمة) فى مدح جمال عبد الناصر وإسباغ كل صفات العظمة عليه. وقد نجح السادات فى خطته، فحافظ على نفسه، وعلى مكانه فى النظام، ووصل أخيرا الى موقع نائب رئيس الجمهورية، ثم أصبح رئيسا للجمهورية فى النهاية بعد موت جمال فى ٢٨ سبتمبر ١٩٧٠. وقد كان يوسف فى موسكو للعلاج فى ذلك الوقت عندما أصبح أنور هو المرشح للرياسة بحكم وضعه كنائب للرئيس. ورغم الود المفقود بينه وبين أنور السادات، ورغم ماكان يشوب العلاقة بينهما من شوائب، فقد بادر يوسف الى الإبراق له من موسكو معزيا له فى وفاة جمال، معبرا عن دعمه وتأيده له كرئيس جديد للجمهورية. والذين يعرفون يوسف جيدا لايتطرق اليهم الشك فى أن دافع يوسف الى هذا لم يكن إلا وطنيته، وحرصه على استقرار أوضاع البلاد وتفادى أيه مخاطر قد تنجم عن زعزعة السلطة الشرعية فى ظل الظروف الخطيرة التى كانت تمر بها البلاد بعد نكبة ٦٧ ثم وفاة عبد الناصر.

ولاشك أن هذا المعنى قد وصل الى أنور السادات، وأنه قد لمس وترا حساسا فى نفسه، وقد يكون موقف يوسف هذا قد أصابه بشىء من وخز الضمير، ويعرف المتصلون بيوسف أن أنور السادات أخذ - وهو رئيس للجمهورية - يبدى بعض لمسات المودة نحو يوسف، على مستوى العلاقات الشخصية، كما يذكر الناس أن أنور قد عاد فتعرض مرة أخرى لأحداث ليلة الثورة فى حديث تلفزيونى له مع المذيعه (همت مصطفى) بمناسبه عيد ميلاده، ولكنه هذه المرة ذكر يوسف صديق وذكر دوره فى تلك الليلة - بطريقة ودية - الى حد ما. ولعله قد تعمد بذلك تصحيح موقفه السابق من يوسف، والذى أغفل فيه هذا الدور، ونسبه ظلما الى عبد الحكيم عامر.

وحين اشتد المرض بيوسف أمر أنور السادات بعلاجه فى لندن على نفقة الدولة، وتوفير أسباب الرعاية اللائقة له. وأخيرا عندما توفى يوسف فى آخر مارس ٧٥ أمر أنور السادات - بناء على طلب أسرة يوسف - والعديد من زملائه من الضباط الأحرار مثل (خالد محيى الدين - وحسين الشافعى- ووحيد رمضان - وعبد المجيد شديد - ومحمد

السقا) بتشييعه فى جنازة عسكرية مهيبة، وبتوفير كل أسباب التكريم له فى وفاته. وتروى السيدة سهير ابنة يوسف صديق ملابسات هذا الموقف فتقول :

(عند إعلان المستشفى بوفاة الوالد، ذهبت أنا وشقيقى المحاسب محمد، والنقيب شرطة حسين الى مكتب السيد/ عبد المجيد شديد باللجنة التنفيذية على كورنيش النيل، وهناك وجدت ضباطه فى حالة بكاء شديد - محمد السقا - وحيد رمضان - عبد المجيد شديد ، وقابلت السيد/ خالد محيى الدين الذى أخبرنى أن السيد/ حسين الشافعى (نائب الرئيس) بمكتبه وتحت الخدمة، فشكرتهم جميعا أنا وأخوتى على شعورهم، وسألنا السيد/ عبد المجيد شديد الذى كان يضع صورة والدى أمامه ومعها النعى الذى كتبه زوجى (محمود توفيق) من سجنه فى أبى زعبل، وسألناه عن الإجراءات التى ستتخذ، فلما أخبرنا أنه قد تم الاتفاق على أن ينشر النعى مع الصورة فى جريدة الأهرام، وسيقام سرادق أمام مسجد عمر مكرم، وستقام ثلاثة أيام للعزاء بمنزل الأسرة، فقلت له إن هذه إجراءات عادية وتحدث لأى شخص، وأن العائلة تستطيع أن تقوم بها كاملة دون أى عناء، (وبعد التشاور مع رفاقه الأحرار وعلى رأسهم السيدين حسين الشافعى وخالد محيى الدين) تقدمت باسم الأسرة بالتماس أحدد فيه مطالب الأسرة على النحو التالى :

- يشيع جثمان والدى كبطل فى جنازة عسكرية وشعبية .
- ينشر فى جميع الصحف القومية نبذة عن حياة والدى ودوره ليتذكر الناس من هو يوسف صديق .
- ينشر النعى فى جميع الصحف القومية .
- يصور التلفزيون الجنازة وتذاع فى نشرة الأخبار .
- يسمح لزوجى (المسجون رهن التحقيق فى قضية شيوعية) بالاشتراك فى تشييع الجنازة وتلقى العزاء مع أفراد الأسرة .

ولما عرضت التماس الأسرة على السيد عبد المجيد شديد قال إنه لايستطيع أن يلبى هذه الطلبات إلا بعد استئذان الرئيس أنور السادات، ولما سألته عن مكان وجود الرئيس قال انه فى القناطر، فرجوته أن يبلغه بالتماس الأسرة ، وفعلا قام الرجل واتصل أمامى بمكتب

الرئيس،وبعد فترة عاد قائلا بالنص: (أمر الرئيس بأن تجاب كل طلبات أبناء يوسف صديق فورا) وكان هذا موقفا كريما من الرئيس أنور السادات.

وكأنما أراد أنور السادات بهذه المواقف أن يسجل نقطة طيبة تحسب له، وأن يمحو عن نفسه شيئا من سوء الظن الذى كان يحيط به، سواء من جانب يوسف أو من جانب آخرين!! وشهادة لوجه الحق فإن أنور السادات قد حرص بعد وفاة يوسف، على أن يتخذ موقفا كريما من أسرة يوسف صديق. ونشير فى هذا الصدد الى قصة لقائه مع الأستاذ محمود توفيق الذى كان متهما فى قضية (١٨-١٩ يناير ٧٧)، وما أبداه السادات من رغبته فى إسقاط التهمه عن محمود، لولا أن الأخير لم يقبل هذا العرض وأصر بدلا من ذلك، على مطالبة أنور السادات بسحب القضية كلها إذا أراد، على تفصيل لامحل له فى هذا الموضع .

(٨) يوسف صديق و مصطفى أمين

خلال أزمة مارس، وفى ذروه الصراع بين الاتجاه الديمقراطى، ودعاه الديكتاتورية العسكرية، تلقف مصطفى أمين خطاب يوسف صديق الى اللواء محمد نجيب (سبق ذكر نصه)، وكتب مقالاً نارياً ضد الأفكار التى وردت به، تحت عنوان (سلاطة) - (سبق ذكر نصه). وهكذا وقف مصطفى أمين بكل قواه ضد الدعوة الى الديمقراطية وتسليم السلطة الى الشعب، وهو ما دعا اليه يوسف صديق، ووقف مع الديكتاتورية وناصر جمال عبد الناصر وحكم الفرد. لقد تصور مصطفى أمين (وهو رجل سياسة وصحافة) أن الانتخابات ستعيد حزب الوفد الى الحكم، وكان هو ضد حزب الوفد ففضل حكم الفرد على الحكم الديمقراطى، الذى قد يأتى بالوفد الى الحكم، وكان مصطفى أمين وقتها قريباً من عبد الناصر، وكانت دار أخبار اليوم تقوم بالدعاية لعبد الناصر بكل ما تملك وهو ما دعا بعض الكتاب والمحللين الى القول بأن تلك كانت سياسة أمريكا فى ذلك الوقت. وما لبثت الأيام أن دارت وتألق نجم مصطفى أمين، وأصبح مقرباً لعبد الناصر، ولكن السياسى والصحفى الكبير كان قصير النظر. إذ لم تدم المودة بينه وبين عبد الناصر. بل سرعان ما

واجه الأول غضب النظام الناصرى. فقبض عليه فى قضية جاسوسية، وحكم عليه بالسجن المؤبد، وتلقفه صلاح نصر، وراح يحقق معه تحت التعذيب البشع، ولما دخل السجن أدرك قيمة كلام يوسف ودفاعه عن الديمقراطية وحقوق الإنسان، ومضت سنوات السجن الطويلة عليه وكتب عنها طويلاً، وروى صنوفاً من التنكيل الذى حاق به، حتى أنه شرب من بوله كما ذكرفى حديث للتليفزيون المصرى، وبعد خروجه تذكر كلام يوسف، وأدرك أن التاريخ سوف يحكم ضده لموقفه ضد الحرية فى أزمة مارس سنة ٥٤، وأدرك قيمة مبادئ يوسف وموقفه المشرف وبعد نظره، فكتب ثلاث مقالات يعتذر فيها ليوسف بعد موته ويعترف أنه كان مخطئاً ، وأن يوسف كان أبعد نظراً منه، وكان على الحق.. وكان بطلاً !!. كتب ثلاث مقالات فى عموده اليومى. فكرة، بجريدة الأخبار فى أعوام ٨٤ ، ٩١، ٩٦ .نورد نصوصها تسجيلا للتاريخ على النحو التالى :

• (مرت الأحتفالات [1] بأعياد ثورة ٢٣ يوليو ونسينا ونحن نتحدث عن أبطال هذه الثورة اسم واحد من أبطالها ظلمناه حيا ويجب أن ننصفه ميتا، وهو القائمقام يوسف صديق، وقد أثبت شهود الثورة يوم مولدها أنه لولا تحرك الكتيبه التى كان يقودها يوسف صديق قبل ساعه الصفر بساعه واحده مخالفا بذلك خطة قادة الثورة ، ولولا أنه قبض على القادة مجتمعين فى القيادة واستولى عليها، لولا ذلك لفشلت الثورة وزج بجميع قوادها فى السجون ، وثبت أيضا من شهادة شهود تلك الأيام موقف يوسف صديق من قضية الديمقراطية منذ بداية الثورة حتى استقال من مجلس قيادة الثورة، وقيل يومئذ إنه كان يدبر لانقلاب عسكرى، وأبعد الى أسوان، ثم أبعد الى سويسرا للعلاج، ثم تقرر تعيينه ملحقا عسكريا فى الهند لإبعاده عن مصر. ثم ظهر أنه كان يناضل نضالا شجاعا عن الديمقراطية وحق الشعب فى أن يحكم نفسه بنفسه. وقد قبل راضيا أن يخرج من قيادة الثورة الى زنزانه فى السجن الحربى، وأن يوضع معه فى نفس السجن أبناؤه وأقرباؤه وزوجته، مفضلا هذا الهوان على أن يشترك فى الحكم الفردى الذى لا يقره ضميره. وأذكر أنه كتب فى ١٧ مارس ٥٤ كتابا الى اللواء محمد نجيب وكان يومئذ رئيس مجلس الثورة

---

(١) الأخبار - مصطفى أمين - ٢٧ يوليو سنة ٨٤)

يقترح تأليف وزارة ائتلافيه تمثل التيارات السياسية المختلفة القائمة فعلا فى البلاد. وهى الوفد والإخوان المسلمون والاشتراكيون والشيوعيون، تشرف على أجراء انتخابات البرلمان، واقترح أن يرأس هذه الوزاره الدكتور وحيد رأفت. وأذكر أننى كتبت يومها أعارض يوسف صديق فى اقتراحه الذى قلت إنه يجمع الشامى على المغربى، والوفدى على الاشتراكى، والأخ المسلم على الشيوعى .

وكان يوسف صديق أبعد منى نظرا. لأنه كان يرى من داخل مجلس الثورة الخطر القادم، وهو خطر حكم الفرد وخطر الديكتاتورية. وهو خطر لم نره ولم نتصوره فى تلك الأيام، فقد كان القادة يؤكدون أنهم سينفذون البند السادس من الثورة وهو إقامة ديمقراطية حقيقية يتمتع فيها الشعب بكل حرياته، وصدقناهم .

وكذبنا يوسف صديق بسبب ميوله الحمراء. وجاءت الأيام بعد ذلك تؤكد كل ما تنبأ به يوسف صديق، وأذكر أنه زارنى فى مكتبى وسلمنى صوره من مذكراته، وما أزال أحتفظ بها الى اليوم .

أعتقد أن من حق يوسف صديق الذى تعرض هو وأسرته وزوجته لكل أنواع البهدله أن ننصفه ونطلق اسمه على أحد شوارع القاهرة ، أو على أحد شوارع بنى سويف .. يجب أن تكون لدينا الشجاعة أن ننصف كل إنسان ظلمناه)

للأمانه التاريخيه فإن ما كتبه مصطفى أمين فى تلك السنه ٨٤ وبعد موت يوسف بتسع سنوات لم يكن مبعثه صحوة الضمير فقط، وإنما كان من أسبابه أيضا ذلك الخطاب الذى أرسلته ابنة يوسف (السيده سهير) الى مصطفى ونصه :

الأستاذ الكبير مصطفى أمين :

أبعث اليك بتحيه إعزاز وتقدير، أشترك فيها مع الملايين من أبناء شعبنا المصرى الذين يتابعون مقالاتك باهتمام بالغ وإعجاب متزايد، ويرون فيها تعبيرا مخلصا وصادقا عن آمال شعبنا وآلامه، وأعتقد أن هذا الإحساس أصبح من الأشياء القليلة جدا التى يتفق عليها المصريون حاليا على أختلاف آرائهم واتجاهاتهم، فحتى الذين كانوا يختلفون معك فى الماضى، أو لهم تحفظات على بعض آرائك واتجاهاتك أصبحوا الآن يشعرون بأنك تعبر

عنهم أيضا فى كل ما تكتبه ويقدرون نغمة الصدق والإخلاص والحب لمصر التى تعبر عنها كتاباتك، ولعل ما مررت به شخصيا من ظروف صعبة، وما مرت به مصر كلها من محن وامتحانات، يدفعنا جميعا الى التماس الحق والحقيقة، وتوخى العدل والنزاهة فيما نقول وما نفعل، بحيث تسود النظرة الموضوعية وروح الإنصاف فيما بيننا جميعا. وبهذا تستفيد مصر من الدروس والعبر.

إنى أكتب اليك هذه الرسالة فى هذه الأيام بالذات من شهر مارس الذى يرتبط فى أذهاننا جميعا بتلك الأحداث الجسيمة التى وقعت فى شهر مارس ١٩٥٤، والتى كانت مفترق طرق فى حياة مصر بعد الثورة ، وكما تعلم فإن مصير الثوره ومصير مصر كلها قد تحدد لسنوات طويلة بعد ذلك بما جرى فى تلك الأحداث .

إنه من السهل الآن أن نتكلم جميعا عن الديمقراطية بعد أن أكتوينا جميعا بنار الديكتاتورية العسكرية والبوليسية التى سادت مصر منذ مارس ٥٤ والتى مازلنا نجاهد للشفاء منها، ولاشك أن هذا كسب لقضية الديمقراطية، إذ يكفى أن ينحاز لها المزيد والمزيد من المصرين – حتى الذين وقفوا ضدها فى مراحل سابقه. وهو ما نشهده كثيرا فى السنوات الأخيرة من مواطنين قاوموا الديمقراطية، وقاوموا دعاتها طويلا من موقع ارتباطهم بالحكم الديكتاتورى. ولا بأس فى ذلك كله.

ولكن ينبغى أن نقر بالفضل للأشخاص الذين تمسكوا منذ البدايه بالديمقراطية، ودفعوا فى سبيلها أغلى ثمن، ولاشك أنك تذكر موقف والدى المرحوم العقيد يوسف صديق من قضيه الديمقراطية منذ بداية الثورة التى شارك فى قيامها بأكثر المواقف أيجابية وفدائية وشجاعة، وهو الموقف الذى تبين واضحا خلال أزمه مارس ٥٤، حيث نادى صراحة وعلى رؤوس الأشهاد بما كان يناضل من أجله داخل مجلس قيادة الثورة منذ البداية من دعوة الى انتهاج الديمقراطية طريقا للمستقبل فى مصر.

وتذكر أنه ضحى فى سبيل هذا الموقف بوضعه فى مجلس قيادة الثورة، وبوظيفته فى الجيش، وحتى بحريته الشخصية، وقبل راضيا أن يوضع فى السجن الحربى، وأن يوضع معه أبناؤه وأقرباؤه وزوجته، مفضلا ذلك على الاشتراك فى الحكم على حساب حرية

وكرامة الشعب المصرى.

وتحت يدى صوره من مقال له نشر بجريدة المصرى يوم ١٧ مارس ٥٤ يتحدث فيه صراحه عن ضرورة تخلى الجيش عن السلطة ونقلها الى الشعب من خلال إجراءات ديمقراطية، ويسرنى أن أرسل اليكم بهذا المقال، واسمح لى بعد أن أكدت إعزازى وتقديرى لك أن أذكرك بأن مقال والدى هذا لم يكن موضع ترحيب منك فى ذلك الحين، وأنك علقت عليه ضمن مقال لك نشر فى الأخبار بتاريخ ٢٥ مارس ٥٤ بعنوان (سلاطة) تحت يدى صورة منه أتشرف بأن أرسلها اليك أيضا .

ربما كان لك فى ذلك الحين بعض المبررات فيما ذهبت اليه فى مقالك من معارضة أو تشكك فى موقف المرحوم والدى. ولكن أتساءل بعد أن مضت كل هذه السنوات، وبعد أن وقعت كل هذه الأحداث، أليس من الإنصاف أن تعود بذاكرتك وبذاكرة قرائك الى هذا الموقف لتعلق عليه من جديد فى ضوء التطورات والتغيرات التى مررت بها والتى مرت بها مصر كلها ؟

إنى أكتب اليك هذا بمناسبه ذكرى أحداث مارس، وبمناسبه ذكرى وفاة والدى المرحوم يوسف صديق فى ٣١ مارس ٧٥ وأترك لك الأمر فيما تراه إنصافا للحقيقة وأبراء للذمة. وعشت لنا دائما متألقا فى دفاعك عن حرية مصر وكرامتها ومستقبلها .

السيدة/سهير يوسف صديق

ومره اخرى يعود مصطفى أمين الى نفس الموضوع فى مقاله المنشور يوم ٢٨ مارس ١٩٩١ والذى يقول فيه:

● (هذا الرجل اختلفت معه وأحببته. حاربنى وحاربته، طالب برأسى واحترمته. اختلفت مع البكباشى يوسف صديق، كان يؤيد محمد نجيب، وكنت أؤيد جمال عبد الناصر، وكان يقول لى إن جمال عبد الناصر يريد أن يكون ديكتاتورا، وكنت أؤكد له أن جمال عبد الناصر يريد الديمقراطية وأن زملاءه أعضاء مجلس قيادة الثورة هم الذين يصرون على الدكتاتورية.

وتحـمل هذا الرجل فوق مـا يتـحمله البـشـر، كان دمـه ينزف وهو يقـود القوة المكلفـة بالاستيلاء على رئاسه الجيش فى القبة والقبض على كل القادة، وحدد له عبد الناصر موعدا للتحرك، ولم يحترم هو هذا الموعد، وتحرك قبل ساعـة من ساعة الصفر، وأعتقد البعض أن هذا سيؤدى الى فشل الثورة، وأثبتت الأيام بعد ذلك أن تحركه هذا هو الذى أنقذ الثورة من الفشل، فقد ظهر أن الملك عرف بهذا السر قبل موعد التحرك بعدة ساعات.

وقيل إنه شـيوعى، ولهذا أخرجـوه من مجلس الثورة، ولم يحاول أن يحـارب الثورة، وبقى يتـفرج من بعيـد، ولكن القبـضة الحديـدية وصلت اليه واعتـقلته واعـتقلت زوجـته وشقيق زوجته، وعاش بعد ذلك مطاردا مغضوبا عليه من كل الجهات .

وكان شريفاً فى خـصومته، يقول رأيه ولا يخاف وضع رأسه علـى كفه ليلة ٢٣ يوليو، وبقى واضعا رأسه على كفه الى أن مات، تعرض لأزمات مالية حتى جاء وقت لا يجد فيه ثمن الدواء. ومع ذلك لم يمد يده للسلطات، ولم يرسل يرجو ويتوسل يطلب العفو، كان يستطيع فى تلك الليله أن يحكم مصر، وأن يطالب بحقه فى قيادة الثورة.

ولكنه كـان رجـلا مـتـواضعـا يرفض أن يفـرض نفـسـه أو يطالب بحـقـه فى النفـوذ والسلطان. قـال لى يومـا لبضع سـاعات كنـت أستطيع أن أصبح حـاكم مصـر، ولكننى فضلت أن أتراجع خطوتين الى الوراء خشيـه أن تفشل الثورة، ولست نادما الآن على أننى فـعلت ذلك. كـان بطلاً يمـشى كـبطل، ويفكر كـبطل، ويتكلم كـبطل.. كـانت قـوته فى صموده وفى إيمـانه بأفكاره المتطرفة، وفى أثناء أزمة مـارس كتب مقالا يقـول فيه إن الحل هو أن تتـولى الحكم وزارة يدخلهـا الشـيـوعـيـون والإخـوان المسلمـون والاشتـراكـيـون والوفديون، وكتبت مقالا أعـارض فكرته، وأقول أن هذه الوزارة (سلاطة روسية) وقابلنى بعد ذلك وهو يضحك، ويقول تأكد أنها سلاطة بلدى!

إن من حق هذا الرجل أن نطلق اسمه على الشـارع الذى أطلق فـيه الرصاصـة الأولى للثورة .. الرجل الذى قاد الطابور الأول الذى صنع نصر الثوار - يوسف صديق[٢]

ثم يعود مـصطفى أمين الى الكتـابه فى هذا الموضوع مرة اخـرى قبل موته بشـهور فى

---

(٢) الأخبار - مصطفى أمين ٢٨ مارس ٩١

٢٣ يوليو ١٩٩٦ قائلا:

• (اليوم مر على قيام ثورة يوليو أربعة وأربعون عاما. وللثورة أمجاد وأخطاء ونخطىء إذا تصورنا أن الثورة لها أمجاد فقط، وليس فيها أخطاء، ونخطىء أيضا إذا تصورنا أن كلها أخطاء وليس فيها أمجاد.

يجب أن نذكر للثورة أنها نفذت إرادة الشعب المصرى بالخلاص من الملك فاروق ونذكر لها انها حاربت الاستعمار لا فى مصر وحدها بل فى كل البلاد العربية وشمال أفريقيا، ونذكر لها أنها حاربت الإقطاع .

ولكننا فى الوقت نفسه يجب أن نسجل إنها ظلمت قائد الثورة محمد نجيب عندما أنكرت دوره الكبير، وعندما جردته من تاريخه، وعندما منعت ذكر اسمه سنوات طويلة وعندما ألقت به فى السجن اكثر من عشرين سنه .

ولم يكن هذا خطأ الثورة وحدها. بل كان خطؤنا جميعا عندما تحمسنا للثورة ودافعنا عن هذا الظلم. ولأول مره بدأنا نكفر عن هذا الخطأ عندما قررنا أن نذكر اسم محمد نجيب لأول مره عندما بدأنا مشروع إنشاء متحف لمجلس الثورة فى الجزيرة .

وفى هذه المناسبة أيضاً يجب أن نذكر دور يوسف صديق الذى كان أحد أبطال يوليو، ثم أقلناه من منصبه، ودور عبد المنعم أمين ودورخالد محيى الدين، وأن نشيد بعبد اللطيف البغدادى ، وكمال الدين حسين وأنور السادات ، وزكريا محيى الدين ، وجمال سالم ، وصلاح سالم ، وعبد الحكيم عامر ، وحسين الشافعى، وحسن إبراهيم.كل هؤلاء وعلى رأسهم الرئيس جمال عبد الناصر وضعوا رؤوسهم على أيديهم وهم يقودون ثورة مصر التى حررت مصر من الاحتلال الأجنبى ، ومهما كانت الأخطاء التى وقعت والمظالم التى ارتكبت فإنها لايمكن أن تنسينا الأمجاد التى تحققت.

وغلطه الثورة الكبرى هم حكم الفرد والديكتاتورية وغياب حقوق الإنسان المصرى فترة طويلة من الزمن، والحمد لله أننا بدأنا نصلح هذه الأخطاء. وصحيح أن خطواتنا بطيئة. ولكن المهم أنها مستمره، وأن الشعب المصرى مصر على الحرية والديمقراطية الحقيقية، وحقه ان يحكم نفسه بنفسه. مصر لن تنسى فضل أى رجل خدمها وضحى من

أجلهاوفى ميدان التضحية متسع للجميع [٣].

وكل ما يمكننا أن نقول تعليقا على كل ذلك هو أن مصطفى أمين قد تصرف بشجاعة عندما اعترف بخطئه، ورد للرجل اعتباره بعد أكثر من أربعين عاماً!

مبادىء يوسف صديق وآراؤه

يروى يوسف صديق فى مذكراته أنه وافق على الانضمام الى تنظيم الضباط الأحرار بعد أن أطلع على منشورات هذا التنظيم، وبصفة خاصة على المنشور الذى أورد المبادىء السته التى استهدفها هذا التنظيم وهى :

- القضاء على الاستعمار وأعوانه .
- القضاء على الإقطاع .
- القضاء على سيطرة رأس المال .
- إقامة عدالة اجتماعية .
- بناء جيش وطنى قوى .
- إقامة حياة ديمقراطية سليمة .

وكان يوسف صديق يعتبر أن تلك المبادىء الستة هى بمثابة ميثاق يربط بين جميع الضباط المشاركين فى الحركة، وأنها تمثل أساسا صالحا لتوحيد كل القوى الوطنية فى البلاد حولها، والذى يقرأ ما كتبه يوسف فى مذكراته، وفى مقالاته التى نشرها إبان أزمة مارس، أو حتى فى أشعاره التى كتبها قبل سنوات طويلة من قيام الثورة، والذى يعرف مواقف يوسف طوال تاريخه، سواء قبل الثورة أو بعدها، يعرف حق المعرفة، أن اقتناعه بالمبادىء السته للضباط الأحرار لم يكن اقتناعا سطحيا، ولم يأت من فراغ، وذلك أنها كانت صدى للمبادىء والآراء التى ظل يؤمن بها ويناضل من أجلها طول حياته. وكان يوسف مؤمنا بأن هذه المبادىء هى كل لايتجزأ، وأنها تكون برنامجا متكاملا للثورة الوطنية الديمقراطية، بحيث أن إسقاط أى مبدأ من تلك المبادىء السته، يؤدى الى هزيمة تلك الثورة، ولذلك

(٣) الأخبار - مصطفى أمين - ٢٣ يوليو ٩٦.

كان غضبه شديدا - بعد نجاح الضباط الأحرار فى الاستيلاء على السلطة - حين وجد أن أغلبية أعضاء مجلس الثورة كانوا يحاولون التملص من الالتزام بالمبدأ الديمقراطى، وهو أحد المبادىء الستة التى كانت تشكل الميثاق الذى تعاهدوا عليه برنامجا للثورة، وذلك سعيا وراء الاستئثار بالسلطة، وانسياقا وراء الإغراءات والنصائح المضللة - التى كان يقدمها المغرضون - ولم يكن غضبه لمجرد شعوره بأن الآخرين قد خدعوه بتظاهرهم بالإيمان بالمبدأ الديمقراطي أولا، ثم بتخليهم عن هذا المبدأ، بل كان - بالدرجة الأولى - لأنه كان يؤمن بأنهم بهذا يخرجون بالثورة كلها عن مجراها الوطنى الديمقراطى، ويعرضونها للفشل فى تحقيق أهدافها جميعا فى نهاية المطاف. ذلك أن إقصاء الشعب عن ممارسة حقوقه وحرياته، ومصادرة إرادته، كانت تعنى أن أى بناء أو إصلاح يتم بعد ذلك، سوف يكون قائما على الرمال، وسوف يكون معرضا للانهيار والضياع، وهذا هو سر غضبه العارم لهذا الخروج على مبادىء الثورة، فقد كان يشعر أنه يدافع عن مستقبلها، ومن ثم عن مصير الشعب. كان يوسف صديق يؤمن بأن طريق البلاد الى المستقبل انما يمر عبر أربعة محاور هى:

- الوطنية: وتعنى ضرورة النضال لتحرير البلاد من ربقة الاستعمار بكل مظاهره وأشكاله، ثم الحفاظ على الاستقلال الوطنى فى مواجهة المصالح والمخططات الاستعمارية والصهيونية التى تتهدده فى الحاضر والمستقبل .

- الديمقراطية: وتعنى تحقيق الإرادة الشعبية الكاملة، وأن يحكم الشعب نفسه بنفسه، ودون أية وصاية من أحد، ولايتحقق ذلك الا بنظام حكم ديمقراطى، وبتو فير كل الحقوق والحريات للشعب .

- العدالة الاجتماعية: وتعنى حماية طبقات الشعب العاملة والفقيرة من الفقر والاستغلال والدفاع عن حقوقها فى حياة كريمة، والعمل على رفع مستواها المادى والثقافى.

- التقدم: ويعنى العمل على الخروج بالبلاد من دائرة التخلف السياسى، والاقتصادى، والاجتماعى، والثقافى، المفروض عليها منذ العصور الوسطى، لتواكب حركة التطور

الحاصل على المستوى العالمى .

ومن هنا كـان إيمان يوسف بالاشـتـراكيـة بمفهـومهـا الذى يجـمع بين تلك الأهداف الأربعة جميعا، فالاشـتراكية التى كان يؤمـن بها يوسف، هى التى تحمى استـقلال البلاد، والتى ترفض الهيمنة الأجنبية على الإرادة الوطنية، مهما كـانت الأسباب والمبررات. ومن هنا كانت نظرته للصـداقة مع الدول الاشتراكيـة، ولحدود تلك الصداقة، باعتـبارها وسـيلة لتوفير أسـباب القوة السياسية والاقتصادية والعسكرية اللازمة لتحقـيق الاستقلال الوطنى وصيانته بعد ذلك، وعلى اعتبار أن المعسكر الاشـتراكى هو الحليف الطبيعى لحركة التحرر الوطنى، فى مواجهة القوى الاستعمارية .

ولم تكن الاشتراكية عند يوسف تنفـصل عن الديمقراطية ، بل كـانت متممـة لها، أو بمعنى أصح ، كـانت الاشـتـراكـيـة هى تحـقيق لـلديمـقراطـية فى المجـالين الاقـتـصادى والاجتماعى، وكذلك فلم تكن الاشـتراكية عنده اشتراكية حادة أو متطرفـة أو تعسفية، بل كانت اشتـراكية إنسانية تـستند فى جوهرها على مبادىء الـعدالة الاجتماعـية الموجودة فى الإسلام.

وقد عـبر يوسـف عن قناعتـه تلك بوضوح فى كـتابه (الإسـلام والمسلمون فـى الاتحاد السوفـيتى) والذى كـتبـه أثناء وجوده هناك للعـلاج ١٩٧٠، غيـر أن الأفكار والآراء التى أوردها فى هذا الكتاب لم تكن جديدة أو طارئـه عليه ، بل كانت هى الأفكار والآراء التى كان قد توصل اليها منذ ما قبل الثورة بسنوات طويلة.

أن إيمان يوسف صـديق بالاشتراكـية، لم يكن يمثل بـالنسبة له أى تعـارض مع إيمانه العـميق بالله، وبالإسـلام، وقد عـبر هو عن ذلك بكل وضـوح، وبشتى الصـور. عبـر عنه سواء فى مـذكراته أو فى كتابه الذى أشـرنا اليه فيـما تقدم، كمـا عبر عنه بصلاته وصـومه وحجه، وبسلوكه الـعملى فى الحياة، وبإخلاصه وشجـاعته وفدائيته التى تستمد جذورها العميقة من إيمانه الدينى.

وهناك مسألة هامة ينبغى التعرض لها بالبيان فى هذا الموضع من هذا الكتاب، وهى مسألة علاقة يوسف باليسار المصرى، فقد تردد كثيرا أن يوسف شيوعى. فما مدى الحقيقة فى هذا الأمر؟ تحدث يوسف صديق فى مذكراته عن علاقته بالشيوعيين قائلا: (وكان لقائى مع الشيوعيين فى الأربعينيات) ثم يقول (كما أستطيع أن أقرر وأنا مطمئن على عقيدتى ودينى أننا إذا استبعدنا قضية (الإلحاد) التى لا تفرضها الاشتراكية على أحد ولا تعتنقها غير قلة من الشعوب الاشتراكية الرائدة - فإن كل ما تحويه الاشتراكية بعد ذلك يطابق الإسلام) وهكذا يعرض فكره بنفسه حتى يصل إلى فصل يقول فيه (ص ٢٥) (لماذا تركت الشيوعيين؟):

١ - رغم اقتناعى بأن الشيوعيين كانوا أقرب الاتجاهات الثائرة على الأوضاع إلى قلبى إلا أننى تركتهم عام ١٩٥١

٢ - تركتهم لأنهم انقسموا على أنفسهم حتى بلغ عدد المنظمات عند قيام الثورة نحو عشر منظمات. فتفرقت بهم السبل حتى بات الخلاص على أيديهم بعيد الاحتمال.

٣ - تركتهم لأنى تلاقيت مع حركة الضباط الأحرار الذين يمكن تحقيق الخلاص على أيديهم بسرعة، وكنت دائماً أعتقد فى ذلك، وقد بشرت به فى مواقف مختلفة لى فى الجيش.

٤ - فى المحاضرة التى ألقيتها فى كلية أركان حرب لأحصل بها على الشهادة قلت موجهاً كلامى إلى زملائى من الضباط الدارسين ما خلاصته إن خلاص البلاد لابد أن يتم على أيديكم.)

ولاشك أن تلك الفترة التى قضاها مع الشيوعيين قد أثرت تفكيره وجعلت اتجاهه يسارياً حتى بعد أن ترك الشيوعيين، ولاجدال أنه كان على صلة غير تنظيمية بحدتو، فتعرفه على إبراهيم عبد الحليم الذى كان يعمل موظفا مدنيا معه فى إدارة السجلات العسكرية وهو شقيق كمال عبد الحليم، كذلك فإن شقيق زوجته وابن خاله محمود توفيق

كان عضوا بذلك التنظيم، كما أن زوجته السيدة علية كانت عضوا أيضا فى ذلك التنظيم.

وعندما طلب محمود توفيق من يوسف إيواء كمال عبد الحليم وإخفائه، لفتره من الوقت ١٩٤٨ . لم يتردد فى ذلك, كما كا نت المنشورات تطبع هناك أيضا أحيانا. وفى الحقيقة فلقد كان يوسف نموذجاً مشرفاً كضابط جيش حر ثائر وشجاع. فكان طبيعياً أن يلفت نظر الضباط الأحرار، وأن يسعوا لضمه. على أن اليسار المصرى كان ومايزال يعتبره من رجاله، وبذلك يفتخرون بأن الشيوعيين كان لهم دور هام فى قيام الثورة من طبع المنشورات وتوزيعها حتى ليلة ٢٣ يوليو.

يقول خالد محيى الدين[١] (وبعد حريق القاهرة انتقل الرونيو إلى حدتو وهكذا أكتملت الدائرة - حدتو تسهم معنا فى صياغة المنشور - عن طريق - أحمد فؤاد - ثم يكتب عندها على الآلة الكاتبة، ثم تقوم بطباعته وتقوم مجموعة من ضباطها بإرسال الجزء الأكبر منه بالبريد، وبينما تسلم لنا كمية لتقوم المجموعات بتوزيعها باليد على عدد من الضباط الموثوق فيهم، أو توزيعها على ميسات الضباط وفى المكاتب وعلى رئاسات الجيش).

ويقول أحمد حمروش [٢] (وكان طبيعياً من حدتو أن تبادر إلى التأييد. لأن منشورات الضباط الأحرار كان تطبع فى جهاز مطبعتها السرية بعد حريق القاهرة، وتوزع أيضاً بواسطة أجهزتها، وبعض أعضائها كانوا يؤدون دورا بارزاً فى حركة الضباط الأحرار وكانت لجنة قسم الجيش تضم أحمد فؤاد مسئولاً للدعاية، ومن كاتب هذه ا لسطور مسئولاً للسياسة، وقد استطاع احمد فؤاد أن يخلق علاقة طيبة مع جمال عبد الناصرالذى تعرف عليه عن طريق خالد محيى الدين الذى كان عضواً فى تنظيم قسم الجيش هو ويوسف صديق وعدد آخرمن الضباط الأحرار).

مما دعانا الى طلب شهادة الأستاذ محمود توفيق (الذى كان عضوا بارزا فى تنظيم حدتو فى ذلك الوقت) بسؤال محدد على النحوالتالى :

---

(١) الآن أتكلم ص ٩٠

(٢) ثورة يوليو جـ١ ص ٢٨٦

● س : هل كان يوسف صديق شيوعيا ؟

● ج : يوسف صديق كان شيوعيا، وفى نفس الوقت لم يكن شيوعيا، بمعنى أنه كان متعاطفا مع الفكر والاتجاه بصفة عامه من حيث إنهما يعبران عن الرغبة فى تحقيق العدالة الاجتماعية، وإنصاف الفقراء، والمظلومين، والكادحين، وأيضا فى تحرير الشعوب المستعبدة بواسطة الاستعمار، وكان يرى أن كل ذلك يتفق وجوهر الإسلام، ولكنه فى نفس الوقت لم يكن على قناعة ببعض الأفكار الماركسية، وبالذات من ناحية الفلسفه الماديه التى تعتبر ركنا من أركان الماركسية، والتى تتعارض مع الإيمان الدينى، كذلك فهو لم يكن مقتنعا بفكرة دكتاتورية البروليتاريا كأسلوب للحكم عند نجاح الثورة الاشتراكية، فهو كان من حيث المبدأ ضد أى دكتاتورية، وكانت قناعته بالحرية والديمقراطية تحول بينه وبين تقبل فكرة دكتاتورية البروليتاريا، هذه بصفة عامة عن الشيوعيين، أما بالنسبة للحركة الشيوعية فى مصر فكان معجبا بإخلاص الشيوعيين المصريين لمبادئهم وما يتحلون به من روح نضالية، ومن استعداد للتضحية فى سبيل المبدأ وفى سبيل مصلحة شعبنا ووطننا، ولكنه من ناحية اخرى لم يكن يقبل ظاهرة الانقساميه، فهى تنفره من التنظيمات الشيوعية بصفة عامة، غير أنه كان يتعاطف بشكل خاص مع الحركة الديمقراطية (حدتو)، فقد كان على اتصال وثيق ببعض أعضائها، ومن خلالهم كان يعرف اتجاهاتها، ويقرأ الكثير من مطبوعاتها، ومن هؤلاء (أنا) بطبيعة الحال بحكم صلتى العائليه. والشخصية وإقامتى معه فترات طويلة وما كان بيننا من صداقه - رغم اختلاف السن، كذلك كانت له صلة من خلالى بالشاعر (كمال عبد الحليم) الذى كان صديقا لى وزميل كفاح بالحركة الديمقراطية، وكان من قادتها البارزين، كذلك فقد كانت له صله بالكاتب (إبراهيم عبد الحليم) شقيق كمال، والذى كان يعمل معه موظفا اداريا بالسجلات العسكرية التى كان يوسف مسئولا عنها من الناحية العسكرية، وأتاح له ذلك فرصا عديدة للقاء يوسف والحديث معه، وكان إبراهيم فى هذه الأثناء عضوا بالحركة الديمقراطية، وله دور مهم من النواحى التشقيفية للحركة، وكان يعرفنى ويعرف صلتى بيوسف من خلال أخيه كمال، لذلك كانت صلته بيوسف صلة معرفه وصداقه وثيقه، وبدأ يوسف يتعاطف مع الحركة،

حتى انه كان لايتردد فى تقديم العون اليها بأى صوره تطلب منه، من ذلك المعونات المالية، وكذلك المساعدات العملية. فقد حدث أن آوى كمال عبدالحليم فى بيته بثكنات العباسية لفترة من الزمن كان فيها كمال مطلوبا القبض عليه وهاربا من البوليس، كما حدث أنه أخفى في بيته جهاز طباعة بالرونيو، ومره أخرى جهاز طباعه بالبالوظة، بل شارك ذات مره فى العمل على جهاز البالوظة هذا وطباعة أحد البيانات التى أصدرتها الحركة الديمقراطية ١٩٤٨ وكان قد نسخ هذا البيان بخط يده بالحبر الزفر، ثم قام بطبعه على البالوظة بعد ذلك، نظرا لوضوح وجمال خطه، وكل هذه الخدمات التى كان يؤديها للحركة الوطنية كانت تعبيرا عن تعاطفه مع هذه الحركه وما تقوم به من أعمال نضالية، كما أنه كان تعبيرا عن رغبته فى المشاركة باى جهد فى النضال ضد الاستعمار البريطانى ونظام الحكم الملكى القائم فى ذلك الوقت، وأعتقد أن هناك سببا أخر لايقل أهمية عن كل ذلك وهو طبيعة يوسف صديق وما جبل عليه من أخلاق الفرسان وشهامتهم، أو ما يسمى باللغة الدارجة المصريه (الجدعنة) والتى تجعله دائما سباقا ومبادرا ومتطوعا لأعمال الفروسية والشهامة، وهذه المسأله هى التى لعبت الدورالرئيسى، وربما الأوحد فى مشاركة يوسف فى حركة الضباط الأحرار، وفى ليله ٢٣ يوليو، وهى التى تفسر طريقة تصرفه فى تلك الليلة، ولكن يوسف كان دائما يعبر الى جانب تعاطفه مع نضال الشيوعيين المصريين والحركة الديمقراطية عن انتقاداته للشيوعيين سواء من الناحية الفكرية، وموقفهم من الدين، أوعن انخراطهم فى الانقسامية، أوعن اعتمادهم فى النضال على المنشورات والاجتماعات فقط، وكان يعتبر هذه الأساليب غير منتجة، وأن الأمر يتطلب استخدام وسائل أكثر فعالية من الناحيه العملية، وهذا بالتحديد هو الذى جعله ينضم الى حركة الضباط الأحرار دون تردد عندما عرض عليه ذلك على أمل أن يجد فى هذه الحركة الاتجاه الى تحقيق الأهداف بوسائل أكثر إيجابية وأكثرعملية بحكم الطبيعة العسكرية للضباط.

من هذا العرض أستطيع أن أقول أن التشخيص الصحيح لموقف يوسف هو: أنه كان متعاطفا مع الحركة الديمقراطية بدرجه كبيرة. لكنه فى نفس الوقت كان متعاطفا أيضا مع كل الاتجاهات والتنظيمات، والأحزاب الوطنية، والمعارضة للاستعمار والنظام القائم،

وهذا الاتجاه ظل معه حتى النهاية، وهذا يفسر الكثير من مواقفه قبل الثورة أو بعدها، فقد كان يشعر بالارتباط والانتماء الى الحركة الوطنية المصرية، بكل فصائلها، وهو ما عبرعنه فى أزمة مارس ٥٤ بكل وضوح، وكان يعيب على سلطة يوليو أنها تورطت فى الخصومة مع كل التيارات الوطنية الأخرى، ولم يكن ذلك فى صالح الثورة أو الوطن، ويمكننى إن أقول أن كل هذه العلاقات مع الحركه الشيوعية لم تصل الى درجة الانتماء التنظيمى بشروطه المعروفة. سواء مع الحركة الديمقراطية أو مع غيرها، فشروط الانتماء التنظيمى هى القبول بالفكروالبرنامج واللائحة، والانتظام فى احدى الوحدات التنظيمية، ولم تكن هذه الشروط تنطبق على يوسف صديق من ناحيه، بحكم طبيعته وأفكاره، ومن ناحية أخرى، بحكم اعتبارات الأمن التى كانت تحول بين إدخال الضباط فى صلب البناء التظيمى السرى للحركه، لكن الحركة الديمقراطية حلت هذه المشكلة عن طريق إنشاء تنظيم خاص لضباط الجيش تابع لها، يتكون كله من الضباط، وحلقة الصلة بينه وبين التنظيم، هى أحد هؤلاء الضباط وهو: أحمد حمروش، ويشرف عليه من الناحية السياسية أحد الكوادر السياسية البارزين وهو القاضى (أحمد فؤاد)، وفيما عدا ذلك لم يكن هناك أى اندماج، بين هذا التنظيم، وبين التنظيم الأم للحركة، وعضوية يوسف أوغيره من الضباط فى هذا التنظيم التابع لم يكن معناها أنه عضو فى الحركة الديمقراطية (حدتو).

الباب التاسع

رحيل البطل

نعـرض فى هذا الفصـل الأخيـر من الحديـث الى ظروف مرضـه. فنلقى الضـوء على صراعه الطويل مع المرض، كذلك ظروف وفـاته وجنازته، ونورد بعض ما كتب فى تأبينه، ثم نلقى الضوء على مـذكراته، و شعره، و كـتابه عن المسلمين، ثم نستـعرض بعض نماذج من شعره، بعد أن بينا ظروف ضياع ديوان شـعره، وغرضنا من ذلك إلقاء الضوء وتعريف القارئ بفكر يوسف صديق، كذلك فإن شعـره (فى اعتقادى هو أصدق مؤرخ عنه) علاوة على مافيه من قيمة أدبيـة، ونرجو أن نوفق فى نقل صورة قريبة الى القارئ عن هذا الجانب الإنسانى فى حياة الرجل .

(١) المرض والوفاة

قدرت لى الأيام أن ألمس الكـثير، وأن أرى الكثـير من حيـاة يوسف صديق فى فـترات مختلفة من حياته، لاحظت صبره على اجتياز المحنة القاسية، واليوم (وقد تجاوزت الستين) وأنا أحاول الكتابة عنه يمر بذاكرتى شريط طويل من ذكريات تلك الأيام البعيدة فى صباى عندما كنت دون العشرين، كنت أسهر معـه فى حديقة منزله بعزبة النخل، بعد خروجنا من السجن، وتحديد إقامته هناك، وقد انتشرت أشجار المانجو المثمرة بها حتى قرب مطلع الفجر، تطل علينا أعين المخبرين وجنود تحديد الإقامـة بين الحين والآخر. كان الرجل يملك ناصية الحديث، فـقد كان شـاعراً أديباً ومـفكراً، وكنت أحاوره فى كـثير من الأمـور - رغم فارق السن بيننا، وكان الحوار بيـننا ممتعاً، وكثيراً مـا حدثنى عن مرضه، ورحلتـه الطويلة معه منذ كان فى العـشرين من عمـره، لكنه كان قد تـعود على الألم، غيـر أن الآلام التى سببـها له المرض، كانت أهون بكثـير من الآلام النفسـية التى سببـها له غدر الرفـاق ونكرانهم، وكان يحدثنى دائماً عن آلام المرض، لكنه لم يحدثنى أبداً عن آلامه النفسية، وكنت أشعر بها رغم حداثة سنى. وأحاول أن أصف للقارئ فى إيجاز رحلة هذا البطل مع المرض فيما يلى

عانى من المرض فى عمـوده الفقرى من ١٩٣٤ حتى عام ٤٤ أى حـوالى عشر سنوات أثر تعرضـه لحادث موتوسيكل فى بداية خدمتـه، أدت الى تسوس فى بعض الفـقرات،مما ألزمه وضع جاكتة من الجـبس، ثم حزاماً حديدياً حول ظهره لفترة أخـرى. كثيراً ما كنت

أراه عام ٥٥ ينـام على الأرض واضعاً ظـهره وهو يعـانى من الآلام - رغم مرور عـشرين عاماً عـلى حادثة الموتوسيكل، و لم يكد يخلع جـاكتة الجبس سنة ٤٤ حـتى أصيب بنزيف فى الرئة اليسرى ١٩٥٠ أثناء خدمتـه فى السودان، وقد وصف فى مذكراته، نقله بالطائرة الى المستـشفى العسكرى بالقـاهرة، لكن النزيف ظل يعاوده، وفى ليله الثـورة، قام يوسف بدوره الحـاسم وهو يعـانى من نزيف بالرئة. ولم يعـالج علاجـا حـاسمـا، حـتى تطور فى النهاية الى الإصابة، بالسل والسـرطان فى تلك الرئة مما أدى الى استئصالهـا فى نهاية الأمر بلندن، وظل يعـانى منها حتى الوفـاة . وعقب الأحداث الجـسام التى مـرت به من السجن والتنكيل له ولأسرته بالشكل الذى أوضحـناه أصيب بمرض السكر وضغط الدم، وفى سنة ٧٠ ذهب لزيارة جـمال، وأخـبره عن مـرضه فـأشار عليـه بالذهاب الى موسكو للـعلاج، ولكن إجراءات السـفر تأخرت حـتى صيف عام ٧٠ وسـافر الى موسكو للعـلاج، وكان مرضه الظاهر فى ذلك الوقت هـو السكر والإكزيما وتم الكشف عليه هناك ، والحقـيقة أن مـرضه العـضال لـم يكن فى ارتفاع نسبـة السكر فى الدم، ولافى مـرض الأكزيمـا الذى أصاب يديه، لقـد كان يشعـر أنه خائر القـوى، وقد عزى الأطبـاء الروس ذلك الى مرض السكر، ولم تكن هذه هى الحـقيقة. كـما أظهرتهـا الفحوص بعـد ذلك. وقد انتهز فـرصة العلاج وقام بتأليف كتابه القيم عن المسلمين فى الاتحـاد السوفيتى. وعاد لموت عبد الناصر سـبتـمـبر ٧٠ .وفى سنة ٧٢ سـافـر الى لندن للعـلاج وأخذ مـعه تـقارير الأطبـاء الروس والمصريين عن حالته الصحية، وما كادت المسـتشفى الإنجليزية تضعه تحت الفحوص بعمل التحالـيل والأشعات حتى ظهرت المـفاجأة الكبرى. كان يـتحدث مع طبيبـه الإنجليزى عن شكواه من السكر فقال له الطبيب إن مـرض السكر ليس هو المرض الحقيقى الذى أدى الى حالته الراهنة، وإنما قد أظهرت الفحـوصات وجود ورم بالرئة اليسرى وبتحليل هذا الورم تبـين إصـابة هذه الرئة بمرضـين من أخطر أمـراض العصـر وهمـا السل والسـرطان . وأن المرض قد تمكن من ثلث الرئة الـسفلى ولابد من استـئـصاله على الفور، وأدخل الى غـرفة العمليات على وجـه السرعة وأجريت له جراحة خطيـرة وسريعة تم فيها استـئصا ل ثلثى

الرئة اليسرى. وقد شاهدت بنفسى صور ألاشعة بعد الاستئصال .ثم عاد الى لندن مرة أخرى سنة ٧٣ وكنت أقيم فى لندن فى ذلك الوقت، وقد قابلته هناك فوجدت حالته الصحية متدهورة للغاية، ولبثت معه أزوره، وأتردد عليه طوال فترة إقامته فى تلك الزيارة . وقد روى لِ [illegible] ـب عن تلك الأيام: أن الطبيب الإنجليزى طلب منه الإقلاع عن التدخين فسأله يوسف: وكم يطيل ذلك فى عمرى قال الطبيب حوالى ستة شهور. فقال إن ذلك لا يساوى شيئاً .. فقال له الطبيب متعجباً انك أشجع مريض قابلته فى حياتى !!.

عدت من لندن فى أوائل عام ٧٤ وذهبت لزيارته فى منزله لأعوده وأسلم عليه فوجدته طريح الفراش، وقد تمكن منه المرض ورحت أدعو له بالشفاء، وكنت قد تحدثت معه فى لندن عن ضرورة كتابة مذكراته بخط يده وقد استجاب لطلبى. فكتب تلك المذكرات التى بين يدى الآن وقد سبق التحدث عن ذلك، كان هذا آخر لقاء أراه فيه. وخرجت من بيته هذه المرة، وقد خالجنى شعور باقتراب الموت منه بعد أن ظل يصارع المرض زمنا طويلا أكثر من أربعين عاما !! وتلقى ابنته (سهير) الضوء على تلك الفترة فتقول :

(وفى فتره مرضه الأخير زاره بمنزله عدد من رفاقه منهم السيد حسين الشافعى، وكان نائبا لرئيس الجمهورية، ومن الضباط الأحرار السادة عبدالمجيد شديد، ووحيد رمضان، واحمد حمروش، وفى هذه الأثناء قمت بزيارة الأستاذ عبدالرحمن الشرقاوى فى مكتبه بروز اليوسف، وشرحت له ظروف مرض والدى، والتى شعرت أنها النهاية، وطلبت منه أن يقوم عدد من الكتاب بالتمهيد لهذه النهاية بالصورة التى يستحقها هذا البطل الذى لا يعرفه الكثيرون، وحتى يعاد للأذهان سيرة هذا الرجل، والتذكير بدوره البطولى فى ليلة ٢٣ يوليو، ونضاله قبل الثورة وبعدها، وقد قوبل طلبى بالترحاب من كل المخلصين وعلى رأسهم الأستاذ أحمد حمروش الذى زار والدى بمنزله وكان على فراش المرض، ولما دخل عليه غرفه نومه – أدى له التحية العسكرية – قائلا ومبتسما لسه فاكرين العسكرية ، وقد كتب مقاله فى مجلة روز اليوسف العدد ٢٤٣٦ بتاريخ ١٧ فبراير ١٩٧٥ بعنوان صفحه من يوليو على فراش المرض، استعرض فيها قصه هذا الرجل وبدأها بالتعريف.

الاسم : يوسف صديق

المهنة : بطل

واستعرض فى هذا الموضوع لمحات من حياته ونضاله وأشعاره ومواقفه الشجاعة وجسارته على طول مراحل حياته، وفى عدد روز اليوسف ٣٤٤٠ بتاريخ ٢٤ مارس ٧٥ كتب الأستاذ حمروش مقاله أخرى بعنوان - يوسف المفترى عليه كما قدمت المجلة نداء باسم - يوسف البطل - تدعو فيه محبيه بالدعاء للبطل الذى يرقد على فراش المرض أن يرد عليه صحته، كتبت (أن هذا الرجل الذى وضع رأسه على كفه ليلة ٢٣ يوليو ١٩٥٢ ثم لم يطلب ثمنا، ولا أرضا، ولا ثروة، ولم يسمح لمطمع شخصى بأن يجرفه عن طريق الثورة، هذا الرجل جدير بان تحيط به فى محنه مرضه عواطف كل الذين أحيتهم ثورة يوليو من عدم، وحولتهم من عبيد الى أحرار، ومن رعايا الى مواطنين، وأى الرجال أجدر منه بالحب والدعوات والأمنيات الطيبة، من رجل كل ثرونه فى الحياة أنه أدى واجبه ؟).

وعندما تدهورت صحة يوسف صديق فى الأيام الأخيرة من مارس سنة ١٩٧٥ رأى بعض تلاميذه ضرورة نقله الى مستشفى المعادى للقوات المسلحة، وفعلاً نقل من منزله الى غرفة الإنعاش فى المستشفى حيث كان واضحاً أنه فى ساعاته الأخيرة.

حانت ساعة الرحيل وذهبت ألقى نظره الوداع الأخير على جثمان الرجل الذى أحببته واعتبرته أبى الروحى فتأثرت به وحفظت أشعاره عن ظهر قلب وجمعتها، وكتبت مذكراته فحفرت فى ذاكرتى. تابعت رحلة عمره من طفولتى حتى يوم الرحيل، وطافت بخيالى صور متعددة .

وهاهم رفاقه من أعضاء مجلس قياده الثورة وعلى رأسهم محمد نجيب، الذين أنكروه وحاربوه وتهجموا عليه وشوهوا تاريخه ومواقفه، وهو الذى أجلسهم على كرا سى الحكم. لم يذكروا له صنيعا، فنفوه الى خارج مصر وسجنوه ونكلوا به وبأهله. منعوه من الكتابة أو المشاركة فى أى عمل سياسى طيلة حياته، وأخذوا هم المناصب - والكرا سى، بل إنهم لم يدعوه مرة واحدة طيلة حياته لمشاركتهم فى احتفالاتهم بعيد الثورة، فكانت تلك الأعياد تقام فى يوليو من كل عام، فيحضروها وقد ملأهم الزهو، أما هو الرجل الذى

قام بـالدور الأساسي في نجاح تلك الثورة فـقد بقى منفـيا تارة ومـسجـونا تارة ومـحدد الإقامه منسيـا بقيه العمر!! ثم تواروا جميـعا الى الظل، ولم تدم لهم كرا سى الحكم، ولا نفعهم السلطان !!.

أولئك الرفـاق رأيتهم يمـشون في جنـازة الرجل الذى أنكروه، وعلى رأسهم مـحمـد نجيب ويعترفـون عمليا ببطولته ويرفعون من قـدره!! ولربما طافت بذاكرة كل منهم ملامح تلك الأيام الأولى من الثورة . الدولة الرسـمية كلها برئيس وزرائها ورئيس برلمانهـا وكبار مسئوليها وقادتهـا كانوا يسيرون خلـف عربه المدفع التى حملت جثـمان البطل، ولم يكن ذلك عجيبا فتلك إرادة الله .

وتذكرت قوله في إحدى قصائده :

الحق في جانبي والظالمون همو .·. والله ينصر أهل الحق في الجلل

كانت الجراح قد أثخنت صدر البطل بعد الرحلة الطويلة المرهقة ، ولم تكن الجراح من المرض فقط ، ولو أنه كان طويلا وعضالا ، ولم تكن من ليله الذى طال على مدى عمر من النكران والجحـود ، لكنه كان من ا لصبر على الأذى وتحمل الـقهر والجـور، سرت خلف عربه المدفع حيث حـمل الجثمان ، كان تلاميـذه وأصدقاؤه ومحبوه وعـارفو فضله يبكون، وكان منكروه صامتون يتفكرون، وعندمـا أطلقت الطلقات قبل مواراته التراب، اغلق عليه باب القبر قـفلت راجعا يلفنى الصمت، أغـالب دموعي ومشاعرى، وأنـا أنظر الى السـماء شاكرا !! .

(٢) تأبين الأحرار والمراثى

عاش الرجل بيـننا خمسـة وستين عـاما، وعـاش بعد الثورة ثلاثة وعـشرين عـاما ، لم يذكره أحد إلا قليلا، فطوال عهدى عبد الناصر والســادات ضربت على سيرته ستائر كثيفة من التعتـيم، إلا انه عندما مات، وكان ذلك في عـهد السادات، تسابقت أقـلام الشرفاء من أبناء مصر في رثائه والإشـاده بفضله – رغم ستار التعتيم الذى ظل قـائما، على أنه بعد أن تولى الرئيس حسنى مبارك، انطلقت تلك الأقلام من عقالها وتسابقت في الإشاده بالرجل

بشكل ملحوظ حتى أن القارىء يلاحظ أن ما كتب عنه قبل عام ١٩٨٢ لا يتناسب إطلاقا مع ما كتب بعد هذا التاريخ كما وكيفا. و كان مما كتب في رثائه :

● الجمهورية ٤ أبريل ١٩٧٥ : (احمد حسين)

(تحيه ودعاء لروح يوسف صديق)

وهكذا رأى يوسف صديق إراده الله في أن تنجح الحركة، فآمن بالله وأغرق في الإيمان فلم يزده الجحود الذي قوبل به والمرض الذي ألح عليه إلا إيمانا فجاءت هذه الوثيقة العجيبة التي نشرتها الجمهورية، والتي ترقى بيوسف الى مرتبه أعلام الصوفية فسوف تجد فيها الإشاده بالله، والحمد لله، والسجود لله في كل سطر من سطورها وستجد الرجل الذي أنجح الثورة ، أزهد الناس في أن يتصور إن كان له دور، ويهتف كما هتف أبطال العبور - الله اكبر - الله اكبر - صدق وعده ، ونصر عبده ، وهزم الأحزاب وحده ، رحمك الله يا يوسف صديق لإعطائك هذا الدرس للبشرية، فعسى أن ينتفع به أصدقاؤك المقربون .

● روز اليوسف ٧ أبريل ١٩٧٥ المحرر:

(رحله يوسف صديق)

عندما نشرنا موضوعنا عن يوسف صديق بعنوان (صفحه من يوليو على فراش المرض) أحمد حمروش فبراير ٧٥، كانت أمنيتنا أن يعيش حتى يقرأه، وكانت لنا أمنية أخرى أقرب الى الحلم وهى أن تحدث معجزه ما يسترد بها صحته ويقهر بها الموت الذي يزحف على حياته، وقد تحققت الأمنية الأولى، وقرأ يوسف الموضوع، وعرف أن صفحته باقيه في تاريخ بلاده، وأن ذاكرة الوطن قوية، لا تبخس الأبطال حقهم مهما طال الزمن، أما الأمنية الثانية: فقد انطفأت يوم الاثنين الماضى الى الأبد، رحل يوسف صديق وودعت مصر جثمانه ملفوفا بعلم الثورة، وأحاط به رفاق السلاح القدماء، وشباب المقاتلين الجدد، على طريق رحلته الأخيرة فوق عربه مدفع، وكان يبكى على طول الطريق كثيرون، أما نحن فكان عزاؤنا أنه مضى مطمئنا على صفحته في التاريخ، وواثقا من أن رحلة حياته لم تذهب جفاء، وإنما نفعت الناس، فمكثت في الأرض.

• روز اليوسف ٧ أبريل ٧٥ فتحى خليل:

(حب المقاتل لوطنه)

فى ضمير يوسف صديق كانت مصر لوحه خضراء مثمره تموج بالحق والخير والجمال، يتناثر فى بعض أرجائها نبات طفيلى أصفر كأنه رؤوس الشياطين ، يتطاول أحيانا حتى يكاد يطغى على الصورة، وقد ظل يوسف صديق يحلم منذ صدر شبابه باقتلاع هذا النبات الشيطانى، مصر الخضراء كانت عنده العمال والفلاحون وأبناؤهم حينما يكون هؤلاء الأبناء، فى مواقع الإنتاج أو القتال، ومصر الصفراء هى مصر الإقطاعيين وعتاه الرأسمالين، وخدم أولئك وهؤلاء - مهما زوروا بطاقاتهم الشخصية .

وحين جاءت الفرصة ليلة ٢٣ يوليو، وسط الارتباك الذى نشأ عن التعجيل بالثورة قبل الاستعداد، والارتباك الذى تزايد بعد انكشاف أمر تحرك الضباط الأحرار، شهد التراب المصرى وقع قدمين ثابتين على رأس قله من الجنود، تقتحمان مبنى قياده الجيش، وبذلك سقطت القلعة الرئيسية لمصر الصفراء حينذاك، إن يوسف صديق هو الذى بادر بأول لطمة أفقدت النظام القديم توازنه، وأدخلته فى إغماءة طويلة، ريثما دعم الثوار مواقعهم وأعلنوا عن وجودهم ببيان الثورة الى الشعب فى الصباح، ويوسف صديق اختلف مع زملائه ولكنه كان أمينا على تقاليد مصر الخضراء فى قلبه، فلم يكن من النوع الذى إذا خاصم فجر، وحين صدر أمر بنفيه أصدر هو فى نفس اللحظة قرارا مضادا بأن يعود سرا الى حضن مصر - مهما كانت المتاعب - وتحمل السجن بلا ضغينة ووضع نفسه تحت تصرف زملائه جنديا فى الصف حين تعرضت مصر لعدوان ١٩٥٦، هذا هو حب المقاتل لوطنه .

• الطليعة مايو ١٩٧٥: المحرر

(يوسف صديق فارسا مصريا أصيلا)

لقد كان يوسف صديق بحق واحدا من الديمقراطيين الثورين: تميز بالطهارة والنقاء وبساطه الفلاحين كان فى إمكانه بعد أن أقصى الى الظل، أن يهدأ، وأن يثرى ، وأن ينعم بحياة ناعمة هو أهله وأولاده، ولكنه فضل أن يستمر فى حياته كما هى مؤمنا أن كل نشاط

طفيلى ، وكل عبث بمبادئ الضباط الأحرار التى آمن بها الى زوال، فلم يطلب لنفسه ولا لأهله أى امتياز خاص، كان مؤمنا بالشعب الى أقصى حد. مطالبا بالديمقراطية والحرية محتجا على كل عبث بهما، رافضا لكل محاولة للانقضاض على مبادئ الضباط الأحرار الستة، كان يوسف صديق طرازا خاصا من الديمقراطيين الثوريين، كان شاعرا مرهف الحس، ومقاتلا قوى الشكيمة، عاش غنيا بمواقفه، ورجولته فارسا مصريا أصيلا .

- كتاب تاريخ بلا وثائق دكتور إبراهيم عبده

كان فى قمة الشجاعة وإنكار الذات، وكان فى مطلع المسير أول من وضع المسمار فى نعش نظام عاشت مصر فى ظله قرنا ونصف قرن من الزمان، فاقتحم القيادة العامة واعتقل ضباطها العظام ، والتقط من الطريق كل الضباط الكبار الذين خرجوا للقضاء على الثورة، وحبسهم أو ضمهم إلى جانبه ثم جلس فى انتظار محمد نجيب قائد الحركة الذى كانت الخطة أن يجىء ويقف على رأس ضباطه وجنوده حين يسر له ذلك الكباشى الشجاع المريض بالسرطان، وبعد شهور فصل البطل يوسف صديق من مجلس الثورة، والزم بيته ثم اعتقل، وحرم على الصحف والكتب أن تكتب اسمه حتى يموت موتا أدبيا كما كان يفعل الأباطرة مع خصومهم من أحرار الرومان، ثم مضى الرجل العظيم إلى ربه منذ شهور دون أن يقام له تمثال أو يعد له مثوى فاخر معروف، أو ترصد لأسرته مخصصات ما كان ينبغى أن ترصد إلا لأمثاله الأبطال الصناديد.

- الطليعة أبريل ١٩٧٦ محمد على عامر

(عام على غياب البطل)

مضى عام على غياب يوسف صديق الفارس المقدام ، أحد صناع ثوره يوليو، كثيرون هم الرجال الشجعان الذين يضحون من اجل أوطانهم، لكن هؤلاء الذين يمتلكون الشجاعة وروح التضحية، ويمتلكون معها وضوح ا لرؤية، والقدرة على توجيه الضربة الحاسمة فى اللحظات التاريخية المحددة، هؤلاء قليلون جدا، لقد كتب الكثير عن تاريخ ثورة يوليو، وعن دقائق ليلة يوليو، ولقد اختلف الرواة فيما بينهم، تشابكوا حول هذه الحقيقة أو تلك ، لكن شيئا واحدا اتفقوا وأجمعوا عليه هو الدور البارز والمتميز والحاسم

للقائمقام يوسف منصور صديق، والبطل دائمـا بطل، يخوض الثورة كما يخوض الحرب، كمـا يخوض السيـاسة مبرزا مـتميـزا، ففى ميـدان القتال فى حرب فـلسطين، كان يوسف صديق نمـوذجا احتـذى للضابط المصـرى - هكذا تؤكد وثائـق الحرب ، ولنقدم كـنموذج وثيقة واحدة منها :

رئاسة القوات المصرية بفلسطين

رقم القيد ٤ / ٥ / ٤٨ / ٤٠٨

المجدل فى ٢٥ / ٧ / ١٩٤٨

• حضره صاحب العزة قائد اللواء الثانى مشاه

قمت اليـوم بالمرور على كـتيبتى البنـادق السادسة المشـاة والسابعة المشـاة فى مواقـعهم الدفاعيـة فى قطاع اللواء قيادة عزتكم، وقد لاحظت الملاحـظات الآتية التى أرجو أن تنال عناية عزتكم :

• كتيبه البنادق السابعة المشاة (كتيبه يوسف صديق)

إننى أعتـبر المواقع الدفاعيـة لهذه الكتيـبة مثالا يحـتذى به، وتوزيعهـا ينطبق تماما على أصول التـكتيك، الأمرالذى يـجعلنى أسجـل شكرى لقائدها، وأتعـشم أن يحاول جـميع القادة الوصول بكتائبهم إلى هذا المستوى .

وتفضوا بقبول فائق الاحترام

لواء

قائد عام القوات

المصرية الفلسطينية

ومن البطولة فى مـيادين القتـال، إلى البطولة ليلة الثورة، خـيط واحد ممتـد ، أمسك به ذلك الرجل الذى وصـفتـه مجلة آخـر ساعة (العـدد ٩٣١ بتاريخ ٢٧ / ٨ / ٥٢) قـائله: "عملاق طويل عريض، لفحته الشمس فى معسكرات الجيش فجعلته أشبه ما يكون بتمثال من البرونز لفارس محارب مدرع من القرون الوسطى. دبت فـيه الحياة بمعجزة. فخرج إلى عـالم المغـامـرات، والـفـارس الأسطورى لا يلبث أن يصطدم بـأى انحـراف عن أهدافـه

الواضحة، فيقدم استقالته من مجلس قيادة الثورة فى فبراير ٥٣، ولكن دين الثورة عليه، ودينه على الثورة يبقى لثورته دائما، وفى خضم أزمه مارس ٥٤ يوجه يوسف صديق رسالة إلى محمد نجيب، وتمضى الأحداث بمصر، ويبقى البطل بطلا كما هو، الإباء والشمم والرفض لكل ما يخالف ضميره ومبدأه والتزامه، وتمضى السنين، ويترجل الفارس العملاق مستريحا، وستمضى سنون عديدة، وتأتى أجيال وأجيال، ولكن اسم يوسف صديق سوف يظل على الدوام منقوشا فى قلب مصر كواحد من أعز أبنائها وأكثرهم إخلاصا وتفانيا فى حبها ، كنموذج ملهم للمناضل المؤمن بالاشتراكية العلمية والقادر على الدوام على التضحية دفاعا عن مبادئها والتزاما بأهدافها.

ويوسف صديق الضابط الثائر، المناضل الاشتراكى كان أيضا شاعرا يصوغ مواقفه شعرا يقول فيه:

إنا وهبنا للجهاد نفوسنا .·. لا تبتغى ربحا ولا أطماعا

والمؤمنون الصادقون يزيدهم .·.ظلم الحوادث شدة وصراعا

ونفوس أهل الحق تأبى حرة .·. وكريمة أن تشترى وتباعا

(٣) إنتاج يوسف صديق الأدبى والفكرى

لم يترك يوسف صديق إلا إنتاجا محدودا فى حجمه نتيجة للظروف التى تعرض لها، فقبل الثورة حاول جاهدا أن يقول رأيه تارة فى شعره، وتارة فى خطبه ومحاضراته، أو فى دفاعه عن المظلومين، أما بعد الثورة فلم يسمح له بنشر شيء يذكر ونلقى الضوء فيما يلى على أهم ما تركه يوسف صديق من إنتاج مكتوب .

(أ) مذكراته «ليلة عمرى»

أزعم أننى أقرب الأشخاص إلى قصة المذكرات. فلقد أتاحت لى الأقدار فى فجر شبابى سنة ٥٣ أن أكون أول من سجّل هذه المذكرات كتابة حيث أملاها علىّ صاحبها فى قريتنا عقب عودته من المنفى مباشرةً. ولست أدرى ماذا كان مصير تلك النسخة الأولى من

المذكرات - وقد كانت بخط يدى - وبعد الثورة طلب عبد الناصر من الضباط الأحرار الذين شاركوا بأدوار ليلة الثورة أن يكتبوا عن أدوارهم ويرسلوها إليه، وقد نصح بعض الأصدقاء يوسف ألا يذكر موضوع الملابس المدنية فيما يكتبه لعبد الناصر، إذا كان يريد لتلك المذكرات أن ترى النور، وبالفعل كتب يوسف ولم يذكر الموضوع صراحة وأورد بعض عبارات المجاملة، ولكن عبد الناصر استلم الردود ولم يرد عليها ولم يوافق على نشر المذكرات كاملة، وكانت بعض أجزائها قد تسربت - كما سلم يوسف نسخا منها لبعض الأصدقاء المقربين. وأغلب الظن أنه أحس بأن مذكراته لن ترى النور - خاصه وقد كان التعتيم شديدا على دوره، وهو ماد فعه إلى تسريبها إلى بعض الخاصة. (وهذا رأى الخاص). وبدأ المرض يهاجم يوسف صديق بعنف اعتبارا من عام ٧٠ . وفى ٧٢ ذهب إلى لندن للعلاج وإجراء جراحة فى الرئة اليسرى ثم عاد أليها بعد حرب أكتوبر٧٣ . كنت أعمل فى ذلك الوقت فى لندن عندما قابلته وكانت صحته متدهورة ، وسألته عن المذكرات وذكرته بها. فأعاد كتابتها مرة أخرى - وهو طريح مستشفى لندن كلينيك - بعد أن أضاف إليها لمحة عن طفولته وتاريخ حياته قبل الثورة، وذكر فيها جميع الحقائق كاملة ومجردة عن ليلة الثورة، وهى النسخة التى بين يدينا الآن التى كتبها قبل وفاته سنة ٧٥.وقد صيغت تلك المذكرات بأسلوب أدبى وبلاغى، استعمل فيه المجاز.

وقد أشار بعض المفكرين والكتاب إلى تلك المذكرات بشكل خاص. منهم الاساتذة، لمعى المطيعى، يوسف صبرى، جمال حماد، كما ورد ذكرها فى بعض المراجع التى تحدثت عن ليلة قيام الثورة، وخاصة اقتحام مبنى رئاسة الجيش، وعلمت مؤخرا، أثناء إعداد هذا الكتاب للطبع أن الهيئة العامة للكتاب بصدد إصدار تلك المذكرات ضمن كتاب تقوم بطبعه حاليا باسم (أوراق يوسف صديق) . (صدر الكتاب بالفعل فى ١٠ / ٢ / ١٩٩٩) بعد نصف قرن من إخفاء الحقائق، وقد تولى الدكتور عبد العظيم رمضان كتابة مقدمة له .

(ب) كتابه عن المسلمين فى الاتحاد السوفيتى

هو العمل الوحيد الذى نشر ليوسف صديق خلال حياته، نشر الكتاب (دار النشر للجامعات المصرية برقم إيداع ٦١٣٩ س ١٩٧٢) ويقع فى ثمانين صفحة، وقد استعرض فيه أحوال المسلمين فى تلك البلاد منذ دخول الإسلام إليها حتى ١٩٧٢ . فقد انتهز فرصة سفره إلى موسكو للعلاج فقام بعمل دراسة وافيه عن أحوال المسلمين فى الاتحاد السوفيتى وذلك يعكس اهتمامه بالإسلام والمسلمين، وتأثير الحكم الشيوعى على أحوال المسلمين، وقد خلص إلى ما يؤكد رأيه بأن جوهر الاشتراكية يتفق مع روح الإسلام. وهو ما سبق أن ذكره فى مذكراته.

(ج) شعر يوسف صديق

فى التاريخ العربى لمعت أسماء الكثيرين من الشعراء الفرسان، أو الفرسان الشعراء، مثل عنترة وأبو فراس وغيرهم فى التاريخ القديم، ومثل البارودى وحافظ إبراهيم ومحمد فاضل وعبد الحليم المصرى ومحمد توفيق على (وهو خال يوسف صديق) فى التاريخ الحديث.

وقد أوضحنا فيما سبق مدى تأثر يوسف صديق بخاله الشاعر الضابط محمد توفيق على، وهو ما دفعه إلى الحياة العسكرية ، والموقف الوطنى، كما دفعه إلى حب الأدب والشعر. ولم يكن غريبا عليه أن يتجه إلى كتابة الشعر منذ مطلع شبابه، وأن يشتهر عنه ذلك فى وسط زملائه وأقرانه فى المدرسة الحربية وبين ضباط الجيش بعد تخرجه، ثم بعد ذلك فى مختلف مواقعه ومراحل حياته.

وشعر يوسف صديق يمتاز بالقوة والجزالة والعاطفة الجياشة، وهو يعبر عن مواقفه الوطنية والثورية والإنسانية أصدق تعبير. ومن الطبيعى أن يكون يوسف صديق مقلا فى إنتاجه الشعرى، فهو لم يكن متفرغا لهذا الإنتاج، بل كان يكتب الشعر كهواية يعبر بها عما يجيش بصدره من مشاعر بين الحين والحين ، وعندما تلح عليه هذه المشاعر فتفرض

نفسها عليه ليصوغها شعرا وجدانيا خالصا .

وكثير من شعر يوسف صديق - خصوصا فى شبابه - قد فقد عندما صادرت الشرطة ديوانه المخطوط ذات مره عند مداهمتها لدار الفكر للنشر، التى كانت بصدد طباعة هذا الديوان ونشره فى مرحلة ما بعد الثورة ، ولم تنج من هذا الشعر إلا قصائد قليلة العدد معظمها مما كتبه يوسف بعد الثورة .

وقد قام نجله اللواء (حسين يوسف صديق) مؤخرا بنشر ديوان يحتوى على تلك القصائد بعنوان (ضعوا الأقلام) يمكن للقارئ أن يرجع إليه للاطلاع على النصوص الكاملة لتلك القصائد (رقم الإيداع ٢٩٥٣ / ١٩٩٩ دار الشعب للصحافة والطباعة والنشر). غير أننى أشير فيما يلى إلى أهم هذه القصائد، وأنقل للقارئ بعض المقتطفات منها، مبينا ظروف كتابته لها، لدلالتها على مواقف يوسف فى المراحل المختلفة من حياته وذلك كما يلى:

(١) قصيدة تكريم الجيش:

كان يقين يوسف صديق منذ صباه أن المستعمر لن يجلو عن أرض الكنانة بدون القوة المسلحة، ولما كان الجيش المصرى هو القوة المسلحة، فقد استقر يقينه على أن يلتحق بالجيش أملا أن يأتى اليوم الذى يستطيع فيه المساهمة فى طرد المستعمر عن أرض الوطن، وأيضا لأن يثأر لأبيه وخاله كما أوضحنا من قبل، وفى عام ١٩٤٥ أقيم حفل تكريم للجيش المصرى بمناسبة انتصار الحلفاء، وانبرى يوسف صديق فألقى قصيدة بالمناسبة ضمنها اعتقاده بأن الكفاح المسلح هو السبيل لاستعادة الحقوق المسلوبة، وليس التفاوض مع المستعمر فتراه يقول:

ضعوا الأقلام وامتشقوا الحساما .·. فرب السيف قد حمل الوساما
وقولوا للذى يرجو خلاصا .·. بتنميق الكلام كفى كلاما
هى الدنيا صـــــراع لا اقتناع .·. بغير الجيش لن نحيا كراما
ومن نادى بغير الجيش يهذى .·. وعن نور الحقيقة قد تعامى

(٢) قصيدة عبد الواحد سبل:

سبق أن أوضحنا ظروف كتابة هذه القصيدة ١٩٤٥ بشيء من التفصيل، وهى علاوة على مافيها من جزالة فإنها تمثل أصدق تمثيل أسلوب يوسف صديق فى مواجهة قوى الفساد فى الجيش، ذلك إنها قيلت فى حفل عام أقيم لتكريم رجل شريف مغضوب عليه من قيادة الجيش العليا، وهى تدل على أن يوسف كان صريحا ومباشرا فى مواجهة الفساد بشجاعة لا تعرف الخوف ، ولا تقيم وزنا لرد الفعل ، ففيها دعوة صريحة للقضاء على النظام، وذلك قبل قيام تنظيم الضباط الأحرار ، وهو ما يتمشى وينسجم مع شخصيته الثائرة، ويكفى أن نسوق قوله فى بعض أبياتها:

يا صاحب القلب الكبير تحية .·. فلقد بدأت ولا أقول وداعا

حررت من قيد الوظيفة فانطلق .·. حرا وأطلق للكفاح شراعا

عار الوظيفة أن نضام بها إذا .·. كنا الرجال ولم نكن أتباعا

ونفوس أهل الحق تأبى حرة .·. وكريمة أن تشترى وتباعا

(٣) قصيدة كلية أركان حرب:

فى الاحتفال بيوم كلية أركان حرب (٢٢) القى هذه القصيدة، وهى تنسجم مع ما ظل يعتقد فيه منذ صباه الباكر من أن الخلاص سوف يأتى على يد رجال الجيش لتحرير الشعب المصرى من الاحتلال الأجنبى ومن الفساد الداخلى ، ولما كانت كلية الأركان معنية بتخريج الضباط الأكفاء وهم قادة المستقبل، فقد توسم فيهم الأمل فى الخلاص فتراه يقول فى بعض أبياتها:

وهل البناة سوى الجيوش وهل ترى .·. ملكا بغير جنوده أمن العدا

والجيش جسم إنما أعصابه .·. أركانه إن لم تعنه تقاعدا

(٤) قصيدة من الجنة:

سبق أن بينا ظروف كتابة تلك القصيدة فى المنفى بسويسرا يوليو ١٩٥٣، فلما حلت الذكرى الأولى لقيام الثورة التى كان هو بطلها دون منازع، وجد نفسه كما سبق القول وحيدا مريضا منفيا خارج وطنه الذى عشق ترابه، أرسل إلى الرفاق يطلب العودة لكنهم رفضوا، فهاجت شجونه فى صدره الجريح، وسجل فى تلك القصيدة، دوره فى قيام الثورة ، وحالته الصحية التى كان عليها يوم ٢٢ يوليو ١٩٥٢، وسجل غدر الرفاق به، وتشويههم لعمله ، فالقصيدة من هذه الناحية علاوة على صدق مشاعرها، ومتانة بنيانها، وجزالة أسلوبها ، تمثل نموذجا رفيع المستوى شكلا وموضوعا، علاوة على أنها قد أرخت بشكل واضح لدوره الخالد فى تلك الليلة فتراه يشير إلى دوره وإلى عشقه لتراب مصر قائلا:

أنا الـــوفى الــذى لـم يثنه دمه .·. ينساب من صدره عن يومك الحفل

لم يكفنى شرفا أن كنت شاهده .·. بل كنت فيه فتى فتيانه الأول

(٤) قصيدة المجد الزائل:

من داخل السجن الحربى ١٩٥٤ كتب تلك القصيدة التى تبين عدم تكالبه على المناصب وزهده فيها، بل إنه اعتبر انتصار النظام فى هبة مارس على القوى الوطنية المصرية والنزوح إلى الدكتاتورية مجدا زائلا يستحق الإشفاق. فتراه يخاطب عبد الناصر الذى اتجه إلى قمع القوى الوطنية والتنكيل بها ، بدلا من أن يواجه الاستعمار الإنجليزى قائلا:

هنيئا لك المجد الذى أنت نائل .·. فمنذا يدانيك ومنذا يطاول

تهيبت أن تلقى عدوا جمعتنا .·. على حربه ثم انثنيت تماطل

(٥) قصيدة فرعون مصر

ومن السجن الحربى ١٩٥٤ وقد عمد النظام إلى ترويع زوجته الأولى (السيدة توحيده)، وسجن زوجته الثانية (السيدة علية) كما أوضحنا فيما سبق، وكذلك إلى سجن

وتعذيب أهله وأصدقائه، وكذلك الإخوان المسلمون والتنكيل بالقوى الوطنية غير عابئ بالشيوخ وكبار السن اعتبر يوسف أن عبد الناصر - وقد تصور نفسه فرعونا لمصر، مما دعا يوسف إلى صب جام غضبه عليه، مذكرا إياه بموقفه ليلة الثورة عندما كان فى ملابسه المدنية بينما كان يوسف صديق وصدره ينزف دما ينقذ الثورة، وينقذ أرواح الضباط الأحرار وقيادتهم من أعواد المشانق ، فلولا دوره وشجاعته لكان من المؤكد سحق الثورة وإعدام القائمين بها فتراه يقول:

وقـد كنت يـوم الوغى هاربا .·. تخاف الظنون وتخشى العيون

وقـد كنت مختفيا فى ثياب .·. تباعد عنك مثار الظنون

(٧) قصيدة استقبال الصديق

وفى يناير ١٩٥٥ وهو فى السجن الحربى وضعت ابنته السيدة (سهير) حفيده الأول وسميه (يوسف صديق) من زوجها ابن خاله (محمود توفيق) فيستقبله بتلك القصيدة التى يبين فيها إيمانه العميق بالرسالة التى نذر نفسه من أجلها، وكذلك أجداده من قبله وهي محاربة الظلم والفساد وتحرير الشعب المصرى مهما كلفهم ذلك من تضحيات بالنفس والمال، ويوصى حفيده ألا يتخلف عن ركب الأحرار قائلا:

والحق بقومك إنهم سبقوا .·. وخذ مكانك فى ركب المغاوير

(٨) قصيدة الله أكبر

فى ١٩٥٦ كان عبد الناصر قد بدأ يأخذ اتجاها تقدميا ، وأمم قناة السويس، وكان يوسف صديق محدد الإقامة فى (عزبة النخل) بعد خروجه من السجن، لكنه سارع بتأيد عبد الناصر مرتفعا فوق جراحه الشخصية، وأهدى تلك القصيدة إلى عبد الناصر، وقد نشرت فى جريدة الجمهورية فى ١٢ / ٨ / ١٩٥٦، وفى بعض أبياتها يقول مدعما موقف عبد ا لناصر:

الله أكبر يا جمال جمعتنا .·. والعهد دون الحق، أن نستشهدا
فأضرب، وراءك أمة إن تدعها .·. لتسابقت واستعذبت طعم الردى

(٩) قصيدة إلى منزيس

حشد الغرب قواه استعدادا لضرب مصر بعد تأميم القناة ، وأرسل (منزيس) رئيس وزراء استراليا نذيرا لعبد الناصر ، فانبرى يوسف صديق محدثا منزيس ومحذرا إياه (في قصيدته التي نشرت بجريدة الجمهورية فى ٣ / ٩ / ١٩٥٦)، من العدوان على مصر، موضحا له أن العدوان مصيره الفشل ، ومحذرا إياه من أسلوب التهديد فنراه يقول :

وتمتم بالسلام تكن حصينا .·. وتحيا سالما ما دمت فينا
سعيت إلى العرين فكن لبيبا .·. يخون السلب من زار العرينا

(١٠) قصيدة دمعة على البطل:

في سبتمبر ١٩٧٠ كان يوسف صديق في موسكو تحت العلاج عندما مات عبد الناصر فجأة. فقطع علاجه وعاد إلى مصر فورا، وكتب تلك القصيدة الصادقة فى رثاء رفيق السلاح متناسيا كل ما أصابه من غدر وتنكيل. فكانت من أروع من قيل فى رثاء عبد الناصر ، وفيها تجلت إنسانية يوسف وشفافية نفسه وعظمتها ووفائه العظيم . (وقد نشرت بمجلة روزاليوسف في ذكرى الأربعين ٢ / ١١ / ١٩٧٠) يقول:

ولكن زلزل الأركان منى .·. وهز تماسكى من جاء ينعى
نعاك وأنت ملء الأرض سعيا .·. وذكرك قائم فى كل ربع
بكتك عيون أهل الأرض حولي .·. فكيف أصون بين الناس دمعى

وبعد أيها القارئ العزيز، أو الباحث والمؤرخ، فهذا هو يوسف منصور صديق، الثائر البطل، (بطل ثورة يوليو)، والمكافح من أجل المبادئ التى آمن بها، المضحى بكل شئ حتى بالحياة ذاتها، عاشقا لتراب الوطن، لا يقبل ثمنا للتضحيات، ولا يساوم، ولا يخشى فى الحق لومه لائم، رجل المبادئ والمواقف المشرقة، يملأ قلبه أيمان أولوا العزم، تراه رقيقا

كالنسيم في شعره ، وتراه ثائرا كالبركان في غضبه، ينقض على قلاع الطغيان في قوة الإعصار واندفاعه، يندفع اندفاع السهم فيصل إلى هدفه ليصيب في مقتل، ويتخلى عن قناعة عن أي منصب مهما علا، بسيط في مظهره، عظيم في جوهره، فعسى أن أكون قد وفقت في نقل صورة واضحة عنه إليك .

(رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه، فمنهم من قضى نحبه،

ومنهم من ينتظر، وما بدلوا تبديلا).

صدق الله العظيم .

تم بحمد الله

ملحق (١)

مصادر الكتاب

نورد فى هذا المقال حصرا لبعض المصادر التى لجأنا إليها، وقد تناولت جوانب من سيرة يوسف صديق، وهى تأيد ما ورد بكتابنا حتى نسهل على أى باحث فى المستقبل فنقدم بياناً لتلك الوثائق ومصادرها، وأهم ما أشارت إليه مع ذكر أسماء من تفضل بكتابتها وذلك بخلاف الكتب (وقد نشرت بعض هذه الوثائق ضمن كتاب أوراق يوسف صديق المشار اليه) وذلك على النحو التالى :

- جريدة الأهالى: ٢٣ / ٣ / ١٩٨٣ يوسف صديق قائداً عظيماً من قادة ثورة يوليو
- جريدة الأحرار: ١١ / ١٠ / ١٩٨٢ دور يوسف صديق فى حل منظمة حدتو- جمال سليم
- جريدة الأهرام: ٢ / ١٠ / ٩٥ الافتراء على دور يوسف صديق - فتحى العشرى
- جريدة الوفد: ٩ / ٣ / ١٩٩٨ ثورة يوليو وحقوق الإنسان - د/ عبد العظيم رمضان
- مجلة أكتوبر: ٢٣ / ٧ / ١٩٩٥ وقائع ليلة الثورة - عاطف عبد الغنى
- مجلة الوادى: أكتوبر ١٩٨٢ شهادة عبد المجيد شديد
- جريدة الوفد: ١٠ / ٣ / ١٩٩٧ ثورة يوليو وحقوق الإنسان د/عبد العظيم رمضان
- مجلة آخر ساعة: ٢٢ / ٧ / ١٩٩٢ خفايا ليلة الثورة - محسن محمد
- مجلة أكتوبر: ٦ / ٨ / ١٩٩٥ شهادة حسن دسوقى
- جريدة الوفد: ٣ / ١٢ / ١٩٨٣ شهادة أحمد أبو الفتح
- جريدة الشعب: ٢٩ / ٣ / ١٩٨٣ واحد وثلاثون مارس - فتحى رضوان
- مجلة أكتوبر: ٢٧ / ٨ / ١٩٩٥ شهادة وحيد رمضان
- جريدة الأخبار: ٢٤/ ٧/ ٩٦ التاريخ المظلوم - نبيل زكى
- جريدة الأهالى: ٢٩ / ٣ / ١٩٧٨ عامان على رحيل يوسف صديق - خالد محيى الدين
- جريدة الأهالى: ٢٦ / ٧ / ١٩٩٥ يوسف صديق الفارس الغائب - بهيجة حسين
- جريدة الأهالى: ٢٤ / ٧ / ١٩٩٦ يوسف صديق - حق الوطن الضائع - بهيجة حسين
- جريدة الأخبار: ٣١ / ٧ / ١٩٨٨ أين اختفى البطل يوسف صديق؟ - سعد كامل

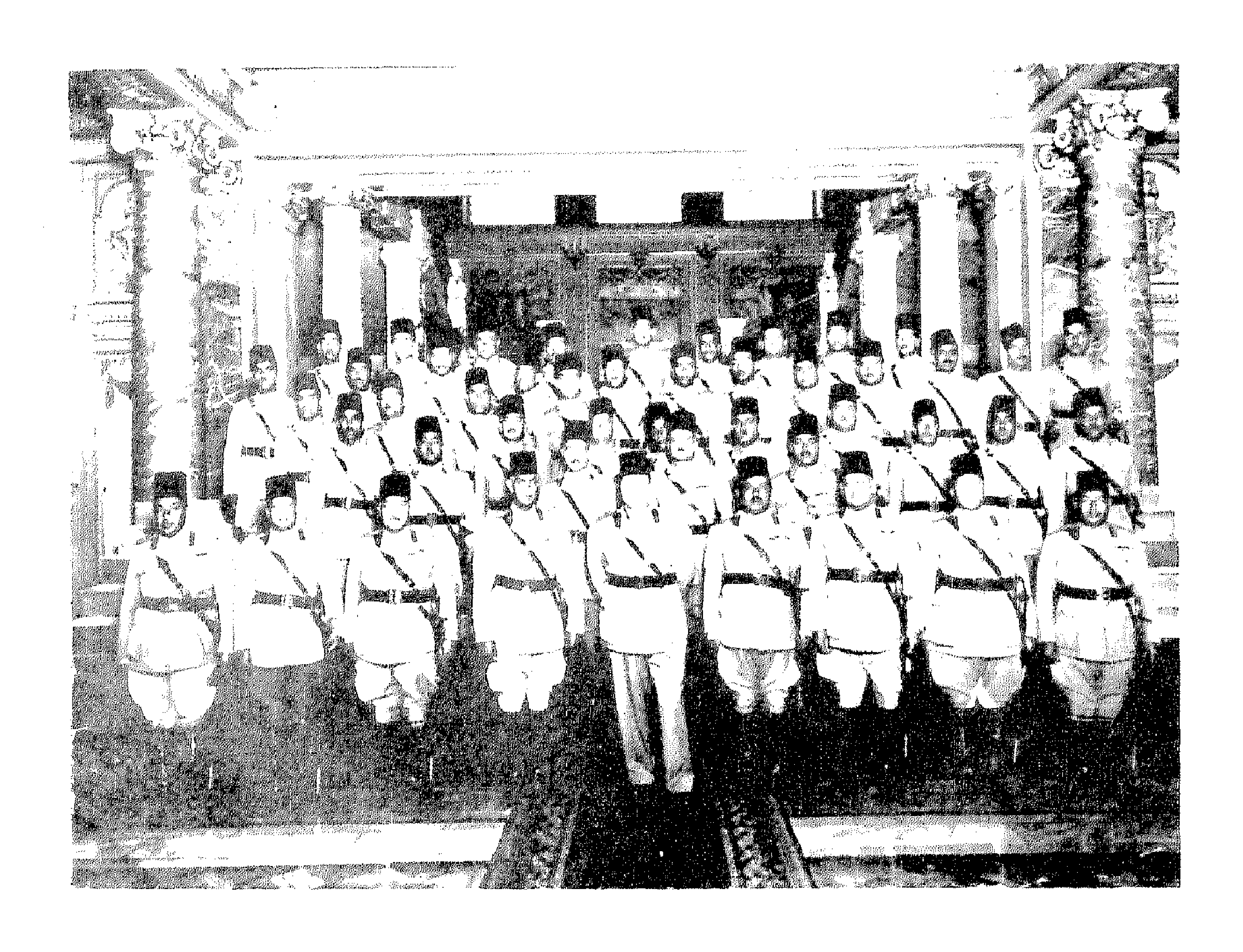
- جريدة الوفد: ٣١ / ٧ / ١٩٩٧ حديث عائلى عن يو سف صديق - د/ سهير اسكندر
- جريدة الوفد: ١ / ٥ / ١٩٩٧ أكثر من اعتذار للبطل يوسف صديق
- مجلة اليسار: إبريل ١٩٩١ يوسف صديق رب السيف والقلم-د/ رفعت السعيد
- جريدة الأهرام: ٣ / ٦ / ١٩٩٦ خطاب تأخر - ثروت أباظة
- جريدة الأخبار: ٤ / ٤ / ١٩٨٢ يوسف صديق بطلاً ديمقراطياً - سعد كامل
- جريدة الأخبار: أعوام ٨٤ - ٩١ - ٩٦ اعتذار ليوسف صديق - مصطفى أمين
- جريدة الأخبار: ٢٥ / ٣ / ١٩٥٤ سلاطة مصطفى أمين
- جريدة المصرى: ٢٤ / ٣ / ١٩٥٤ خطاب يوسف صديق إلى اللواء محمد نجيب
- مجلة أكتوبر: ١٢ / ٦ / ١٩٨٢ سادة العصر الحزين - د/ حسين مؤنس
- مجلة أكتوبر: ٨ / ٩ / ١٩٩٦ الأحرار الذين دفعوا ثمن تأييدهم للديمقراطية - جمال حماد
- جريدة الأهالى: ٢٧ / ٣ / ١٩٩١ يوسف صديق بطل مصر الأسطورى - لطفى واكد
- جريدة الأخبار: ١ / ٤ / ١٩٧٥ إليك يا بطل - جلال ندا
- جريدة الأهرام: ١ / ٤ / ١٩٧٥ نعى يوسف صديق
- جريدة السفير: ١ / ٤ / ١٩٧٥ غاب السادات عن وداع يوسف صديق
- جريدة الجمهورية: ١ / ٤ / ١٩٧٥ نعى يوسف صديق - احمد حسين
- جريدة الجمهورية: ١ / ٤ / ١٩٧٥ نعى يوسف صديق - عبد المنعم الصاوى
- جريدة المحرر: ١ / ٤ / ١٩٧٥ اذكروا يوسف صديق - غالى شكرى
- روز اليوسف: ٧ / ٤ / ١٩٧٥ رحله يوسف صديق - المحرر
- روز اليوسف: ٧ / ٤ / ١٩٧٥ من ليله الثور ة إلى ليلة الرحيل - خالد محيى الدين
- روز اليوسف: ٧ / ٤ / ١٩٧٥ حب المقاتل لوطنه - فتحى خليل
- الجمهورية: ٨ / ٤ / ١٩٧٥ أطال الله عمر أبيكم السادات - عبد الرحمن فهمى
- مجلة حواء: ١٢ / ٤ / ١٩٧٥ نعى يوسف صديق - احمد زكى عبد الحليم
- مجلة الأذاعة: ١٢ / ٤ / ١٩٧٥ يوسف صديق من يعرفه؟ - المحرر
- دراسات اشتراكية: مايو ٧٥ وداعا أيها الرفيق - إبراهيم عبد الحليم

- الطليعة: مايو ٧٥ يوسف صديق فارسا مصريا أصيلا - المحرر
- روز اليوسف: ٥ / ٥ / ١٩٧٥ مذكرات لم تنشر - يوسف صبرى
- المصور: ٢٥ / ٧ / ١٩٧٥ مناقشه صريحة - حمدى لطفى
- روز اليوسف: ١٨ / ٨ / ١٩٧٥ الضباط يحكمون الوزراء - ضياء الدين بيبرس
- تاريخ بلا وثائق: ١٩٧٥ كتاب - د. إبراهيم عبده
- الطليعة: ١٩٧٦ عام على غياب البطل - محمد على عامر
- روز اليوسف: ١٧ / ٢ / ١٩٧٥ صفحه من تاريخ يوليو - احمد حمروش
- روز اليوسف: ٣ / ٣ / ١٩٧٥ الحزب الوطنى - محمد عبد الرحمن حسين
- روز اليوسف: ٢٤ / ٣ / ١٩٧٥ يوسف المفترى عليه - احمد حمروش
- روز اليوسف: ٢٤ / ٣ / ١٩٧٥ يوسف البطل - المحرر
- السفير: ١ / ٤ / ١٩٧٥ وفاه يوسف صديق - المحرر
- ليله ٢٣ يوليو «كتاب» احمد عطية الله
- أطول يوم فى تاريخ مصر« كتاب» جمال حماد
- رجال يوليو « كتاب» لمعى المطبعى
- ثورة يوليو«كتاب» احمد حمروش
- الصامتون يتكلمون «كتاب» سامى جوهر
- ازمه مارس ٥٤« كتاب» د عبد العظيم رمضان
- عبد الناصر والعالم « كتاب» محمد حسنين هيكل
- الصراع السياسى والاجتماعى فى مصر«كتاب» د عبد العظيم رمضان
- ٢٣ يوليو خمسه أبعاد «كتاب» دار القدس
- ٨ أيام وليال «مذكرات» د. سعيد الأزهرى
- يوسف صديق«مذكرات» عليه توفيق
- أبى يوسف صديق « ذكريات» سهير صديق
- ليله عمرى «مذكرات» يوسف صديق
- يوسف صديق «ذكريات» حسن أحمد دسوقى

ملاحق الصور

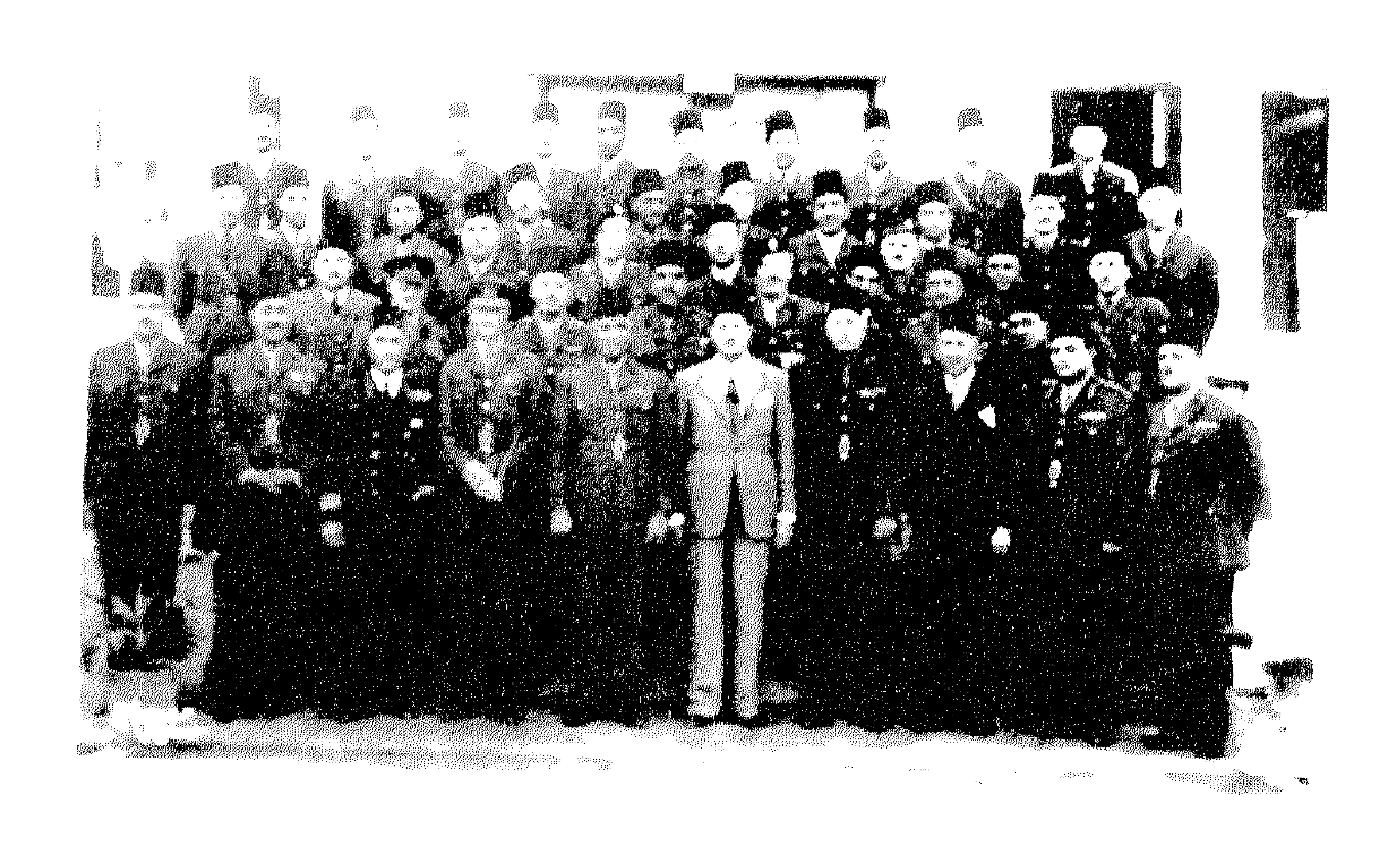


الملازم ثان يوسف منصور صديق
صورة التخرج سنة ١٩٣٣



ضباط الكلية الحربية الملكية فى ١٩٤١/٣/٢٧ صورة تذكارية بمناسبة تخريج الدفعة

- يوسف صديق الثالث من اليمين الصف الثانى من أعلى
- زكريا محيي الدين الثانى على الشمال فى الصف الأول من أعلى
- الملك فاروق وسط الصورة



صـــورة تذكارية

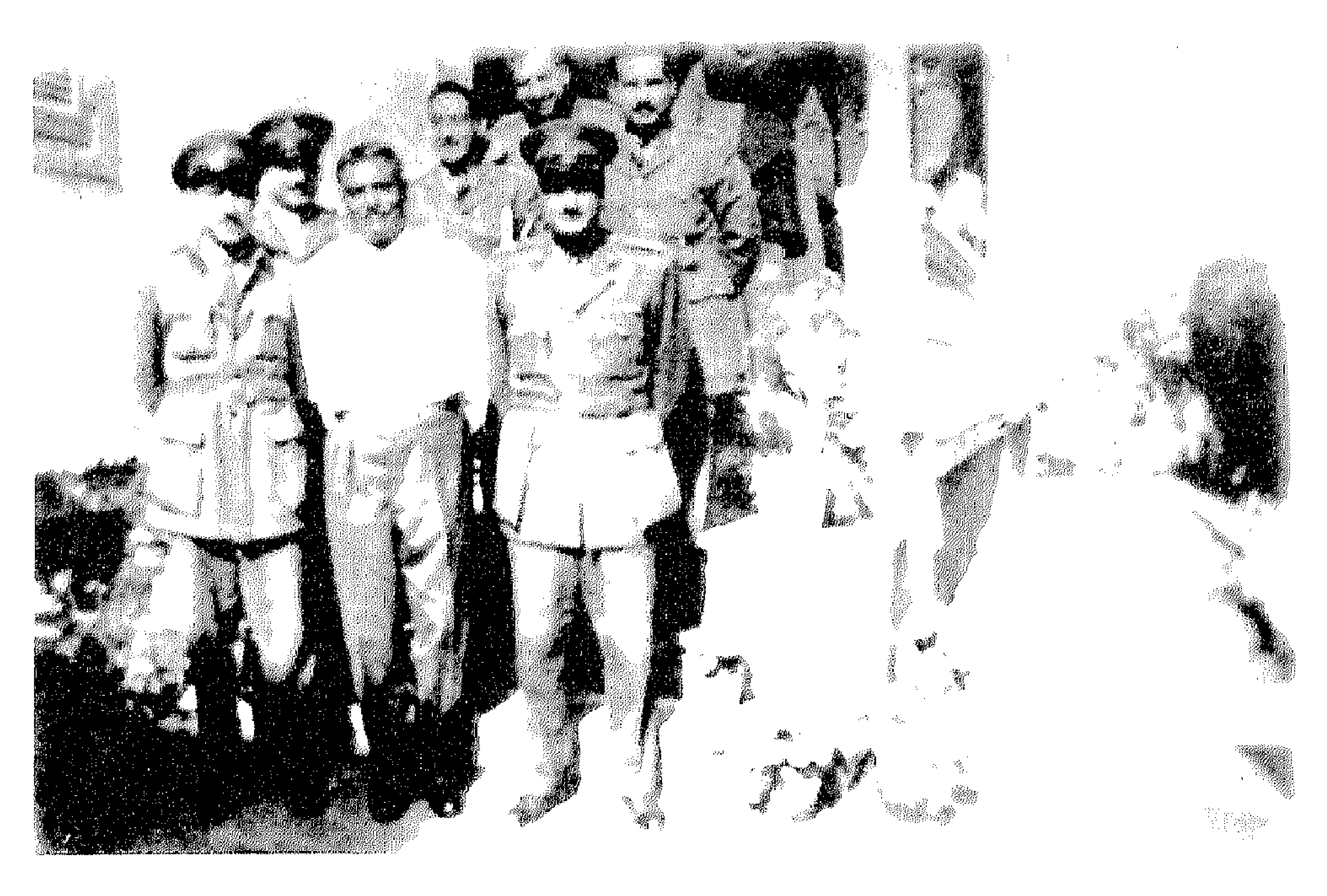
- يوسف صديق السادس من اليمين فى الصف الثانى من أعلى
- يوسف السباعى الأول من اليمين فى الصف الأول من أعلى
- عبد المنعم رياض السادس من يمين فى الصف الأول من أعلى
- حافظ إسماعيل الأول من اليمين فى الصف الثانى من أعلى



آخر صورة ليوسف صديق قبل قيام الثورة



امتدت يد الزيف إلى تلك الصورة التاريخية ، فأصبحت الصورة الرسمية لمجلس الثورة حتى اليوم ، بعد حذف صورة يوسف صديق منها - وقد نشرت كثيراً بعد ذلك دون وجوده .



بعد أن تقرر نفى يوسف صديق إلى الأبد خارج مصر ، لم يعلن ذلك ، ويُرى عبد الناصر فى وداع يوسف صديق بمنزله بحلمية الزيتون ١٩٥٣ وقد ظهر يوسف بالملابس المدنية عشية سفره إلى سويسرا - عبد الناصر - عبد الحكيم عامر - وحيد رمضان - محمد السقا - محمود الجيار .



فى بداية رحلة التشريد والقهر والنكران ، نفى إلى أسوان عقب تقديمه استقالته من مجلس قيادة الثورة فى ١٦ يناير ١٩٥٣ والصورة فى فبراير ٥٣ ومعه (وحيد رمضان) وابنته سهير .



في المنفى بسويسرا أبريل ١٩٥٣، وقبل حلول العيد الأول، للثورة التي كان بطلها، وجد نفسه وحيداً مريضاً منفياً، فكتب قصيدته (من الجنة) التي عبر فيها عن موقفه وغدر الرفاق به حيث لقى جزاء (سنمار) وفيها يقول:

أنا الوفيَّ الذي لم يشته دَمُـــه ... يَنسابُ من صدره عَن يَومك الحفل
لَم يكفني شَرفًا أن كُنت شَاهدهُ ... بَل كُنت فيـه فَتَى فِتيَانه الأولَ



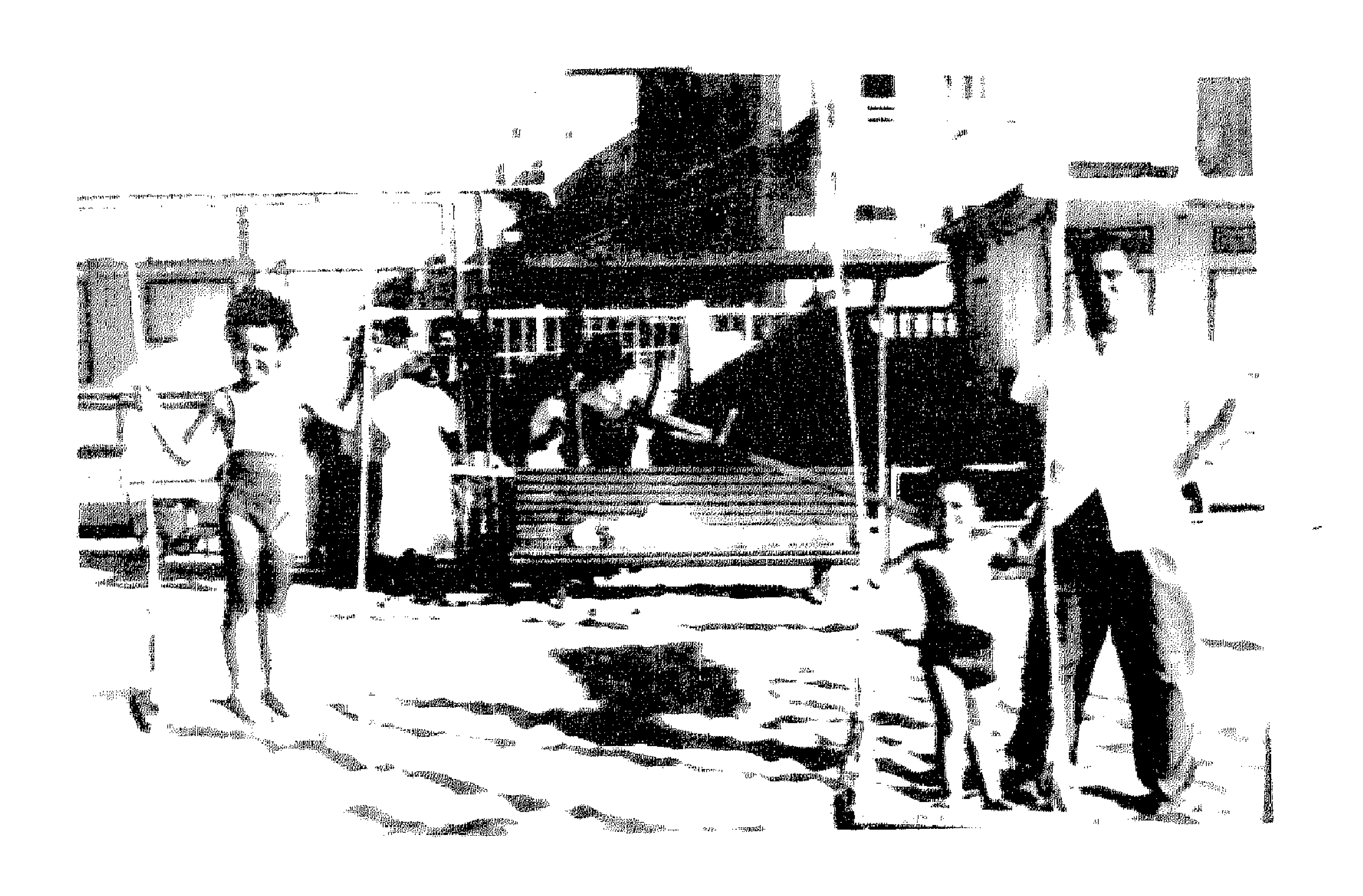
فى المنفى بلبنان يونيو سنة ١٩٥٣ أحاط به الأحرار فى لبنان وسهلوا له طريق العودة مع أسرته سِرًا إلى مصر متحدياً قرار مجلس قيادة الثورة .



صو رة ليوسف صديق مع بعض أفراد أسرته ، من اليسار ولده المرحوم محمد وزوج ابنته ، وابن خاله محمود توفيق ، ابنته الكبرى سهير ، وولده الأصغر اللواء حسين صديق ، (فى قريته زاوية الصلوب أغسطس ١٩٥٣) .



فى تحديد إقامته (بعزبة النخل) ابنته سهير وحفيده يوسف سنة ١٩٥٦ .



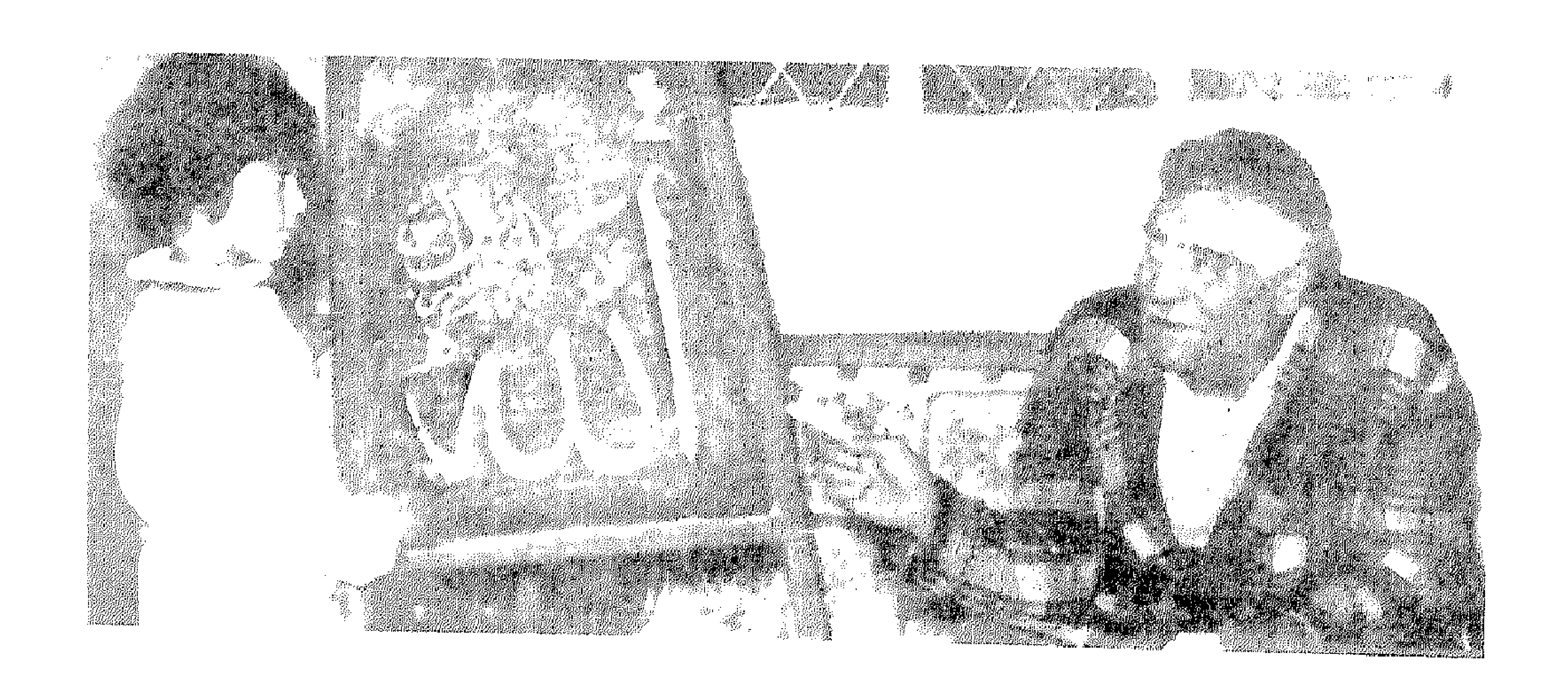
صورة ليوسف صديق (الثانى) مع حفيده يوسف صديق (الثالث)



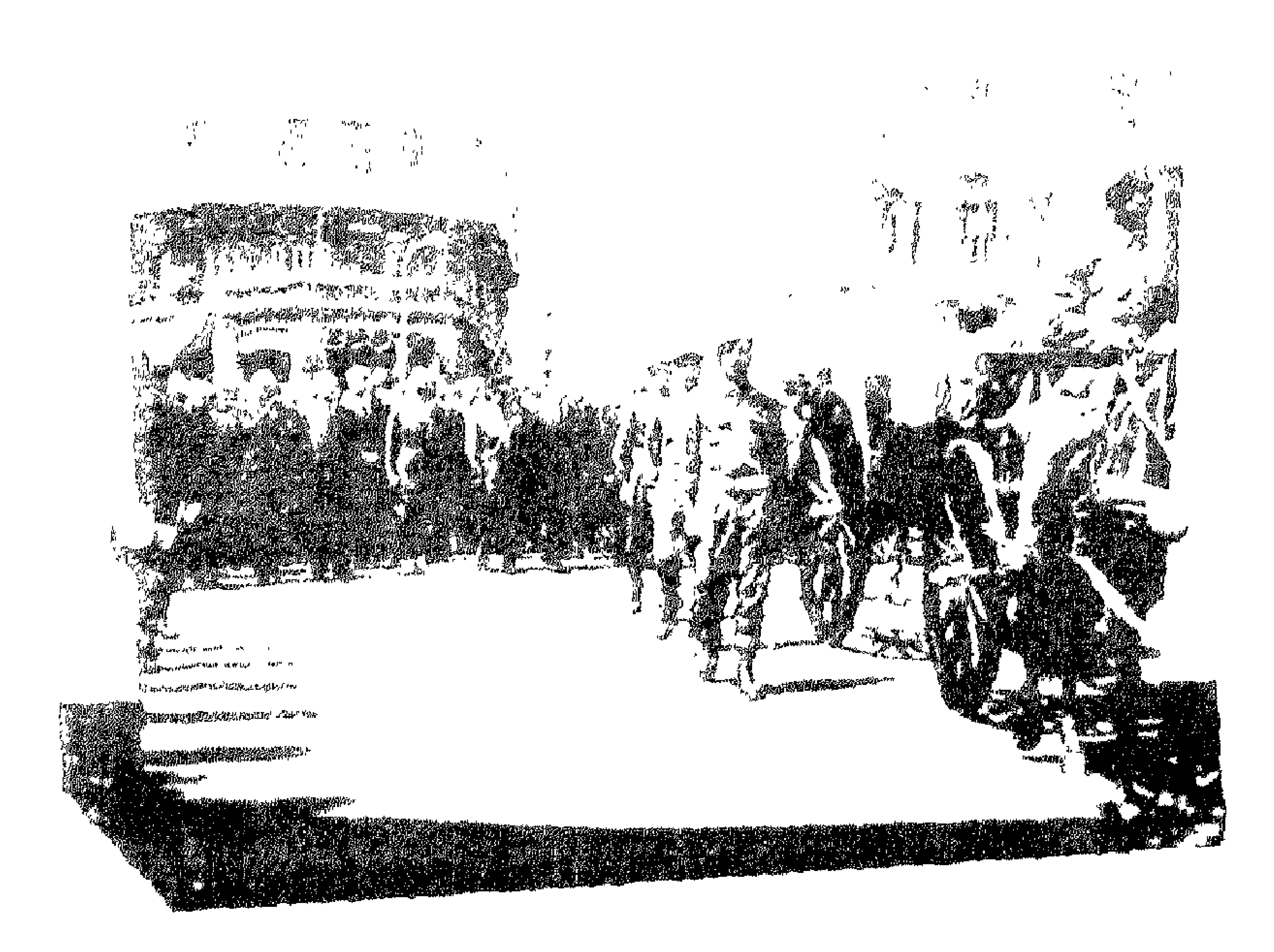
يوسف صديق مع جمال عبد الناصر وإسماعيل الأزهرى فى مطار القاهرة سنة ١٩٥٦ .



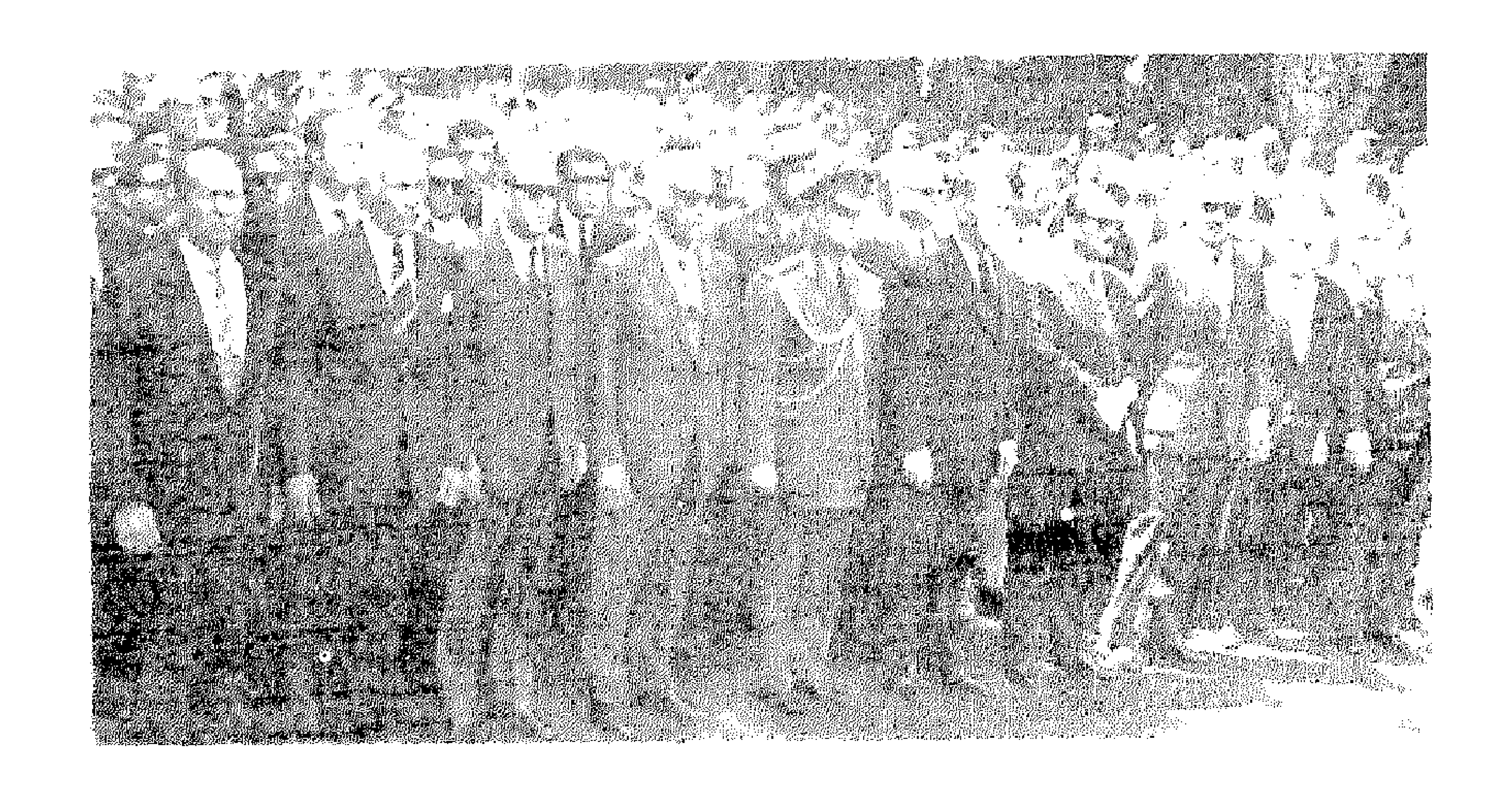
فى استقبال جمال عبد الناصر سنة ١٩٦٧ لشد أزره
مترفعاً عن جراحه العديدة نتيجة الجحود والنكران .



صورة تذكارية مع أصغر أطفاله وبينهما لوحة تحمل اسم « الله » عام ١٩٦٩ .



رحيل البطل على عربة المدفع مسجى الجثمان ،
لكن الزّيف والجحود لازمه حتى بعد الرحيل ١٩٧٥/٤/١



مصر تشيع جنازة يوسف صديق

شيعت مصر ظهر أمس إبناً من أبنائها الأحرار المرحوم يوسف صديق عضو مجلس قيادة الثورة ، سارت الجنازة من ميدان التحرير إلى جامع جركس لف جثمان الفقيد بعلم جمهورية مصر العربية ووضع على عربة مدفع .

سارت فى مقدمة الجنازة موسيقات الجيش فى مجموعات رمزية من ضباط الجيش وطلبة الكلية الحربية ثم أكاليل الزهور من رئيس الجمهورية ومختلف أسلحة القوات المسلحة وأمانة الاتحاد الاشتراكى .

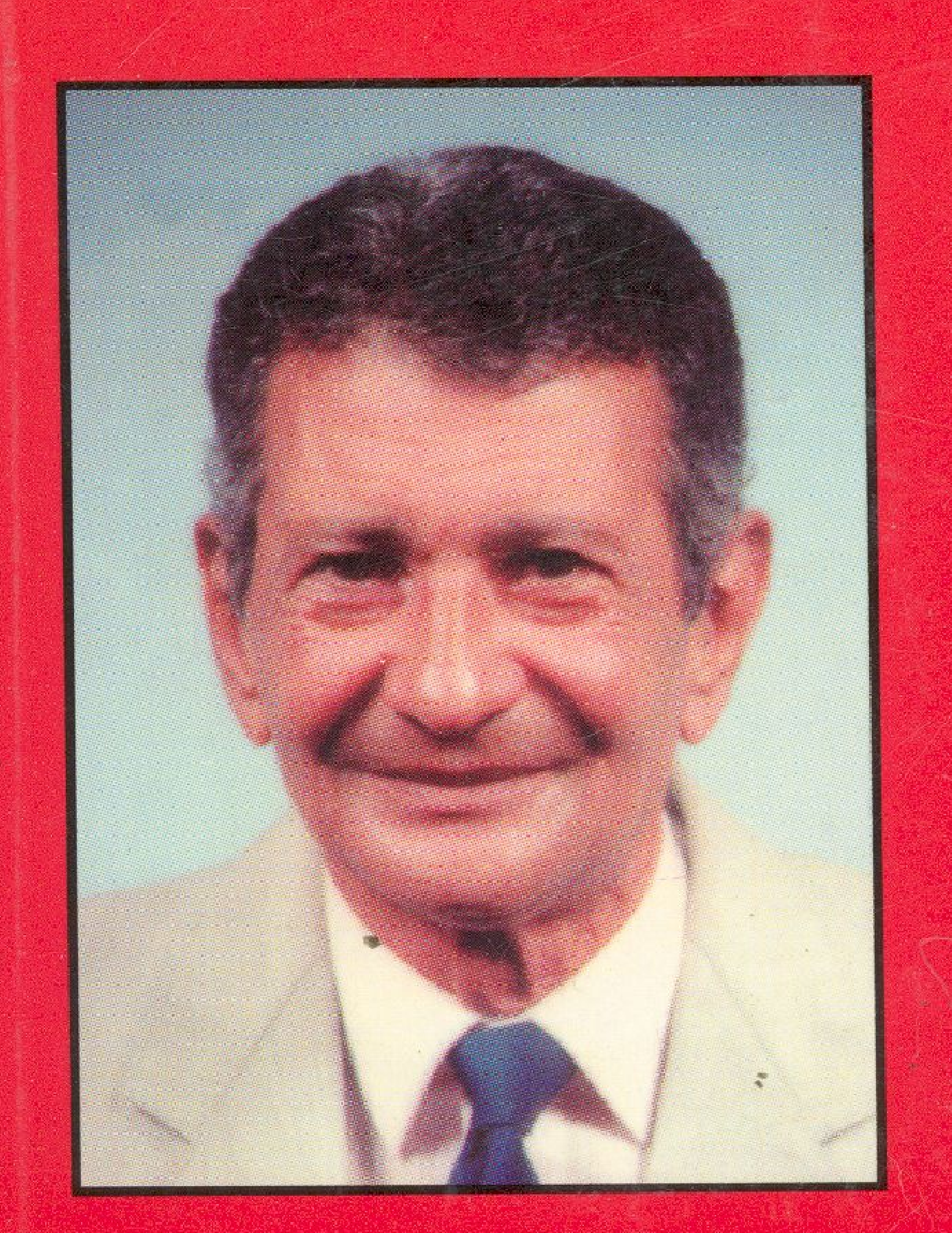
وتقدم المشيعين الفريق سعيد الماحى كبير الياوران مندوباً عن الرئيس محمد أنور السادات ، والرئيس السابق محمد نجيب وحسين الشافعى نائب رئيس الجمهورية وأعضاء مجلس الثورة الذين على قيد الحياة والمهندس سيد مرعى رئيس مجلس الشعب والدكتور عبد العزيز حجازى رئيس الوزراء والدكتور محمد حافظ غانم أمين الاتحاد الاشتراكى وعدد من الوزراء والضباط الأحرار .

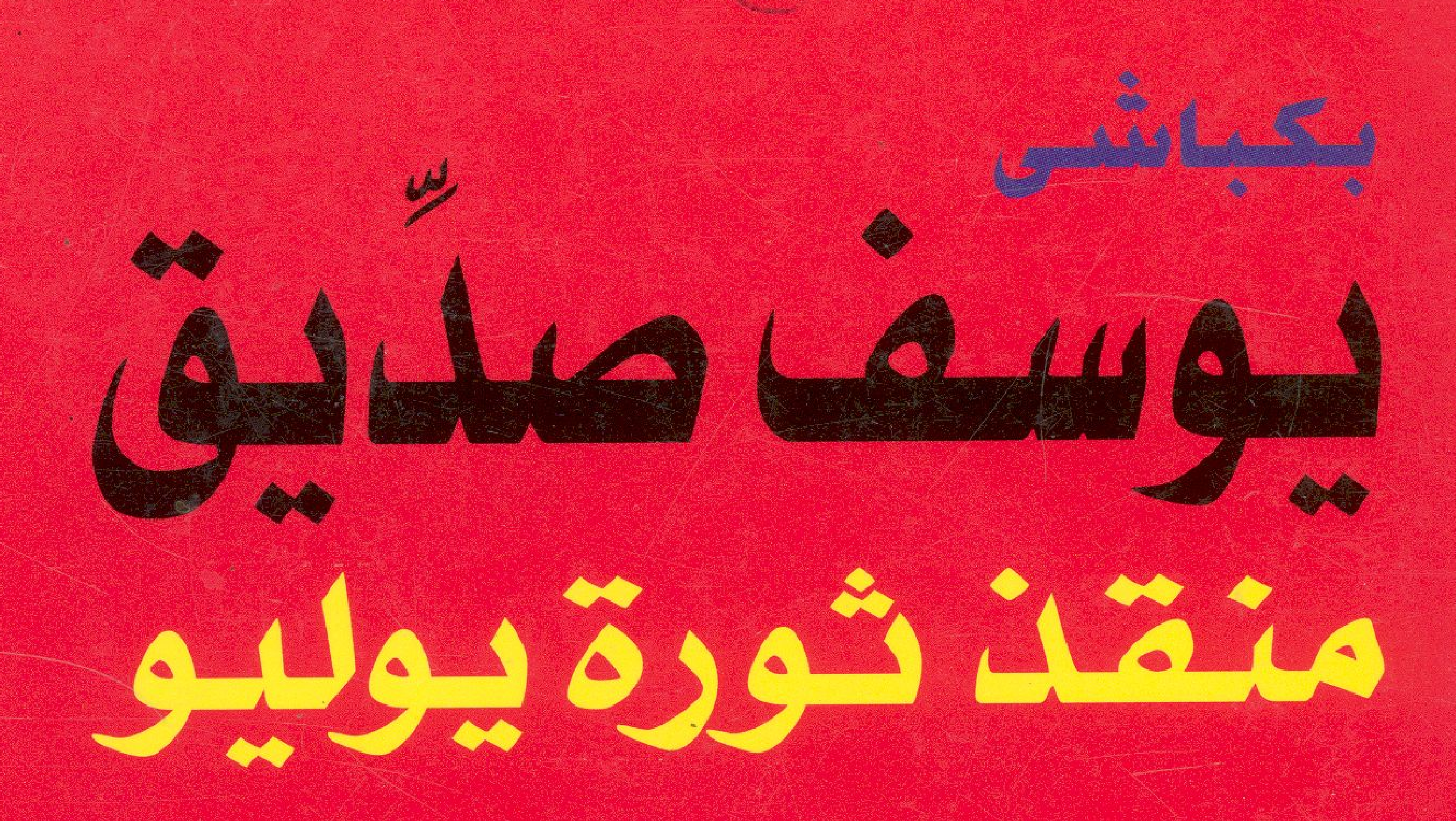
وسارت الجنازة وسط الآلاف من أبناء الشعب الذين اصطفوا على جانبى طريق الجنازة وفى ميدان التحرير وميدان طلعت حرب وحتى جامع جركس .

وتم نقل جثمان الفقيد الكريم إلى مدافن الأسرة بالبساتين ١٩٧٥/٤/٢

[جريدة الأخبار ١٩٧٥/٤/٢]

فهرست الكتاب





... يوسف صديق يا سادة يا كرام يا من تقل أعماركم عن الـ ٥٥ سنة ، هو الضابط الثائر الذى تحرك بكتيبته ليلة الثورة قبل ساعة الصفر المتفق عليها بساعة كاملة نتيجة خطأ فى تبليغه . فشاءت إرادة الله أن ينقذ الثورة من الإجهاض وقادتها من السحل و الإعدام ، حيث اقتحم و احتل مبنى رئاسة الجيش فى كوبرى القبة و قبض على رئيس الأركان و قادة الأسلحة الذين كانوا قد استدعوا للتو من منازلهم لتحريك باقى قوات الجيش - وهى الغالبية - لسحق ثورة الضباط الأحرار الصغار المجهولين - وهم القلة - بعد أن اتصل الطيار صالح محمود صالح بالقصر الملكى و أبلغ رئيس الديوان بإعتقاده أن ثورة فى الجيش ستندلع الليلة . حيث أنه شاهد شقيقه الضابط الأصغر متوترا و هو يلبس زيه العسكرى و يحمل سلاحه و يقبل و الدته طالبا دعواتها ولا يرد على سؤاله : رايح فين ؟

و لولا هذا التبكير الخطأ ، لكانت ثورة يوليو فى خبر كان !

كما أن يوسف صديق هو الذى أنقذ جمال عبد الناصر وعبد الحكيم عامر من قبضة قواته عندما أسرتهما فى أحد شوارع مصر الجديدة بملابسهما المدنية ، بعد أن اشتبهت فيهما ! وما أن فتح مكتب رئيس الأركان لجمال عبد الناصر حتى أسرع عبد الحكيم لإحضار اللواء محمد نجيب من منزله ليتولى قيادة الثورة ، طبقا للاتفاق المسبق بين ضباط الثورة و اللواء نجيب الذى كان يتمتع بحب و ثقة كل ضباط القوات المسلحة حيث انتخبوه رئيسا لنادى الضباط و أسقطوا منافسه الذى رشحه الملك !

(فتحى سالم - أخبار اليوم ١٩ / ٦ / ١٩٩٩)

محمد توفيق الازهرى

- من مواليد ١٩٣٧ وتخرج فى كلية التجارة جامعة القاهرة ١٩٥٩
- عضو رابطة الأدب الحديث
- لـه إنتاج فكرى وإبداعى فى مجالات الشعر والقصة وأدب الرحلات .
- ارتبط بالضابط يوسف صديق منذ ١٩٥٣ حتى ١٩٥٩ ودخل معه السجن الحربى عام ١٩٥٤ .
- جمع ديوان شعر يوسف صديق ولكن أجهزة الأمن صادرته عام ١٩٥٦ .
- كتب النسـ ... مذكرات يوسف ... عمرى ! وكان ... للبطل الراحل ...



مكتبة مدبولى
٦ ميدان طلعت حرب القاهرة - تليفون ٥٧٥٦٤٢١ فاكس ٥٧٥٢٨٥٤
عنوان موقعنا على الإنترنت : www.madbuli.com